محاضرات
في تاريخ الدولة العربية

د / صلاح خليل سلام
كلية الآداب - جامعة حلوان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة

بسم الله العظيم أبدأ ، وبقوته القاهرة أستعين . وأحمده جل شأنه حمـداً لا نهاية له . وأصلى وأسلم على خاتم النبيين ، وأعظم المرسلين محمد صلى الله عليـــه وسلم، وعلى آله أجمعين . هذا كتاب إختصرت فيه تاريخ الدولة العربية وأفـردت فى هذا الكتاب مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وإبتداء نبوته وأول أمره فى رسالته ومغازيه وسيرته فيها .

ولست فى حاجة إلى الإسهاب فى بيان أثر الإسلام والرسول صلـــى الله عليه وسلم فى إنقاذ العالم من الشرور والرذائل ، وانه الوسيلة للكمال والتقـــوى والسعادة فى الدنيا والآخرة ، وهو سبيل الهداية إلى الطريق المستقيم طريق العلـــم والحضارة والمدنية ، طريق السلم والسلام ، ثم ذكرت تاريخ الخلفاء الراشدين وأهم أعمالهم والفتوحات الإسلامية فى عهدهم ، ثم تناولت تاريخ الدولة الأموية إلى سنة ١٣٢هـ وهى السنة التى قتل فيها مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية .

وقد إنتصر الإسلام منذ بدأ المصطفى صلى الله عليه وسلم دعوة النـــاس كافة إلى عبادة الله مع قلة عدد المسلمين ، وقلة عددهم ، لقوة إيمـــانهم بـــالله ، ورسوخ العقيدة الإسلامية فى نفوسهم وإنتصر المسلمون فى عصر الخلفاء الراشدين بإيمانهم بالإسلام والعقيدة وأخلاقهم السامية وإقتدائهم برسول الله وكان النصـــر حليف خلفاء الدولة الأموية ولا عجب فقد كان المسلم يـــهب نفســه وأولاده وأمواله فى سبيل إعلاء كلمة الله ، فخضعت لهم الأمم العنيدة القويـــة وتعـــددت الأجناس والألوان البشرية التى إعتنقت الإسلام .

أحوال العرب قبل الإسلام

الأحوال الإقتصادية :

قامت الحياة الإقتصادية فى وسط شبه الجزيرة العربية على عاملين أساسيين هما الرعى والتجارة هذا بالإضافة إلى الزراعة فى بعض المناطق التى غرزت بها المياه أما الصناعات فكانت يدوية وقليلة .

- **الزراعة** : إعتنى العرب بالزراعة فى بعض البقع الخصبة فى الجزيرة ، لأن الأكثرية الساحقة كانت تعيش على ما تعطيه الماشية . فقد إزدهرت الزراعة فى اليمن ، وإشتهرت بإنتاج العطور والطيوب والمر والكافور . ومن المعروف أن بلاد اليمن عرفت قديماً عند اليونان ببلاد العرب السعيدة لكثرة خيراتها ومحصولاتها الزراعية نتيجة للأمطار الموسمية الغزيرة التى إستغلها السبئيون لسقاية أراضيهم المرتفعة . كما إهتم مكارب سبأ بإستصلاح الأراضى الزراعية وحققوا أعظم مشروعات الرى فى العصر القديم ، ومن أهمها شبكة من السدود يبلغ عددها نحو ثمانين سداً لحجز مياه الأمطار والسيول للإفادة منها فى رى مساحات كبيرة من الأراضى ، ومن أشهر هذه السدود سد مأرب الذى كان له أعظم الأثر فى زيادة الرقعة الزراعية بمأرب وتحويل الأراضى السبئية إلى جنات يانعة جاء ذكرها فى القرآن الكريم: " لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية . جنتان عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور" .

وكانت الزراعة أيضاً من الحرف الهامة عند عـــرب الشـــمال فى بعض الحواضر الحجازية كالطائف ويثرب فى العصر الجاهلى ، وفى الحـيره فى عصر المناذرة ، وفى عدة قرى من جنوبى الشام فى عصر الغساســـنة . فإشتهرت الطائف بزراعة الحنطة والحبوب والفواكه وخصوصاً العنـــب والتمر اللذين كانا يمثلان الثروة الزراعية الرئيسية لها فى العصر الجـاهلى . كما إشتهرت يثرب بزراعة الشعير والفواكه كالعنب والرمان والتمـــر . وإشتهرت الحيرة بمزارع النخيل والبسلتين والجنان التى إمتدت فى نواحيـها من النجف حتى الفرات .

ولكن لقلة الأمطار والأحوال المناخية فى أماكن كثـــيرة ، فقـــد إحترف العرب الرعى ، وقاموا بتربية الحيوانات التى لا يتطلب وجودهـــا كميات وافرة من المياه أو الخضرة مثل الأغنام والماعز . وإهتموا بتربيـــة الجمال لأنها أقدر الحيوانات على السير على الرمال وتحمل جـــو هـــذه المناطق ، أما الخيل فكان إهتمام العرب بها بالغاً لإستخدامها فى القتـــال والسباق والتنقل .

- **التجارة** : إشتهر العرب فى الجاهلية بالتجارة حتى قيل "ان كل عـــربى تاجر" . وكانت شبه الجزيرة تمثل بحراً واسعاً تخترقه قوافـــل الإبـــل وكانت تتبع المسالك المعروفة حيث يتوفر الماء ، وكان هناك طريقـــان رئيسيان للقوافل إحداهما من الشمال إلى الجنوب غير بعيد عن البحـــر الأحمر وهو فى الشمال يتفرع إلى الشرق تجاه سوريا ، وإلى الجنـــوب

الغربي تجاه فلسطين ومصر وهو فى الجنوب يسير شوطاً مع ساحل حضرموت .

أما الطريق الثانى فهو يخترق الجزيرة العربية من البحر الأحمر إلى الخليج الشرقى ماراً بمكة ، ويتفرع فى قلب الجزيرة فرعين أحدهما يتجه إلى الشمال الشرقى فيصل شط العرب ويتجه الآخر إلى الجنوب الشرقى ويسير هذا مع الخليج العربى ماراً بدبى ومسقط وظفار . ولقد تعود أهل مكة على القيام برحلتين تجاريتين سنوياً احداهما صيفاً وتتجه إلى شمال بلاد الشام ، والأخرى جنوباً إلى بلاد اليمن ، وقد حدثنا القرآن الكريم عن هاتين الرحلتين .

كما شهدت شبه الجزيرة عدة أسواق سنوية شهيرة إجتمع فيها العرب للتجارة مثل سوق عدن الذى كان يقام فى أول رمضان ومنها يحمل الطيب إلى سائر الآفاق ، ثم سوق صنعاء فى النصف من شهر رمضان ، ثم سوق عكاظ بأعلى نجد فى ذى القعدة ، وغيرها وقد أحصاها اليعقوبى عشرة أسواق .

• **الصناعة** : كان نصيب الصناعة أقل بكثير من حرفتى الزراعة والتجارة . فإقتصرت فى اليمن على صناعة الجلود والمنسوجات والسيوف والرماح والأوانى الخزفية التى تفوقوا فى صناعتها . أما الحيرة فقد كانت التحف المعدنية والحلى من أرقى الصناعات فيها ، وكانوا يبدعون فى صناعة أدوات الزينة من ذهب وفضة ويصنعونها

بالجواهر واليواقيت . أما الحجاز فقد إشتهروا بصناعة الأسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودروع ونبال ، وإشتهرت مكة بصناعة القدور والجفان والصحاف الخزفية ، وفى يثرب قامت الصناعات المعتمدة على الإنتاج الزراعى مثل الخمور من التمر والقفف من سعف النخل ، والنجارة من شجر الطرفاء والأثل ، كما إختصت يثرب أيضا بصناعة التحف المعدنية وأدوات الزينة والأسلحة والدروع، وقد احترف اليهود هاتين الحرفتين .

الأحوال الدينية :

تعددت عبادات العرب قبل ظهور الإسلام وكانت عبادة الشمس والنجوم أكثرها إنتشارا ، وقد استعاروا من الأمم المجاورة لهم كثيرا من آلهتهم . ويمكن القول بأن العرب كانوا قريبى عهد بمذهب الطوطمية ، والطواطم كائنات تحترمها بعض القبائل المتوحشة ، ويعتقد كل فرد من أفراد القبيلة بعلاقة نسب بينه وبين واحد منها يسمسه طوطمة ، وقد يكون الطوطم حيوانا أو نباتا وهو يحمى صاحبه ويدافع عنه ، ولذلك احترمه وقدسه ، فإذا كان حيوانا أبقى عليه وإذا كان نباتا لم يتجرأ على قطعه إلا فى أوقات الشدة .

وتتمثل الطوطمية من حيث وجهتها الدينية فى كثير من مظاهر حياة العرب قبل الإسلام ، فالعرب كانوا يتمسكون بأسماء حيوانات مثل: بنو أسد وبنو فهد وبنو كلب وبنو قرد وظبيان وأسماء حيوانات مائية مثل

قريش أو بأسماء نباتات مثل حنظلة أو بأسماء أجزاء من الأرض كفهر وصخر وحجر أو بأسماء حشرات مثل حنش وإن كانت هذه التسميات من قبيل التفاؤل فإنها تشير إلى تقديس العرب للحيوانات أو النبات وإن كان العرب يهدفون من وراء عبادتهم هذه لتحصيل البركة .

وكان العربى يتفائل بالطير كالحمامة ويتشائم من بعض الحيوانات كالغراب وكان العربى يؤمن بوجود قوه خفية مؤثرة فى العالم والإنسان كامنة فى بعض الطيور والنبات والجماد وفى بعض الظواهر المحيطة به كالكواكب ومن ثم قدسها وقد تطورت وثنية العربى إلى عبادة قطع الصخور ومن أمثلة هذه الصخور الجلسد وكان صنما بحضرموت تعبده كندة وكانت سدنته بنى سكامة بن شبيب بن السكون بن أشرس بن ثور بن مرتع وهو كندة وكان للجلسد سدنة منهم يسمى الأخزر بن ثابت من بنى علاق وكان للجلسد حمى ترعاه سوامه وغنمه وكان هذا الصنم على شكل جثة الرجل العظيم وهو من صخرة بيضاء لها كرأس أسود ، وإذا تأمله الناظر رآى فيه كصورة وجه الانسان .

ولم يكن تقديس العربى لبعض مظاهر الطبيعة على أنها تمثل أربابا، ولكن شعوره نحوها لم يكن يعدو الإجلال ، كما أن الأساطير التى نسجها حول النصب تدل صراحة على أنه لم يعبد الوثن معتقدا أنه خلق البشر أو الكائنات لأنه تارة يستقسم عنده ، وتارة أخرى يسبه ومرة ثالثة يأكله . ولم يصبح الوثن ربا إلا منذ القرن الثالث قبل الميلاد عندما تأثر بالوثنية المجاورة كالبابلية والرومانية واليمنية وعن أهل اليمن أخذ عرب

الشمال عبادة الكواكب وقوامها ثالوث كوكبي هو القمر والشمس والزهرة . أما القمر فكان الإله الأكبر ، ويليه الشمس وهى اللات ، والآلهة وكانت فى نظرهم زوجة القمر ، ومنهما ولد عثتر وهو الزهرة . وكان يطلق على جميع أسماء القمر لفظ مشترك وهو "ال" أو "ايل" أى الله ويقابله بعل أو هبل عند العرب الشماليين ومكانته عند عرب الجنوب أسمى من مكانة الشمس التى كانت تعرف بإسم ذات حميم .

أما الشمس فصنم عبده العرب قبل الميلاد وبه تسمى كثير من الأشخاص فعرفوا بعبد شمس والشمس أنثى فى العربية الجنوبية وفى العربية الشمالية آلاه أنثى وهى العزى ، أما فى الجنوب فهو آلاه الزهرة والزهرة هو المعنى به فى القرآن الكريم فى سورة الطارق آية ٣ " النجم الثاقب " وهو أكثر نجوم السماء تألقا .

وكان القمر يحتل فى ديانة العرب الجنوبيين المركز الأول ، ورمز للقمر بالثور ، أما الوثنية فى العربية الشمالية فكانت صورة تقليدية للوثنية البابلية وقد جلبت الأصنام إليهم من الخارج ومنها "هبل " وهو بعل ، و"اللات " وهو اللاتو البابلية ، و" مناة "وهى مامناتو البابلية بنت الآله ، و" العزى "وهى عشتار البابلية.

وكان بين العرب فئات غير اليهود و النصارى يعبدون إلها واحدا، وقدكان هؤلاء يسمون بالحنفاء يقولون بوجوب إستسلام الانسان لقضاء الله وقدره كما استسلم إبراهيم عليه السلام حين أمر بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام.

كما عرف العرب الديانتين الكبيرتين : اليهودية و النصرانية .

- **اليهودية** انتشرت اليهودية فى الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام ، فى يثرب وخيبر وتيماء وفدك ووادى القرى . وأشهر القبائل اليهودية بنو النضير ، بنو قينقاع ، وبنو قريظة . وقد عمل اليهود على نشر ديانتهم فى جنوبى الجزيرة فتهود بعض قبائل اليمن . ومن ثم انتشرت تعاليم التوراة ، وما جاءت به من أقوال بالبعث والحساب وقصة الخلق ،كما دخلت إلى العربية كلمات ومصطلحات دينية لم يعرفها العرب من قبل : كجهنم وإبليس .. الخ .

- **النصرانية** أما النصرانية فقد انتشرت فى الجزيرة العربية فى القرن الرابع الميلادى عن طريق سوريا وشبه جزيرة سيناء ، وانتشر مذهبين من مذاهب المسيحية فى الجزيرة وهما : المذهب النسطورى فى الحيرة والمذهب اليعقوبى فى الغساسنة وقبائل بلاد الشام .

أما نجران فكانت أعظم مواطن النصرانية فى جزيرة العرب ، وكانت تقوم فيها كعبة سميت كعبة نجران ، وقد بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثى على طرازكعبة مكة ، وقد اشتهر من حكماء النصرانية قس بن ساعدة وأسقف نجران وأمية بن أبى الصلت ، وعدى بن زيد . وقد عمل القساوسة والرهبان على نشر النصرانية بين العرب خاصة فى الأسواق كما انتشرت بين بعض العرب الذين اعتنقوا النصرانية الرهبنة ، وبناء الأديرة .

الأحوال الإجتماعية :

كانت الحياة الإجتماعية عند الجاهليين بسيطة كل البساطة . فقد إنقسموا إلى بدو وحضر ، **فالبدو** يعيشون متنقلين فى الصحراء ، وذلك طلبا للكلأ والماء والمرعى ، **أو** للغزو . أما **الحضر** فكانوا يعيشون حياة مستقرة ، فى مكة ويثرب والطائف ، ويشتغلون بالتجارة ويعتمدون فى غذائهم على التمور والألبان واللحوم والحبوب ، وكان الشرب والميسر من وسائل اللهو التى عرفوها .

طبقات المجتمع الجاهلى : إنقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات على أساس درجة الحرية التى كان يتمتع بها الفرد ، وهى :

١- الأحرار .
٢- الأرقاء .
٣- الموالى .

- **الأرقاء** : الرقيق أو العبد هو إنسان محروم من الأهلية ، مملوك لإنسان آخر يتصرف به تصرفه بملكه . وقد عرف العرب الرق كغيرهم من الشعوب القديمة ، وكان متفشيا بينهم على إختلاف دياناتهم ، حتى انهم أقاموا سوقا للإتجار بالرقيق تدعى "أسواق النخاسة" وكان تجار الرقيق يسمون "نخاسين" .

وكان العرب يجلبون أكثر عبيدهم من أفريقيا السوداء ، ويستخدمونهم فى مختلف الصناعات والأعمال حتى فى الحرب . كما كان العربى نفسه محلا للإسترقاق ، حيث تغزر قبيلة عربية جارة لها ، فتأسر رجالها وتسبى نسائها ، لذلك كان الغزو من أهم مصادر الرق عند عرب الجاهلية . و كانت العرب أيضا تسترق المدين الذى يعجز عن الوفاء ، كما تقامروا على أن من يقمر صاحبه إسترقه ، فكان الدين والقمار من مصادر الرق . غير أن العرب عرفوا العتق منذ عرفوا الرق ، فكان عتق الرقيق من ألوان الكرم والفخر ، أو مكافأة على عمل عظيم قام به العبد .

- **الموالى :** هم أرفع طبقة من العبيد . فالمولى عبد أعته سيده فأصبح حرا، له ما للأحرار وعليه ما عليهم ، ولكنه يظل مرتبطا بسيده القديم برابطة تسمى "الولاء" ومن مقتضاها : أن المولى إذا مات من غير وارث ورثه معتقه ، وإذا قتل دفعت ديته إلى معتقه ، وإذا إرتكب المعتق جريمة قتل ووجبت عليه الدية وعجز أقرباؤه عن دفعها ، دفعها المولى ، وإذا كان المولى أمة ، فإنها تخطب من معتقها وهو الذى يقبض مهرها ، والمولى فوق هذا لا يشرى ولا يباع ، ولا يباح له أن يتزوج حرة ، وديته نصف دية الحر . وهو ينسب إلى سيده السابق فيقال : فلان مولى فلان .

المرأة فى الجاهلية :

كانت المرأة تشارك الرجل فى الحياة العامة ، فتخوض الحروب مع الرجال ، وتمارس التجارة ، وتنظم الشعر . ولكنها كانت ضحية لتقاليد ظالمة مهينة ، فهى عرضة للسبى فى الغزوات ، وعرضة للوأد ، فإذا ولد للرجل بنت خشى على نفسه العار أو الفقر ، فإما أن يبقيها لرعى إبله وغنمه فى البادية ، وإما أن يئدها حية .

وهناك نقطة ثالثة سوداء فى تاريخ الجاهلية وهى تعدد الأزواج ، أى أن تجمع المرأة بين عدد من الأزواج فى وقت واحد ، وكان الطلاق بيد الرجل وربما إشترطته المرأة لنفسها ، وكانت المرأة إذا أرادت تطليق رجلها تحول فناء خبائها من جهة لأخرى، فإذا أفاق الرجل ووجده قد تحول ، علم ان امرأته قد طلقته فيفارقها .

الأحوال الفكرية :

كان الشعر من أكثر جوانب الحياة الفكرية عند العرب إشراقا ، وساعد على ذلك طبيعة بلاد العرب الفسيحة والتى منحت الخيال العربى إنطلاقا لا مثيل له إلى جانب الصراع العربى الذى كان عاملا حاسما فى شحذ قرائح الشعراء لكى يمدحوا ويهجوا ، وإتسعت مجالات قول الشعر إلى جانب ذلك فكان هناك الوصف والفخر والرثاء ووصف الأطلال إلى جانب أشعار الحب .

وشهدت أرض الجزيرة أيضا مجالات فكرية عملية مثل صناعة الطب والتى إنتقلت إليها بتاثير الفرس والرومان حيث نقل أطباء العرب قبل الإسلام وعلى رأسهم الحارث بن كلدة هذه العلوم . وقد لعبت الأسواق العربية دورها فى إذكاء الحركة الفكرية عند العرب التى وصلت قبل الإسلام إلى درجة من الرقى كافية لأن تتقبل الدين الإسلامى وتتذوقه، والدليل على ذلك أن العرب إستطاعوا تذوق القرآن كنص معجز سواء من ناحية البناء اللغوى أو بلاغة التعبير ، وتفهموا الفرق بينه وبين ما ينظمون من أشعار وأقوال .

الأحوال السياسية :

كان معظم سكان الجزيرة العربية قبائل بدوية تعيش من الغزو وتربية الماشية ، لا تعرف سلطة عامة ، تجتمع تحت لوائها . فقد كانت القبائل فى نجد ما كان بالقرب من الحيرة تبعا لملك العرب بالحيرة وما كان منها فى بادية الشام تبعا لملك غساسنة الشام ، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت تبعية إسمية لا فعلية ، فقد كان لهذه القبائل رؤساء منهم تسودهم القبيلة وأعظم مسود عندهم كان عندهم الشجاعة والكرم والحلم والثروة والعدد ، فمتى وجدت هذه الصفات فى رجل ساد القبيلة. وقد يورث الأب الرئاسة لإبنه ، وإذا توالى من البيت الواحد ثلاثة رؤساء عرف البيت بالشرف والمجد . وكان لهؤلاء الرؤساء ما يشبه سلطان الملوك فى رعاياهم غير أنهم كانوا لا يتوجون .

غير أن الأمر كان يختلف إختلافاً كبيراً بالنسبة لمكة والمدينة والطائف . فقد كانت مكة مرحلة بين المدينة والقبيلة ، فهى تشبه المدينة من حيث المظهر الخارجى ، ومن حيث الإستقرار والأمن ، ولكنها تختلف عن المدن من ناحية بارزة جداً وهى أنها كانت محرومة من سلطة عامة تتولى إدارتها والسهر على حياتها الإقتصادية والإجتماعية . ولكننا لا نستطيع أن ننكر ما وصلت إليه مكة من تنظيم قبيل الإسلام ، ولا يمكن الإغضاء عن الحلف الذى عقدته قبائلها وسمته حلف الفضول والذى كان يهدف إلى إنصاف كل مظلوم وإيصال حقه إليه سواء كان مكياً أو غير مكى . كما عرف القرشيون نوعاً من مجالس الشورى ، إذ أنهم كانوا يجتمعون للمذاكرة والتشاور فى الأمور العامة والخاصة ، وكانت الإجتماعات تتم فى دار الندوة .

القضاء فى الجاهلية :

لم يعرف العرب القضاء بالمعنى الحديث ، وإنما كانوا يحتكمون فى ما بينهم من خلاف إلى رئيس القبيلة ، أو إلى حاكم يختاره المتخاصمون، لثقتهم بضميره ورجاحة عقله . كما أنه لم يكن ثمة محاكم لهؤلاء المحكمين "وإنما فى بيته يؤتى الحكم" ، وكان الحكام كما كانوا يسمونهم يستندون فى أحكامهم إلى التقاليد والأعراف والعادات ، وكانت أحكامهم غير ملزمة للمتخاصمين .

ظهـــور الإســـــلام

محمد بن عبد الله ﷺ :-

كان عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف كبير قريش وسيدها وله عشرة رجال ، منهم أبو طالب وعبد الله وحمزة والعباس وأبـــو لهـــب . وكان عبد الله أحب أبناء عبد المطلب إليه وأجمل رجال قريش وتميز بعقله الرزين وكان يسمو على شباب قريش بخلق هادئ ، وقد إختــــار عبـــد المطلب لولده عبد الله أمنة بنت وهب ابن عبد مناف سيد بـــنى زهـــرة وكان من أشرف بيوت قريش فتزوج بها عبد الله بمكه وبعد قليل خـــرج تاجرا إلى الشام ، فلما وصل المدينة وبها أخواله من بنى عدى ابن النجـــار أدركته منيته فى شهرين من الحمل لإبنه محمدﷺ .

وفى صبيحة يوم الأثنين التاسع من شهر ربيع الأول وقيل فى يـــوم الأثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول لأول عام مـــــن حادثـــة الفيـــل ولأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان ويوافق العشرين من شهر إبريل سنة ٥٧١ م ولد صاحب الدعوة الإسلامية محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصى ابن كلاب ﷺ ويرتفع نســـبه إلى معد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام

وكان أول من أرضع رسول الله ﷺ ثُوَيْبَةُ مولاة عمه أبى لهب، ومع أنها لم ترضعه سوى أيام فقد ظل يحفظ لها هذا الجميل وما زال يكرمها ويبرها حتى ماتت وهو بالمدينة ، فلما ماتت سأل عن إبنها مسروح فعلم أنه مات قبلها .

وكانت العادة عند الأشراف من أهل مكة أن يبعثوا بأطفالهم إلى البادية لأمرين : **الأول** : أنهم يتعدون عن جو المدينة وهوائها الوَخِم الثقيل إذ كانوا يعتقدون أن جو البادية أصح وأنقى وأحسن أثراً فى نمو الأطفال ، **الثانى** : أنهم يتقنون اللسان العربى عن البدو وهم أجهر صوتاً وأسلس عبارة .

وكانت المراضع من نساء البادية يأتين إلى مكة من آن إلى أخر ، يلتمسن الرضع من الأطفال وقد اختير لمحمد ﷺ امرأة من بنى سعد بن بكر بن هوازن وإسمها حليمة بنت أبى ذؤيب وزوجها هو الحارث بن عبد العزى المكنى بأبى كبشة، وفطم رسول الله ﷺ قريباً من أربع سنوات ، فردته حليمة إلى أمه وجده فأقام معها بمكة .

وحين بلغ ﷺ السادسة من عمره ، ذهبت به أمه إلى يثرب لزيارة أخواله بنى عدى بن النجار وزيارة قبر والده عبد الله بن عبد المطلب ومعها عبد المطلب جد النبى وأم أيمن وهى بركة الحبشية جارية أبيه ، وبينما هى راجعة إذ مرضت فى الطريق ثم توفيت ودفنت بالأبواء بين مكة والمدينة، فعاد عبد المطلب بحفيده وكان يحبه حباً جماً . ثم كفله جده

عبد المطلب وضمه إليه ، وكان يؤثره على بنيه ولثمانى سنوات من عمره ﷺ توفى جده عبد المطلب وأوصى به قبل وفاته إلى أبى طالب عمه شقيق أبيه .

وعمل رسول الله ﷺ أول ما عمل فى رعى الغنم رغبة منه فى معاونة عمه أبى طالب . ولما بلغ ﷺ تسع سنوات أو ثلاث عشر سنة خرج أبو طالب إلى الشام تاجراً وأخرجه معه حتى وصل بُصرى وهى معدودة من الشام وقصبة حوران وكانت فى ذلك الوقت قصبةً للبلاد العربية التى كانت تحت حكم الرومان .

ولخمس عشر من عمره كانت **حرب الفجار** بين قريش وكنانة وبين قيس عيلان ، وكان قائد قريش حرب بن أمية ، وكان رئيس بنى عبد المطلب وقد حضر هذه الحرب فى بعض أيامها ، وكان ينبل على عمومته أى يجهز لهم النبل للرمى ، وأحياناً كان يرمى السهام معهم كما يرمون . وقد دامت هذه الحرب أربع سنين ، و لم تنته إلا بعد أن تصالحت قريش وقيس عيلان على أن يعدوا القتلى من كلا الفريقين ، ثم يدفع الفريق الأقل عدداً فى القتلى دية العدد الذى يزيد على قتلاه . وقد حدث رسول الله ﷺ أصحابه عن حرب الفجار فقال : " قد حضرته مع أعمامى ورميت فيه بسهم ، وما أحب أنى لم أكن فعلت " .

كذلك شهد النبى ﷺ مع عمومته **حلف الفضول** وهو فى سن العشرين، وهو حلف تداعت فيه قريش إلى نصرة المظلوم ، فإجتمع رجال

بنى هاشم وبنى عبد المطلب وبنى أسد وبنى زهرة وبنى تيم، فى دار عبد الله بن جدعان ، فتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوماً إلا نصروه وكانوا معه، حتى يرد إليه حقه ، فكان هذا الحلف أكرم حلف سمع به فى العرب، وقد حدث ﷺ أصحابه عن ذلك الحلف فقال : " لقد شهدت فى دار عبد الله حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم ، - حمر النعم نوع ممتاز من الإبل كان يضرب به المثل فى الجودة والقيمة - ، ولو دعيت به فى الإسلام لأجبت" .

وفى سن الخامسة و الثلاثين شارك رسول الله ﷺ قومه فى بناء الكعبة حين أصابها السيل ، فلما بلغوا موضع الحجر الأسود أرادوا أن يضعوه فى مكانه فأختلفوا أيهم ينال هذا الشرف العظيم واشتد بينهم الخلاف حتى هموا أن يتحاربوا ، لولا أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان وقتئذ أسن قريش كلها ، دعاهم إلى أن يحكموا بينهم فى هذا الأمر أول من يدخل عليهم من باب المسجد فكان هو رسول الله ﷺ ففرحوا وقالوا :" هذا الأمين : رضينا، هذا محمد ".

وكان رسول الله ﷺ قد عرف بينهم بسداد الرأى وصواب الحكم فطلب رداء ووضع فيه الحجر الأسود وطلب من الرؤساء أن يمسك كل رئيس بطرف منه وأمرهم أن يرفعوه حتى إذا حاذى موضعه أخذه بيده فوضعه فى مكانه ثم بنى عليه .

كان محمداً مثلاً عالياً بين أهل مكة ، ترنو إليه عيونهم ، وتهفو إليه قلوبهم ، ويقع منهم موقع الإكبار والإعجاب والحب فقد عـرف بـين شباب مكة بالإستقامة وعرف بين رجالها بالحزم وعلو الهمـة وسـداد الرأى، وكان فوق ذلك حلو الحديث جَمَّ التواضع ، لطيـف العشـرة يعطف على المساكين .

وكانت خديجة بنت خويلد مثلاً بين نسـاء مكـة فى الجمـال والشرف وطهارة النفس ذات تجارة عريضة ، وكانت قافلتها أحياناً تَعْدِل قوافل قريش بأجمعها وكانت تستأجر الرجال من أهل مكة ليتّجروا لهـا فتختار لذلك من تثق به وتطمئن إليه . وكانت السيدة خديجـة تعـرف محمداً وتلاحظه منذ نشأته ، لأنه من بنى عمومتها يلتقى نسبهما معـاً فى قصى بن كلاب ، و لما تجاوز النبى ﷺ سن العشرين وجهتـه السـيدة خديجة إلى الشام فى تجارة لها وأرسلت معه غلامها ميسرة فذهب حتى أتيا الشام وباعا وإبتاعا وربحا ثم عادا إلى مكة . وحدث ميسرة سيدته عـن أمانته ﷺ وصدق حديثه وطهارته وما بشره به أحد الرهبان مـن أهـل الشرائع ويدعى نسطور الراهب من أمر نبوته .

بعد هذه الرحلة عرضت السيدة خديجـة علـى الرسـول ﷺ أن يتزوجها وكان سنها فى ذلك الوقت أربعين سنة فقد أرسلت إليه عمـها عمرو بن أسد ، وحضر الرسول ومعه عمه أبو طالب وحمـزة فزوجـها منه و إياه ، وكانت خديجة أول إمرأة تزوجها النبى وهـو بـن خمـس

وعشرين سنه ولم يتزوج النبى غيرها حتى ماتت ، وهى أم أولاده جميعاً ماعدا إبراهيم الذى ولد له بالمدينة من مارية القبطية .

بشائر النبوة .

أشارت الكتب السماوية التى أنزلها الله على رسله وأنبيائه إلى رسول يكون آخر الرسل وخاتم الأنبياء يرسله الله إلى الناس كافة يجمعهم على دين واحد وشريعة واحدة ، " قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً " سورة الأعراف(١٥٨). وكان الأنبياء والمرسلون جميعاً يعرفون بأمر هذا الرسول ويبشرون به قومهم ، ويأخذون العهود والمواثيق عليهم، أن يؤمنوا به وينصروه إذا أدركهم زمانه ، ويقول بعض المفسرين : أن الله سبحانه وتعالى قد أشار إلى هذا الرسول بقوله عز وجل من سورة آل عمران : " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم، لتؤمنن به ولتنصرنه . قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا : أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (٨١) " .

وقد جاء فى التوراة التى أنزلت على موسى وفى الإنجيل الذى أنزل على عيسى عليهما السلام وصف هذا النبى ووصف أصحابه حيث يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الأعراف : " الذين يتبعون الرسول النبى الأمى ، الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به

وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هـــم المفلحـــون - (١٥٦) قل : يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا ، الذى لـــه ملـــك السموات والأرض ، لا إله إلا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النـبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون (١٥٧) " .

وحيث يقول سبحانه وتعالى فى سورة الفتح : " محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغـــون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلـــك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخـــرج شـــطأه فـــآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعـــد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما (٢٩) " .

وقال الرسول : " مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بـــنى دارا فاكملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونهـــا ويتعجبـــون ويقولون : لولا موضع اللبنة ! فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين " . قال جـــل شانه : " إن الدين عند الله الإسلام وما إختلف الذين أوتوا الكتـــاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فإن الله ســـريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن إتبعنى ، وقل للذيـــن أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد إهتدوا وإن تولوا فإنمـــا عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد " سورة آل عمران (٢٠-٢١).

فالإسلام دين الله نادى به أول الرسل وآخر الرسل ، لقد دعا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الله أن يجعلهما مسلمين ويجعل من ذريتهما أمة مسلمة لله ويبعث فيهم رسولاً منهم . قال تعالى : " ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم " سورة البقرة (١٢٨-١٢٩).

وبشر به عيسى بن مريم إذ قال : " يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم ، مصدقاً لما بين يدى من التوراة ، ومبشراً برسول يأتى من بعدى إسمه أحمد " سورة الصف (٦) . وكان من أسمائه ﷺ محمد وأحمد ، فقد سماه جده محمداً وكانت أمه تدعوه أحمد . وفى ذلك يقول رسول الله : " أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشر بى عيسى بن مريم .. أنا محمد وأحمد ، أنا رسول الرحمة .. وأنا الماحى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى " .

وقد وصفت التوراة والإنجيل بلاد العرب بأنها أرض النبى المنتظر ، ولعل هذا كان من الأسباب التى دفعت اليهود والنصارى إلى أن يسكنوا أرض الجزيرة العربية . وكانت هناك إرهاصات تدل على قرب زمانه حتى ان بعض الحنفاء الذين كانوا يبحثون عن الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام طمع فى أن يكون هو هذا النبى المنتظر ، وحتى أن بعض العرب سمى ولده محمداً طمعاً فى أن يكون هو النبى المنتظر . وكان الأحبار من اليهود

والرهبان من النصارى يتحدثون بأمر الرسول قبيل مبعثه لما وجدوا فى كتبه من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه ، حتى ان يهود المدينة كانوا يعتقدون أنه منهم ، ويتوعدون به أهلها من العرب ، لما كان بينهم من خلافات ومنافسات .

روى ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن رجال من قومه قالوا : " إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا أن كنا نسمع من يهود ، وكنا أهل شرك وأوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : " إنه قد تقارب زمان نبى يبعث الآن ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم " فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم . فلما بعث رسول الله أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم غليه ، فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت هذه الآية : " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين " سورة البقرة (٨٩)" .

ولم يكن العلم بمبعث رسول الله مقصورا على الأحبار والرهبان من اليهود والنصارى ، بل كان **الكهان من العرب** يعرفون كذلك شيئا منه ، إذ كان أتباعهم من شياطين الجن يذهبون إلى السماء ، فيتخذون منها مقاعد للسمع فيعرفون بعض أخبار السماء ثم يعودون بها إلى

أوليائهم من الكهان ، فيشعوذون بها على الناس ، ويخلطون الحق بالباطل فلما ولد رسول الله حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعدها لاسترقاق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرفت الشياطين أن ذلك لأمر حدث من أمر الله سبحانه وتعالى ، وفى ذلك أنزل الله على رسوله سورة الجن ...وفى هذه السورة يقول الله عز وجل على لسانهم : " وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا وشهبا (٨) وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا (٩) وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا (١٠) .

كان الرسول ﷺ دائم التفكير كثير الصمت ، ينظر فى أحوال العرب فيهوله ما هم عليه من الجهل والفساد ويحزنه ما هم فيه من الغفلة والضلال ، ويقلقه مصيرهم الذى يصيرون اليه، فيفكر ويطيل التفكير فى أمرهم ، ويتمنى أن لو صلح حالهم ، وانكشف عن أبصارهم هذه الغشاوة .

حتى أهل الدين من اليهود والنصارى ، لا يقلون فى أحوالهم فسادا عن العرب ، فهناك كثير من السيئات تدنس أعمالهم . ليس هؤلاء - إذن- بأرشد من أولئك، فكيف السبيل إلى إصلاح هؤلاء وهؤلاء ؟ كان هذا الهم الثقيل هو الذى شغل به رسول الله باله ، وأقلق من أجله راحته وكانت هذه الحيرة الشديدة هى التى يضيق بها صدره وتنقبض لها نفسه ، فكان يفر بهمه إلى الخلوات ويأوى إلى الجبال ، وهنالك يخلو إلى نفسه فى

عزلة من الناس ، يتفكر ويتأمل ، ويتوجه بقلبه وجوارحه إلى الله بـــارىء السموات والأرض، أن يشرح له صدره بنور الحق وأن يخرجه من هـــذه الحيرة ويهديه سواء السبيل .

بعثـــة الرســـول ﷺ والفترة المكية :

كانت كل الدلائل تنبيء أن محمد بن عبد الله هذا الفتى القرشـــي سيكون له شأن عظيم وأن الله ﷻ قد إختاره لمهمة سامية . وما أن بلـــغ رسول الله ﷺ أربعين سنة من عمره بعثه الله ﷻ رحمة للعالمين وأول مـــا بدأ به الرسول ﷺ من الرؤيا الصادقة أثناء نومه ، فكان لا يرى رؤيـــا إلا كانت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء والإنفراد بنفسه فكـــانﷺ يخلو فى كهف صغير بأعلى جبل حراء فى الشمال الشرقى من مكة علـــى نحو ثلاثة أميال ، فكان ﷺ يأوى إلى هذا الغار فيعتكف فيه اياما و ليـــلى يتعبد حتى جاءه الحق وهو فى الغار فى ليلة القدر التى هى خير من ألـــف شهر إذ تفتحت فيها بركات السماء على الأرض وظهرت فيها بشـــائر رحمة الله لعباده فنزل فيها الروح الأمين جبريل بوحى الله ﷻ على رسـوله محمد ﷺ .

وكان ذلك فى شهر رمضان سنة ٦١٠ م . وفى ذلك يقـــولﷺ فيما يرويه ابن هشام عن عبيد بن عمير : " فجاءنى جبريل و أنـــا نـــائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال : إقرأ . قلت : ما أقرأ ! قال : فغتنى بـــه حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : إقرأ :! قلتُ : ما أقرأ ! قـــال : فغتنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : إقرأ :! قلت : مـــاأقرأ !

قال : فغتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : إقرأ :! قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا إفتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى ، فقال: إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم " . (سورة العلق : ١-٥) .

قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببت من نومى فكأنما كتبت فى قلبى كتابا . قال : " فخرجت حتى إذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد : أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال فرفعت رأسى إلى السماء أنظر فإذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى فى آفاق السماء، فلا أنظر فى ناحية إلا رأيته كذلك . فما زلت واقفا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى ، حتى بعثت خديجة فى طلبى ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها و أنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى وانصرفت راجعا إلى أهلى حتى أتيت خديجة " .

ورجع ﷺ يرجف فؤاده من الروع ، فلما انتهى إلى زوجه خديجه حدثها بالذى رأى ، فقالت خديجة : أبشر يا ابن عم وأثبت فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة .

انطلقت السيدة خديجة إلى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها بـه رسول الله ﷺ فقال ورقة : قدوس قدوس ، والذى نفس ورقة بيده لئـن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسـى وإنه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت . فرجعت خديجة إلى الرسـول ﷺ فأخبرته بقول ورقة ابن نوفل .

ثم التقى النبى ﷺ وهو يطوف بالكعبة بورقة بن نوفل ، فقال لـه ورقة : "والذى نفسى بيده لإنك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك النـاموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أنـا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه " . ثم فتر الوحى عن رسـول الله ، وانقطع عنه جبريل فلم يعد يواصله بوحى السماء كما كان يتوقع ، واستمر على ذلك مدة .

وذكر الزهرى أنه كلما أوفى على ذروة جبل بدا له جـبريل عليه السلام يقول له : "إنك لنبى " فيسكن لذلك جأشه ، وترجـع إليـه نفسـه . وذكروا أنه لما أبطأ عن الرسول ﷺ التنزيل بعض الإبطاء ، قـال كفـار قريش : " ودعه ربه وقلاه " ، فنزلت عليه سورة الضحى ، أقسم له ربـه جل جلاله فيها أنه ما تركه وما أبغضه منذ أحبه . وبينما كان يسير يوما إذ سمع صوتا ، فرفع رأسه إلى مصدره ، فإذا جبريل بـين السـماء والأرض ، فخشى منه الرسول ﷺ رهبة ، ودخله منـه روع ، وأسـرع إلى داره يرتجف وأتى خديجة وطلب منها أن تدثره ، فنزلت عليه سورة المدّثر : "يا أيها المدثر. قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر. ولا

تمنن تستكثر . ولربك فاصبر " . ثم تتابع الوحى ، فقرت بذلك عينـــه، وربط جأشه ، واطمأن قلبه ، وأيقن أنه رسول الله حقا .

ومنذ ذلك الحين ، بدأت مرحلة جديدة فى حياتـــه ،ﷺ وهـــى اضطلاعه بعبء الرسالة التى لايتحملها إلا أهل القوة والعزم من الرســـل بعون من الله ﷻ .

ومما يزيد هذا العبء ثقلا وشدة أنه تحمله فى مكة وهى مركـــز دين العرب وبها سدنة الكعبة والقوام على الأوثان والأصنام المقدسة عنـــد سائر العرب ، ، فكيف يدعو قريشا إلى الحق ، وهو يعلم أنهم أحرص مـا يكونون على باطلهم ؟ وأى طريق يسلك لإقناعهم بأن ما هم فيه هـــو الباطل ، وأن ما جاءهم به هو الحق ؟ وكيف وهذا الحق يبطل عقائدهم ، ويهدم تقاليدهم ، ويهدد كل ما يتطاولون به على النـــاس مـــن جـاه وسلطان ، وما يستمتعون به فى الحياة من لذة ومتاع ؟

فهل يمكن إقناعهم بأن آلهتهم من الأصنام لا تنفـــع ولا تضـــر ؟ وهل يمكن أن تصدق قريش ، بأن وراء هذه الحياة حياة أخرى ، فيـــها الحساب وفيها الجزاء على ما قدم الإنسان فى الحياة الدنيا ؟ وما عســى أن تكون هذه الحياة ؟ إنها لمعضلة صعبة ، ومشكلة معقدة ، وإنها لتحتاج إلى مدد من القوة والعون الإلهى .. فبادر الرسول ﷺ بالدعوة إلى الإســـلام وترك عبادة الأصنام وبدأ بأقرب الأقربين إليه ، فكان يدعو سرا كل مـــن يثق به ويطمئن إليه من أهله ومن خلصائه ، فآمنت به زوجه خديجـــة ،

وصدقت بما جاءه من الله ، وكانت له نعم المعين ، تثبته وتشحذ من عزيمته ، وتخفف عنه كل ما يلم به من هم ، وتهون عليه ما يلقاه من الكافرين، وآمن به على بن أبي طالب ، وكان يعيش فى بيت الرسول ﷺ وكان يومئذ إبن عشر سنين ، وكان أول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب ابن عبد العزى .

وكان أبو بكر أول من صدقه من الرجال الأحرار ، وكان ذا جاه وثروة فى قريش . وكان يحب رسول الله حبا شديدا وكانت تجمعه به جامعة قوية من الثقة والإخلاص وصدق الصحبة . فما كاد رسول الله يعرض عليه الإسلام حتى أسلم ، وكان أبو بكر محبوبا فى قومه ، فجعل يدعو إلى الإسلام سرا من كان يثق به من أصدقائه وأحبائه ، وأسلم على يد أبي بكر خمسة من كبار صحابة النبى وهم : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، والزبير بن العوام بن خويلد ، وعبد الرحمن بن عوف من بنى زهرة ، وسعد بن أبي وقاص من بنى زهرة ، وطلحة بن عبيد الله التميمى ، جاء بهم إلى النبى فأسلموا ، ثم أسلم بعدهم أبو عبيدة عامر بن الجراح من بنى الحارث بن فهر ، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم المخزوميان ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وسعيد بن زيد العدوى وإمرأته فاطمة بنت الخطاب العدوية . وأسماء بنت أبي بكر وعائشة بنت أبي بكر وكانت بعد صغيرة ، وخباب بن الأرت ، وعمير ابن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، وسليط بن عمرو بن عبد شمس ، وخنيس بن حذافة بن عدى ، وعبد الله بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وخالد بن سعيد ابن العاص ، ونعيم ابن أسيد ، وعمار بن

ياسر ، وصهيب بن سنان ، أما عمر بن الخطاب فلم يسلم إلا بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة فى السنة السادسة من البعثة .

الجهر بالدعوة :

إستمر رسول الله يدعو إلى الإسلام سرا ثلاث سنين . وأصحابه من حوله يدعون بدعوته ، فيستجيب لهذه الدعوة من أراد الله له الهداية ، فأجابه فى خلالها جماعة لهم شأن ومعهم غيرهم من المستضعفين ، فازداد عدد المؤمنين لكنها كانت زيادة ضئيلة ، تطرد فى تعثر وتمشى على إستحياء ، إذ كان الناس فى مكة يخشون بأس قريش ، فكان الذين يسلمون منهم يسلمون فى حذر وخوف ، فكان أصحاب الرسول إذا أرادوا أن يصلوا خرجوا إلى ظواهر مكة ، مستخفين بصلاتهم من عيون كفار قريش خشية أن تراهم .

وبعد هذه المدة أمر الله رسوله بإظهار دينه بقوله تعالى فى سورة الحجر آية ٩٤ - ٩٥ " فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزءين". فأعلن لقومه الدعوة إلى الله وتوحيده ، وذكر إبن سعد أنه لما أوحى الله إلى رسوله أن ينذر عشيرته الأقربين ، وأنزل عليه فى ذلك قوله سبحانه فى سورة الشعراء من ١١٤ - ١١٦ " وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل : إنى برىء مما تعملون " . صعد رسول الله ﷺ على الصفا وجعل يصيح : " يا صباحاه ! يا صباحاه ! " جريا على عادة العرب حين

يتداعون لأمر مهم ، حتى إجتمعت إليه بطون قريش وسألوه عن طلبه قال: " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقى ؟ " قالوا : نعم . أنت عندنا غير متهم ، وما جربنا عليك كذبا قط . قال : " فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد .. ! يا بنى عبد المطلب ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى زهرة ، يا بنى تيم ، يا بنى مخزوم ، يا بنى أسد – حتى عد الأفخاذ من قريش – إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، و إنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة و لا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا : لا إله إلا الله .. يا معشر قريش ، إنقذوا أنفسكم من النار ، فإننى لا أغنى عنكم من الله شيئا .. إن مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله أن يسبقوه إليهم ، فجعل يهتف : يا صباحاه ! يا صباحاه ! أتيتم، أتيتم ..

فقاطعه عمه عبد العزة بن عبد المطلب ، وكان يدعى " أبا لهب"، لأن وجهه – فيما يقال – كان مشرقا حسنا ، تتلهب وجنتاد بالحمرة كما تتلهب النار وكان ثريا شديد التعصب لدين قريش وكانت فيه حدة وسفاهة ، فقاطعه أبو لهب بقوله : " تبا لك سائر اليوم .. ! ألهذا جمعتنا؟" وكان هو أول من رد عليه فكذبه و آذاه ، وصرف الناس عنه ؛ فأنزل الله فى ذلك قوله سبحانه : " تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد " .

على أن هذه الصيحة لم تذهب سدى ، فقد شاع حديث الدعوة في مكة منذ ذلك اليوم ، وتحدث الناس به في مجالسهم وأنديتهم ، وواصل الرسول الجهر بالدعوة رغم ما لاقى في بداية الأمر من معارضة زعماء وسادة قريش الذين رأوا في هذه الدعوة قضاء على سيادتهم وخطرا على مصالحهم ، وكان أشدهم عداوة وأعنفهم حربا للرسول ودعوته أبو جهل بن هشام ، وأبو لهب بن عبد المطلب ، وعقبة بن أبي معيط ، وقد كانا الأخيران جارين للنبي ﷺ يؤذيانه أشد الأذى . وفي ذلك يقول رسول الله : " كنت بين شر جارين : بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط .. إن كانا ليأتيان بالفروث – ما يخرج من كرش الذبيحة – فيطرحانها على بابي ، حتى أنهم ليأتون ببعض ما يطرحون من الأذى فيطرحونه على بابي .. فيخرج به الرسول – فيقول : يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ؟ ثم يلقيه بالطريق" .

إضطهاد قريش للمسلمين :

وواصل النبي عرض دعوته على قومه ، فلم يبعد منه قومه و لم يردوا عليه حتى عاب آلهتهم و سفهها ، وحقر من شأنها ونسب كل من عبدها أو جعلها بينه وبين الله إلى الضلال وجر ذلك إلى تضليل آبائهم فإنهم كانوا يحتجون عليه دائما لأنهم يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم وتلك هي العقبة في سبيل كل المصلحين ، فلما كان ذلك نفروا منه وبادروه بالعداوة . ولكن الله حما رسوله بعمه أبي طالب الذى كان شريفا مطاعا في قومه ، فأجار الرسول ﷺ وقام دونه فصد قريش عنه .

لما رأت قريش أنه صار فى منعة بجوار أبى طالب ، مشى رجال من أشراف قريش إليه منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان بن حـــرب ، وأبو البخترى العاصى بن هشام ، والأسود بن المطلب ، وأبو جهل بـــن هشام ، والوليد بن المغيرة، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، والعاصى بن وائل .. فقالوا : " يا أبا طالب ، إن إبن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننـــــا ، وسفه أحلامنا وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينـــه فنكفيكه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ! " . فقال لهـــم أبـــو طالب قولا جميلا فانصرفوا عنه .

ثم مشوا إلى أبى طالب مرة ثانية فقالوا له : " يا أبا طـــالب ، إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد إستنهيناك من إبن أخيك فلم تنهــــه عنا . وإنا لا نصبر على هذا ! " . وخيروه بين أن يكفه عمـــا يقـــول أو ينازلونه وإياه فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ، ثم إنصرفوا . فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفسا بخذلان إبـــن أخيـــه ، فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال : يا بن أخى ، إن قومك جاءونى وقالوا لى كذا وكذا ، فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيـــق. فظن الرسول أن عمه خاذله ومسلمه ، فقال رسول الله ﷺ : "والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه " . ثم إستعبر رسول الله فبكـــى ، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : " أقبل يا بن أخى " . فلما أقبل عليه قال له : "إذهب فقل ما أحببت ، فوالله ما أسلمك لشىء أبدا".

ومنذ ذلك الحين نذر أبو طالب حياته ، ووقفها لحماية النبى ، ويذكر ابن إسحق أن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله وإسلامه ، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة وقالوا له أن هذا الفتى أنهد فتى فى قريش وأجمله ، فخذه ، فلك عقله ونصره ، وإتخذه ولدا فهو لك ، وأسلم لنا بن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل برجل . فقال لهم أبو طالب : " لبئس ما تسوموننى ! أتعطوننى إبنكم أغزوه لكم ، وأعطيكم إبنى تقتلونه ؟ " . ولما رأى أبو طالب أن الأمر بينه وبين قريش أصبح جدا لا هزل فيه قام فى أهل بيته بنى هاشم وبنى المطلب ولدى عبد مناف وعرض عليهم ما دار بينه وبين قريش وتشاور معهم فيما يجب أن يفعل، ودعاهم إلى ما هو عليه من منع إبن اخيه والقيام دونه ، فاتفق رأيهم جميعا على أن يزودوا عن شرفهم ، وأن يقفوا صفا وراء رسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم حمية للجوار العربى إلا ما كان من أبى لهب فانه كان مع قريش .

وهكذا وقفت قريش كلها صفا ، ووقف بنو هاشم صفا ، وأخذت العداوة بين الفريقين تعمل عملها ، وإشتد بقريش الغيظ ، ولم يجدوا متنفسا لغيظهم إلا أن يثوروا بالضعفاء الذين أسلموا ، فانقضت كل قبيلة على من فيها ممن إتبع محمدﷺ من العبيد والمساكين والفقراء والموالى ، يعذبونهم ويفتننونهم عن دينهم ، وإبتدعوا ضروبا من الشر تدل بوحشيتها على ما كانت تغلى به صدورهم من الحقد على الإسلام وعلى كل من يؤمن بها أو يدافع عنها ، ومن هؤلاء الذين عذبوا بلال بن رباح

الحبشى فعذبه أمية بن خلف ، ومنهم عمار بن ياسر وأبوه وأمه وكان ياسر حليفا لبنى مخزوم ، فكانوا يخرجون عمارا وأباه وأمه إلى مكان يكثر فيه الحصى يعذبونهم بحر الرمضاء فمر بهم النبى ﷺ فقال : " صبرا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة " . وقد استشهدت سمية أم عمار إذ طعنها أبو جهل فى قلبها بحربة فى يديه فكانت أول شهيدة فى الإسلام .

الهجرة إلى الحبشة :

ولما رأى النبى ما أصاب أتباعه المسلمين من الإضطهاد ، ورأى أنه غير قادر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، أشار عليهم أن يهاجروا إلى الحبشة ، وقال لهم : " لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه".

وكانت الحبشة تدين بالنصرانية ، وكان ملكها النجاشى نصرانيا، ويبدو أن إختيار النبى للحبشة لأول هجرة فى الإسلام كان له هدفان : **الأول** الإيماء إلى قريش بأن عدوانها على المسلمين قد يضطرهم إلى الإلتجاء إلى الإستعانة بقوة خارجية لحمايتهم . **والثانى** كسب تأييد للدعوة الإسلامية من شعب مؤمن بالنصرانية ، فضلا عن نشر الإسلام خارج الجزيرة ، ومن النصارى بالذات بإعتبارهم أهل كتاب ، تدعيما لمركز المسلمين فى مكة . وقد أثمرت هذه السياسة بدليل أن ملك الحبشة كما ذكر ابن هشام كان قد آمن بالإسلام و بمحمد ، وذكر أيضا أنه

قدم على رسول الله وهو بمكة عشرون رجلا أو ما يقرب من ذلك العـدد من نصارى الحبشة . وقيل أن هؤلاء كانوا من أهل نجران .

وهذه كانت أول هجرة فى الإسلام ، وكـان المـهاجرون أولا عشرة رجال وأربع نسوة نذكر منهم : عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت النبى ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهيل ، ومن بنى أسد بن عبد العزة الزبير بن العوام ، ومن بنى عبد الدار مصعب بـن عمير بن هاشم ، ومن بنى زهرة عبد الرحمن بن عوف ، ومن بنى مخـزوم أبو سلمة بن عبد الأسد وزوجه أم سلمة، ومن بنى جمح بن عمرو عثمـان بن مزعوم ، ومن بنى عدى بن كعب عامر ابن ربيعـة وزوجـه ليلـى. وكانت الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة فى شهر رجب من السنة الخامسـة للدعوة الإسلامية .

فلما وجد المسلمون من الطمأنينة والأمن فى الحبشة ما لم يجـدوه ، شجعهم ذلك على أن يبعثوا فى طلب إخوانهم المضطـهدين فى مكـة ، فهاجر عدد كبير من الصحابة إلى الحبشة فبلغوا نحو الثمانين رجلا ، عـدا من كان معهم من النساء والأطفال ، فأكرمهم نجاشى الحبشة وأمنـهم على حياتهم ، فغاظ ذلك قريشا ، ودعاها إلى التفكير فى أمر هذه الهجرة.

قال ابن الأثير فى كتابه الكامل : " لما رأت قريش أن المـهاجرين قد إطمأنوا بالحبشة وأمنوا ، وأن النجاشى قد أحسن صحبتهم ، إئتمـروا بينهم ، فبعثوا عمرو ابن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة ، ومعهما هديـة

إليه وإلى أعيان أصحابه ، فسارا حتى وصلا إلى الحبشة ، فحملا إلى النجاشي هديته و إلى أصحابه هداياهم و قالا لهم : إن ناسا من سفهائنا فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا فى دين الملك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن و لا أنتم ، وقد أرسلنا أشراف قومهم إلى الملك ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم. وخافا إن سمع النجاشي كلام المسلمين ألا يسلمهم . فوعدهما أصحاب النجاشي المساعدة على ما يريدان . ثم أنهما حضرا عند النجاشي فأعلماه ما قد قالاه ، فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهما فغضب من ذلك ، وقال : لا والله لا أسلم قوما جاورونى ونزلوا بلادى وإختارونى علي من سواى حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان ، فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما وإن كانوا على عكس ما يذكر هذان منعتهم وأحسنت جوارهم " .

ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب النبى ﷺ فدعاهم وقد أجمعوا على صدقه فيما ساءه وسره ، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبى طالب ، فقال لهم النجاشي : " ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم و لم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من الملل " ، فقال جعفر : " أيها الملك ، كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله ، وأن لا نشرك به شيئا ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث ، وآداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن

المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة والصيام ، وعدد عليه أمور الإسلام ، قال : فآمنا به وصدقناه ، وحرمنا ما حرم علينا وحللنا ما أحل لنا فتعدى علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك وإخترناك على من سواك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك ".

فقال النجاشي : " هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ " فقرأ عليه صدرا من سورة مريم ، فبكى النجاشي وأساقفته و قال : إن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة ، إنطلقا . والله لا أسلمهم إليكما أبدا .

فلما خرجا قال عمرو بن العاص لعبد الله بن أبي ربيعة : والله لآتينهم غدا بما يبيد خضرائهم . فقال عبد الله وكان أتقى الرجلين : لا تفعل ، فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا . قال عمرو : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد . فلما كان الغد قال للنجاشي : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما . فأرسل النجاشي فسألهم عن قولهم فى المسيح ، فقال جعفر : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، فأخذ النجاشي عودا من الأرض ثم قال : ما عدا عيسى ما قلت هذا العود، فأغضب منه بطارقته ولكنه لم يحفل بذلك وقال للمسلمين : إذهبوا فأنتم آمنون ، ورد هدية قريش .

وطابت الإقامة للمسلمين بأرض الحبشة فأقاموا به آمنين نحو إحدى عشر عاما لم يرجع منهم أحد إلى مكة إلا عثمان بن عفان وزوجه رقية ، أما بقية المهاجرين فقد رجعوا إلى المدينة بعد أن هاجر النبى إليها وبعد صلح الحديبية فى السنة السابعة من الهجرة .

وعلى أى حال فقد كانت نفوس قريش تغلى بالحقد على رسول الله ﷺ وتعرض منهم لكل صنوف الأذى ، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله مظهر لأمر الله، كذلك عانى أبو بكر الصديق كثيرا من إيذاء قريش له ، فإستأذن رسول الله فى الهجرة إلى الحبشة ، فأقنعه الحارث بن يزيد ، سيد الأحابيش بالعودة إلى مكة بعد أن أجاره .

كان أشد القرشيين عداوة للرسول ﷺ أبو جهل بن هشام بن المغيرة ، فلقى رسول الله عند الصفا ، فجعل يسبه ، ورسول الله ﷺ معرض عنه ، وعلم بذلك حمزة ابن عبد المطلب عم الرسول وهو راجع من صيده ، فإنطلق من فوره إلى أبى جهل فوجده جالسا فى قومه ، فأقبل نحوه " وضرب رأسه بالقوس فشجه شجة منكرة ، و قال : أتشتمه وأنا على دينه ؟ أقول ما يقول فأردد على إن إستطعت . وقامت رجال بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإنى سببت ابن أخيه سبا قبيحا " .

ويذهب حمزة بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ وكان أعز بني قريش وأشدهم شكيمة ، فيعلن إليه إسلامه فتقوى به شوكة الإسلام . ثم أسلم عمر بن الخطاب بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة وكان رجلا جلدا منيعا ، عنيفا شديد البأس ، يمتاز بطوله الفارع وجرأته النادرة ، وكان كثير الأذى للمسلمين ، وكان يضمر للإسلام ورسوله عداوة لا تقل فى عنفها عن عداوة خاله أبي جهل ، لكنه مع كل ذلك كان رقيق القلب .

ومما يدل على شدة بطشه على المسلمين ما روته أم عبد الله بنت حثمة وكانت زوج عامر بن ربيعة ، والله إنا لنرحل إلى أرض الحبشة إذ أقبل عمر بن الخطاب وهو على شركه حتى وقف على . قالت : وكنا نلقى منه البلاء أذى وشدة علينا . فقال : أتنطلقون يا أم عبد الله ؟ قلت: نعم ، والله لنخرجن فى أرض الله ، فقد آذيتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا . فقال : صحبكم الله .. ورأيت له رقة وحزنا لم أكن أراها ثم إنصرف . قالت : فلما عاد عامر و قلت له : لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا ؟ قال : أطمعت فى إسلامه ؟ قلت : نعم . فقال : لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب .. لما كان يرى من غلظته وشدته على المسلمين .

ولا شك أن إسلام حمزة ، وعمر ، فى ذلك الوقت كان له أثر كبير فى تقوية شأن المسلمين بمكة فكانوا قبل إسلام عمر بن الخطاب لا يستطيعون الصلاة عند الكعبة ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عندها وصلى معه المسلمون وأصبح من اليسير على المسلمين أن يجهروا بتلاوة

القرآن ، كما شجع حمزة وعمر الكثيرين على الإقتداء بهما والدخــول فى الإسلام .

رأت قريش أن كل ما استعملته من وسائلها مع النبى وصحبــه ، من المسالمة والإغراء ، ومن السخرية والإستهزاء ، ومــن التعذيــب ، لم يجدها نفعا . فحارت فى أمرها فلجأت إلى سلاح المقاطعة ، فلعله يكــون أمضى .

قال ابن اسحاق : " فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله قــد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا ، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منــهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو فى القبائل . اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابـا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ، على ألا ينكحوا إليــهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم . فلما إجتمعــوا لذلــك كتبوه فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفـة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم . فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنــو هاشم ، وبنو المطلب إلى أبى طالب ، فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بنى هــاشم أبو لهب بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم " .

وحصر بنو هاشم وبنو المطلب بنسائهم وأطفالهم فى الشــعب لا يتصل أحد بهم من القوم ولا يتصلون بأحد ، وأحكمت قريش عليــهم الحصار وظلوا مقاطعين ثلاث سنين ، قطعت قريش عنهم خلالها الطعــام

والشراب ، وكان أبو لهب وأبو جهل هما زعيمى هذه الحركة ، فأما أبو لهب فكان يحرض التجار على أن يغالوا عليهم فى الثمن حتى يعجزوهم فى الشراء ، وأما أبو جهل فكان دائم اليقظة والنشاط لإحكام الحصار حتى يؤدى إلى غايته التى قدرتها قريش وهى أن يتخلى بنو هاشم وبنو عبد المطلب عن رسول الله فيسلموه إليهم فيقتلوه ، أو يتخلى رسول الله عن دعوته فيقضى عليها .

تسامع العرب بهذه المقاطعة فأخذوا يتساءلون عن خبر هذه الدعوة ، وأدرك العرب أنه لابد أن تكون هذه الدعوة شيئا خطيرا ، فأخذوا يتعرفون حقيقتها وأغراضها ، فكان ذلك سببا فى ذيوع أمرها بين العرب ، ورأت قريش أنها لم تصل إلى غايتها من هذه المقاطعة ، وأن بنى هاشم وبنى المطلب قد صبروا للمحنة ، ويبدو أن قريش قد أحست أن العرب قد إستنكروا منها هذه العقوبة الشنيعة فخشيت أن ينال ذلك من سمعتها بين العرب .

وأخيرا أخذت الحمية والرأفة بعض القرشيين وكان من هؤلاء هشام بن عمرو العامرى وكان يأتى بالطعام ثم يخرج ليلا ويقدمه إلى بنى هاشم وبنى المطلب ، وممن كان يصلهم بالطعام أيضا حكيم ابن حزام .

قال ابن سعد فى الطبقات : " ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم ، وأن الأرضة - العتة - قد أكلت ما فيها من جور وظلم ، وبقى ما كان فيها من ذكر الله عز وجل .. فذكر ذلك رسول الله لعمه

أبو طالب ، فذكر ذلك أبو طالب لإخوته ، و خرجوا إلى المسجد ، فقال أبو طالب لكفار قريش، إن ابن أخى قد أخبرنى - و لم يكذبنى قط - أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة ، فلحست كل ما كان فيها من جور وظلم أو قطيعة رحم ، وبقى فيها كل ما ذكر به الله . فإن كان ابن أخى صادقا نزعتم عن سوء رأيكم ، وإن كان كاذبا دفعته إليكم فقتلتموه أو إستحييتموه . قالوا : قد أنصفتنا . فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها ، فإذا هى كما قال رسول الله ﷺ . فسقط فى أيديهم ونكسوا على رؤوسهم ، فقال أبو طالب : علام نحبس ونحصر وقد بان الأمر ؟ ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة فقال : اللهم انصرنا ممن ظلمنا ، وقطع أرحامنا ، وإستحل ما يحرم عليه منا .. ، ثم إنصرفوا إلى الشعب " .

عند ذلك مشت طائفة من قريش فى نقض تلك الصحيفة ، وهم: هشام بن عمرو بن الحارث العامرى ، وزهير بن أبى أمية المخزومى ، والمطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، وأبو البخترى بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، فإجتمعوا وتعاهدوا على نقض الصحيفة وإبطالها و إخراج بنى هاشم من الشعب . وقال لهم زهير : أنا أبدؤكم واكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة مناسبة للموقف فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فدعاهم إلى نقض الصحيفة ، فقال : يا أهل مكة ، أنأكل الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم والمطلب هلكي ، لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ..؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة ! فقال له أبو جهل : كذبت ! والله لا تشق ! فقال زمعة

بن الأسود : أنت والله أكذب ..! ما رضينا كتابتها حين كتبت . فقال أبو البخترى : صدق زمعة . فقال المطعم بن عدى : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها ..! فقال هشام بن عمرو مثل ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قد قُضى بليل .

وإضطرب الأمر بينهم فقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة فشقها . وفى رواية : قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة ، فلبسوا السلاح ، ثم خرجوا إلى بنى هاشم وبنى المطلب فأمروهم بالخروج إلى مساكنهم . قال ابن سعد فى الطبقات : فلما رأت قريش ذلك سُقط فى أيديهم ، وعرفوا أنهم لن يسلموهم . وكان خروج بنى هاشم وبنى المطلب من الشعب فى السنة العاشرة من البعثة .

وفى هذا العام العاشر من البعثة فقد الرسول ﷺ بعد حادث المقاطعة بقليل عمه أبا طالب وعمره بضع وثمانون سنة ، وزوجته خديجة وأصبح رسول الله ﷺ أمام عدوه وجها لوجه فكان حريا أن يشتد به الحزن ، وأن تستبد به الوحدة ، وأن يقل الخروج و يلازم البيت ، حتى يجعل الله من همه فرجا ، ومن ضيقه مخرجا.

وفى هذا العام أسرى الله برسوله من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس وعرج به فى هذه الليلة إلى السماء وكان رسول الله يعلم أن الله يرعاه ويحوطه ويعصمه من الناس .

فلما إشتد أذى قريش له رأى أن يلجأ إلى بلد آخر غير مكة ينشر فيها دعوته، فخرج إلى الطائف وكانت قبيلة ثقيف بالطائف أول من فكر رسول الله فى دعوقم إلى الإسلام بعد قريش وكانت له بثقيف صـــلات من الرحم ، فقد استرضع فى بادية بنى سعد وهى جزء من بادية الطـــائف وقد أشاد بهذه الصلة خطيب بنى ثقيف يوم حنين إذ جعل يستعطف النبى على أسارى قومه .

فخرج الرسول إلى الطائف ومعه مولاه زيد بن حارثة يلتمس مـن أهلها الحماية ويدعوهم إلى نصرة دعوته والإيمان بها وجلس إلى طائفة من سادتها ودعاهم إلى الإسلام ولكنهم لم يجيبـــوه إلى مـــا أراد وأخـــذوا يتهكمون عليه وأغروا به سفهاءهم ، وراحوا يسبونه ، حتى تجمع عليـــه القوم فقعدوا له صفين على طريقه ، فلما مر جعلوا لا يرفع رجليـــه ولا يضعهما إلا رموهما بالحجارة حتى أدموهما ، وحاول زيد أن يقيه بنفســه حتى شج فى رأسه ، وألجأوه إلى حائط بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه ورجع السفهاء عنه وجلس ﷺ إلى ظل شجرة الكرم وقال : " اللـــهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، اللهم يا أرحـــم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلـــنى . إلى بعيـــد يتجهمنى . أو إلى عدو ملكته أمرى . إن لم يكن بك على غضب فـــلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع ، إنى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت بـــه الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والاخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحـــل بى سخطك " . ثم إنصرف الرسول ﷺ إلى مكة و لم يستجب له من أهـــل الطائف رجل واحد.

بيعتا العقبة الأولــى والثانية :

عاد رسول الله إلى مكة بعد رحلته إلى الطائف ، وحضر موســم الحج بعد أن أجاره المطعم بن عدى وعاود نشر الإســلام بــين أهلــها يدعوهم إلى الله ، فلما رأى أن قريشا لازالت تعمل على مناوأته ، فكــر فى التحول عن دعوة أهل مكة إلى دعوة قبائل العــرب فصــار كلمــا إجتمعت قبائل العرب فى موسم الحج يعرض نفسه عليهم ولا يســألهم إلا إيوائه ومنعته حتى يبلغ رسالة ربه و لم ييأس الرســولﷺ مــن إعــراض القبائل ، وكان كلما أتى قبيلة يدعوها إلى الإسلام تبعه عمه أبو لهب فإذا فرغ رسول الله من كلامه يقول لهم أبو لهب : " يا بنى فلان إنما يدعوكم هذا إلى أن تسلخوا اللات و العزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجــن إلى ما جاء به من الضلالة و البدعة فلا تطيعوه و لا تسمعوا له " . فلما قــدم سويد ابن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف وهــو مــن الأوس حاجــا ومعتمرا دعاه ﷺ إلى الإسلام وقرأ عليه بعض آيات من القرآن الكــريم ، فاستحسنه ، ثم إنصرف وقدم المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج يوم بعــاث فكان قومه يقولون قتل وهو مسلم .

فلما أراد الله إظهار دينه و إنجاز وعده ، خرج رســول الله ﷺ فعرض نفسه على قبائل العرب مثلما كان يفعل فى كل موسم ، وبينمــا كان عند العقبة بمنى لقى برهط يتألف من ستة نفر من الخزرج فدعــاهم إلى الإسلام وتلى عليهم آيات قرآنية فلقيت دعوته قبولا منهم ، و عزمــوا

على أن يحدثوا قومهم فى شأنه ويدعوهم إلى الإسلام فلمـــا عـــادوا إلى المدينة أخذوا ينشرون الإسلام بين قومهم حتى فشى فيهم، فلم تبقـــى دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر من ذكر رسول الله ﷺ ، وفى العام الثـــانى عشر من البعثة وفد إلى مكة فى موسم الحج إثنى عشر من الأنصار مـــن الأوس والخزرج فلقوا رسول الله عند العقبة فبايعوا الرسول على الإســـلام وهو ما يعرف بإسم العقبة الأولى ، وبعث معهم الرسولﷺ مصعب بـــن عمير بن هاشم بن عبد مناف ليقرأهم القرآن وفيها عاهدهم النبى على ألا يشركوا بالله شيئا وأن يجتنبوا السرقة والزنا وقتـــل الأولاد ، وألا يـــأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، وألا يعصوا النبى فى معروف .

ولم يزل مصعب يدعو إلى الإسلام حـــتى لم يبـــق دار مـــن دور الأنصار إلا و فيها مسلمون إلا ما كان من بنى أمية بن زيد ، ووائـــل ، وواقف فإنهم أطاعوا أبا قيس ابن الأسلت فوقف بهم عن الإسلام حـــتى هاجر النبى ﷺ .

ولما كان الموسم التالى ، أى فى السنة الثالثة عشر لبعثته ﷺ خـــرج من يثرب ثلاث وسبعون رجلا وإمرأتان وإتفقوا على لقاء النبى عند العقبة بمنى ، فقدم إليهم ومعه عمه العباس و كان على دين قومه إلا أنه أحـــب أن يحضر أمر ابن أخيه ليتوثق له وقد بدأ العباس الكلام فقال :" يا معشـــر الخزرج وكانت العرب تسمى الأوس و الخزرج به ، إن محمدا منا حيـــث قد علمتم فى عز ومنعة وأنه أبى إلا الإنقطاع إليكم ، فإن كنتـــم تـــرون أنكم تفون بما دعوتموه إليه ومانعوه فأنتم وذلك وإن كنتم ترون أنكـــم

مسلموه فمن الآن فدعوه فإنه فى عز و منعه ". فقال الأنصار : " قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت ، فتكلم وتلى القرآن ورغب فى الإسلام ثم قال تمنعونى مما تمنعـــون منــه نســائكم و أبناءكم".

وافق الحاضرون على كلام النبى ﷺ ورد عليه البراء بن معـــرور قائلا :"والذى بعثك بالحق لنمعنك مما نمنع منه ذرارينا فبايعنا يا رســول الله فنحن والله أهل الحرب" . ثم قال أبو الهيثم بن التيهان :" يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالا وإنا لقاطعوها ، يعنى اليهود ، فهل عســيت إن أظهرك الله عز وجل أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ " فتبسم رسول الله ﷺ وقال :" بل الدم الدم والهدم الهدم أنتم منى وأنا منكم أسالم من ســالمتم وأحارب من حاربتم ".

طلب الرسول ﷺ من الأنصار أن يختاروا له إثنى عشر نقيبا يمثلون قومهم فإختاروا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ليكونـــوا رؤســاء عليهم وبهذه البيعة التى تعرف ببيعة العقبة الثانية تمهدت للمسلمين الهجـرة إلى يثرب . ومما لا شك فيه أن بيعة العقبة الثانية كانت أخطر بيعـــة فى تاريخ الدعوة الإسلامية فقد تطورت بعدها الحوادث تطورا سريعا بـــين المسلمين وقريش ، فأما المسلمون فقد إنفتحت أمامهم أبواب من الآمـــال واسعة فقد قضوا فى مكة ثلاثة عشر عاما وهم قليـــل مســتضعفون فى الأرض يذوقون ألوانا من العذاب فلما تمت هذه البيعة ملأ الأمل قلوبهـم ، وأيقنوا أن نصر الله قريب فجعلوا يتسابقون فى الهجرة إلى يثرب بعـــد أن

سارع كثير من الأوس و الخزرج فى إعتناق الإسلام والدخول فى طاعة الرسول ﷺ .

وأما قريش فقد أخذت أخذا فى هذه البيعة فـإنقلبوا يلاحقون الأنصار فى كل طريق يريدون أن ينتزعوا من أعناقهم هذه البيعة إلا أنهم لم ينجحوا فى ذلك . فلما رأت قريش أن المسلمين يتسللون تباعا من بينهم ، ويلتحقون بإخوانهم الأنصار من أهل المدينة ، أحست بوادر الخطر فى هذه الهجرة فجعلت تحول بينهم وبين ما يريدون من هذه الهجرة، وتمنع من تستطيع أن تمنعه منهم ، لكنها لم تستطع أن تمنع إلا المستضعفين ، أما الأقوياء فقد هاجروا إلى يثرب حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب وبعض صحابة الرسول ومن إعتقله المشركون كرها .

أما رسول الله ﷺ فقد إنتظر أن يؤذنَ له فى الهجرة وكان أبو بكر كلما أراد الهجرة ، إستمهله رسول الله :" لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا " .

وتوجست قريش خيفة من هجرة الرسول إلى المدينة ، فـإجتمعوا فى دار الندوة و تشاوروا فيها وإتفقوا على قتله ، فأعلمه الله بذلك وخرج من داره بعد أن أمر على بن أبى طالب أن ينام فى فراشه وأمره أن يؤدى ما عنده من وديعة وأمانة وغير ذلك ، وخرج رسول الله ﷺ وقابل أبا

بكر الصديق وقال له أن الله قد أذن له فى الخروج من مكة فطلب منه أن يصحبه فى هجرته فأجابه إلى ما طلب ومضى به إلى غار ثور فدخل فيه .

وظل رسول الله هووصاحبه فى غار ثور ثلاث ليال ، يرقبان ما يكون من حال قريش فى حركتهم وسكونهم وثورتهم وهدوئهم ، إذ كانت قريش ترقب حركات الرسول وإنتدبت من يتبع حركته ، و قد روى الرواة أن فتيان قريش لما وصلوا إلى الغار و سمع أبا بكر دبيب أقدامهم ، أوجس أبا بكر خيفة على حياة الرسول حتى بكى ، وقال : "يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا". فهدأ رسول الله من روع أبى بكر وقال له :" لا تحزن إن الله معنا ، ما ظنك بإثنين الله ثالثهما ؟ ".

و لم تكد تمضى الثلاثة أيام حتى كانت قريش قد يأست من العثور على رسول الله ﷺ ، وأيقنت أنه قد أخذ فى طريقه إلى أصحابه بالمدينة فكفت عن البحث عنه فى مكة وما حولها ووجهت إهتمامها إلى طريق المدينة وجعلوا لمن يأتيها به حيا أو ميتا مائة ناقة فذهبت هذه الرسل يمينا وشمالا لكنها لم تظفر به .

وإنطلق ركب الرسول ﷺ فبلغ المدينة يوم الإثنين لإثنتى عشرة ليلة من ربيع الأول فى السنة الرابعة عشرة من البعثة و أنه توجه إلى قباء ، فنزل على كلثوم بن الهدم شيخ بنى عمرو بن عوف وأقام عند بنى عوف أربعة أيام .

وكان أول عمل قام به رسول الله فى قباء أن أسس مسجدا هنـــاك فكان أول مسجد بنى فى الإسلام ، وشارك الرسول أصحابــــه فى بنـــاء المسجد ثم خرج يوم الجمعة راكبا ناقته فلم أتى بنى سالم صلى الجمعة بمن معه من المسلمين وألقى عليهم خطبة الجمعة ثم توجه إلى المدينة وكــــان كلما مر على دار من دور الأنصار رحبوا بقدومه و يدعونـــه إلى المقـــام عندهم قائلين : " يا رسول الله هلم إلى القوة والمنعة ، فيقول خلوا سبيلها - يعنى ناقته - فإنها مأمورة " . وسار الرسول يمشى معه النـــاس حـــتى بركت ناقته فى مربد - موضع يجفف فيه التمر - لغلامين يتيمين من بـــنى مالك بن النجار فإبتاعه الرسول ﷺ منهما بعشرة دنانير وأمر أن يبـــنى فى مكانه مسجدا ، ونزل النبى ﷺ بدار أبى أيوب خالد ابن زيد الأنصـــارى حيث أقام سبعة أشهر حتى بنى مسجده ومساكنه .

دولة الرســـول فى المدينة :

كانت الحفاوة التى استقبل بها الرسول ﷺ فى المدينة مظهرا يختلـف كل الإختلاف عن مكة ، فأيقن أن الله قد أذن لدينه بالنصر وأن العقيـدة التى ظل يضع قواعدها ثلاثة عشر عاما على أساس الإيمان الصادق قـد أن لها أن تؤتى ثمارها .

وعلى هذا الأساس أخذ رسول الله يقيم أركان مجتمع إســـلامى جديد لدولته الجديدة فى المدينة لأنه أصبح رئيس هذا المجتمع الإســـلامى

من الناحية السياسية فضلا عن كونه نبيا مرسلا عليه أن يبلغ رسـالة الله سبحانه وتعالى .

فأما مجتمع المدينة فقد كان يتكون من عدة عناصر هى:

١- المسلمون و ينقسمون إلى مجموعتين :

أ- الأنصار من الأوس والخزرج .

ب- المهاجرون وهم المسلمين الذين هاجروا إلى المدينة .

٢ - اليهود :

أ- يهود بنو قينقاع .

ب- يهود بنو النضير .

جـ- يهود بنو قريظة .

٣ - الوثنيون من الأوس و الخزرج .

ذكرنا أن رسول الله بعد أن هاجر إلى يثرب أسس للمسجد الجامع فكان يصلى بأصحابه و يجتمع بهم فيه ، وإتخذ هذا المسجد شكلا يقـرب من شكل المربع وفتح فى المسجد ثلاثة أبواب بابا يقال له باب الرحمـة أو باب عاتكة ، وبابا يدخل منه رسول الله بإزاء باب عائشـة ، والبـاب الثالث فى مؤخرة المسجد ، أما القبلة فقد وجهـها النـبى ﷺ إلى بيـت المقدس بعد أن كان يترك للمسلمين فى أول عهده بالرسالة حرية إختيـار قبلتهم فى الصلاة وظل المسلمون يولون وجوههم فى الصـلاة إلى بيـت المقدس طوال ستة عشر شهرا ، أو سبعة عشر شهرا ، ثم حولت القبلة إلى الكعبة قبل غزوة بدر بشهرين .

كان مسجد الرسول فى المدينة مركزا لصلاة المسلمين وفيه كان يتشاور النبى مع أصحابه فى شئون السلم والحرب ، وفيه كانت تعقد ألوية المسلمين عند خروجهم عند الإستطلاع أو الحرب ، فضلا عن أن المسجد كان مركزا علميا وثقافيا يقرأ فيه القرآن والسنة النبوية .

كذلك آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين بعضهم ببعض ثم ربط بينهم وبين الأنصار برابطة المؤاخاة حتى لا تثور العداوة القديمة بينهم وكانوا يتوارثون بهذا الإخاء إرثا مقدما على القرابة ، أى أنه إذا مات أحد الأنصار ورثه أخوه المهاجر . وقد ظل التوارث بالمؤخاة حتى غزوة بدر فأنزل الله تعالى فى سورة الأنفال (آية ٧٥) : " وَ الذين أمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شئ عليم ". فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ورجع كل مسلم إلى نسبه وورثه ذو قرباه .

أما العلاقة بين المسلمين واليهود فى يثرب فقد كتب النبى ﷺ كتابا ينظم فيه العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين وخاصة اليهود ويتضمن هذا الكتاب الأمور الآتية :

١- أن جميع المسلمين أمة واحدة وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .

٢- قرر حرية العبادة لليهود كما فتح أمامهم باب الدخول فى الإسلام، وفى هذه الحالة لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم .

٣- جعلت الصحيفة من الرسول ﷺ حكما بين أهالى المدينة فى فـــض الخصومات.

٤- تضمن الكتاب العلاقة التى يجب أن تقوم بين قريش والمســـــلمين فقال :"وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها . وإن بينهم النصر على مـــــن دهم يثرب ".

٥- كما قرر الرسول ﷺ أن المدينة بلد يحرم فيها ما يحرم فى مكة .

٦- تضمن الكتاب مايتبع فى الحرب التى قد تقع بين المسلمين فى المدينـة وأعدائهم و يقرر أن كل جماعة تنفق على نفسها فقال الرسول ﷺ :"وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على مـــن حارب أهل هذه الصحيفة ".

أما بالنسبة لتشريع الجهاد فقد فرض الله على رسوله و المســـلمين الجهاد فى السنة الثانية للهجرة وقد شرع الجهاد لأمور منها :

١- الدفاع عن النفس وفى ذلك يقول الله تعالى :" أذن للذين يقـــاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير " سورة الحج (آية ٣٩) .

٢- تأمين الدعوة الإسلامية وصد من يقف فى سبيلها حتى لا يفتتن مـــن يريد الدخول فى الإسلام .

٣-محاربة الذين اضطروهم إلى الخروج من ديارهم بغير حق .

بدأ النبى ﷺ بعد ذلك إرسال الســـرايا والبعـــوث والخـــروج فى الغزوات للتصدى لقوافل قريش لمصادرة تجارتهم التى يذهبـــون بها إلى الشام، فبعد أن أقام بالمدينة خرج فى صفر من السنة الثانيـــة إلى ودان فى

شمال قديد من بادية مكة وكان يريد قريشا و بني ضمرة من كنانة فوادعته بنو ضمرة ثم رجع وأقام في المدينة بقية شهر صفر وصدرا من ربيع الأول ، وفي مقامه هذا بالمدينة عقد أول لواء في الإسلام لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فأرسله على رأس سرية تتكون من ستين راكبا ليس فيهم من الأنصار أحد حتى وصل مكان يسمى ماء الحجاز فلقى بها جمعا من قريش فلم يكن بين الفريقين قتال ثم بعث حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر في ثلاثين راكبا فلقى أبا جهل بن هشام في ثلثمائة رجل فحجز بينهم عدى ابن عمرو الجهني فإفترقوا و لم يقم بينهم قتال .

واصل الرسول ﷺ إرسال السرايا و البعوث و الخروج لغزو قريش، فقد خرج في شهر ربيع الأول حتى بلغ بواط من ناحية رضوى - رضوى على مسيرة سبع مراحل من المدينة - ثم رجع إلى المدينة ، وفي جمادى الأولى خرج إلى العشيرة وهو وادى بالقرب من مكة وودع فيها بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة ثم عاد إلى المدينة و لم يلق كيدا .

ثم علم أن كرز الفهرى أغار على مراعى المدينة فخرج في طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر فلم يدركه فعاد إلى المدينة وأقام بها رمضان ، وفي مقامه هذا أرسل سرية بقيادة عبد الله ابن جحش ومعه ثمانية من المهاجرين وكتب له الرسول كتابا أمره ألا يفتحه إلا بعد مسيرة يومين ، وعندما فتح عبد الله الكتاب وجد فيه : " إذا نظرت في كتابي هذا فسر حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم " .

فمضى عبد الله فى طريقه حتى إذا كان بنخلة مرت قافلة لقريش فيها عمرو بن الحضرمى حليف قريش فإعترضها المسلمون و كان ذلك آخر يوم من شهر رجب وهو من الأشهر الحرم فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله و أسروا منها عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان و قدموا بهما و العير إلى المدينة ، فلما رآهم الرسول عنفهم بما صنعوا وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الحرام وسفكوا الدم الحرام و أخذوا فيه الأموال وأسروا الرجال .

ومما لا شك فيه أن القتال فى الشهر الحرام كبيرة ، ولكن ما فعله المشركون كان أكبر إثما و أعظم حرما ، فقد أشركوا بدين الله وصدوا عن سبيله وآذوا المسلمين وصبوا عليهم ألوان العذاب فمات من مات ، وأخرجوهم من ديارهم ظلما بغير حق ، وحالوا بينهم وبين المسجد الحرام وهم أهله ، وفر بدينه من فر ثم هم هؤلاء يطاردوهم أينما ذهبوا و يثيرون عليهم الفتن ، ويؤلبون عليهم الأعداء . لقد فعلت قريش بالمسلمين كل ما تستطيع من الإيذاء والظلم وفتنة المرء عن دينه ، فأى خسارة أعظم من أن يرجع إلى الكفر بعد الإيمان ، و لم تتذكر قريش إلا حادثة عمرو بن الحضرمى ، وإستيلاب العير وإتخذتها حجة على رسول الله لإثارة العرب على الإسلام والمسلمين .

ولكن الله تعالى أنزل قوله فى سورة البقرة (آية ٢١٧) :
"يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر

من الكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ".

و مما لا شك فيه أن هذه الآية كانت إيذانا بقتال المشركين فى أى وقت والجهاد فى سبيل الله ومقاتلة الكفار حيثما وجدوا وترتب على ذلك عدة معارك هامة بين المسلمين والمشركين نشير إليها باختصار فيما يلى :

غزوة بدر الكبرى سنة " ٢ هـ " :

كانت حادثة ابن الحضرمى مفتاح من مفاتيح الخير وسببا من أسباب النصر والتأييد للمسلمين . فقد أرادت قريش أن تستغلها لإثارة العرب جميعا على الإسلام وإقامة حرب شاملة على المسلمين للقضاء على الدين الإسلامى .

وكان إنتصار الله ﷺ لما قام به عبد الله بن جحش وأصحابه مشجعا للمسلمين على التمادى فى مناوأة قريش فأخذت البعوث الخارجية بعد ذلك تتألف من المهاجرين والأنصار وأدركت قريش أنها مؤاخذة بما تفعل وبقدر ما كانت قريش تهتم بأمر حماية تجارتها من المسلمين كان المسلمون يفكرون فى قطع الطريق عليها فأخذوا يترصدون تجارتها ويقفون لها بكل سبيل فلعلها تنكسر شوكتها ، فتكف عن طغيانها وعدوانها على المسلمين .

وكانت العير التى خرج لها رسول الله ﷺ فى غزوة العشيرة أعظم عير لأموال قريش ، فقد قدرت بنحو خمسين ألف دينار فترامت إلى رسول الله أنبائها بأنها قد فصلت من الشام عائدة إلى مكة فندب لها أصحابه فقال لهم : " هذه عير قريش فيها أموالهم ، فأخرجوا إليها ، لعل الله يغنمكموها ".

وكان الرسول حريصا على ألا تفوته العير فى إيابها كما فاتته فى ذهابها،فإستنهض لها بعض أصحابه وخرج رسول الله فى شهر رمضان ومعه ثلاثمائة و بضعة عشر من المهاجرين والأنصار ، وكان قد أرسل بعثة بقيادة طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، يتحسسان خبر العير ولكنه خرج بأصحابه قبل أن يرجعا إليه حرصا على أن يدرك عير قريش .

سار الرسول ﷺ حتى بلغ بيوت السقيا وهى آبار عذبة على نحو ميل من المدينة فضرب عسكره هناك ثم عرض الجند فرد منهم صغارهم الذين لا يقوون على حمل السلاح ، فكان ممن ردهم عبد الله بن عُمر وزيد بن الأرقم و قام الرسولﷺ بتنظيم رحاله ، فجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة وعلى المقدمة الزبير بن العوام وأظهر السلاح وعقد ألوية ثلاثة : لواء أبيض يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان سوداوان إحداهما مع على بن أبى طالب ، والأخرى مع رجل من الأنصار . وقدم رسول الله أمامه عينين له إلى المشركين يأتيانه بخبر قريش هما بَسْبَس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء فإنتهى إلى ماء بدر فوجدا هناك جاريتين تستسقيان من

الماء فعرفا منهما أن قريش تصل إلى بدر غدا أو بعد غد فرجعا إلى رسول الله فأخبراه .

أما أبو سفيان فقد وصل إليه النبأ بأن رسول الله وأصحابه يترصدون عودته فأرسل رسولا إلى قريش ينبأها بما عزم عليه رسول الله ﷺ ويستنفرها إلى أموالها ، فخرج ذلك الرجل حتى أتى مكة فجدع بعيره وشق قميصه ووقف يصرخ ببطن الوادى : " يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد مع أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث ، فقالت قريش : أيظن محمد وأصحابه أنها كعير بن الحضرمى ؟ ".

وكان ذلك سببا فى إسراع قريش للخروج لمحاربة الرسول ﷺ و لم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبو لهب الذى أرسل مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وأقبلت قريش بعدها وعددها بين التسعمائة و الألف، وكان بينهم العباس بن عبد المطلب و أبو جهل فنزلت فى العدوة القصوى من الوادى . وكان أبو سفيان رئيس قافلة قريش قد غير الطريق الذى إعتاد أن يسلكه و سار بجانب البحر حتى وصل إلى مكة فأرسل إلى قريش ينهاهم عن المضى إلى بدر لمحاربة المسلمين . أما قريش فكادت أن تنقسم إلى فريقين : الأول يريد الرجوع مادامت التجارة قد نجت ، والثانى يريد الحرب يقوده أبو جهل .

أما المسلمون فقد خرجوا و فى مقدمتهم النبى ﷺ و نزل المسلمون على أول ماء بدر فجاء الحباب بن المنذر إلى رسول الله و قال : يا رسول الله أرأيت هذا المترل مترلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب و المكيدة ؟ قال : بل هو الرأى و الحرب و المكيدة! قال يا رسول الله : فإن هذا ليس بمترل فإنهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فنترله ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب و لا يشربون . فعمل الرسول برأى الحباب كما أخذ الرسول برأى سعد بن معاذ ببناء عريشاً للرسول ﷺ .

إلتقى الجمعان فى اليوم السابع عشر من شهر رمضان فى العام الثانى للهجرة النبوية و بدأت المعركة بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة من أشرافها هم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس و إبنه الوليد و أخوه شيبة فطلبوا من يخرج إليهم فبرز لهم ثلاثة من الأنصار فقال لهم القرشيون لا حاجة لنا بكم نطلب أكفاءنا من بنى عمنا فخرج لهم حمزة بن عبد المطلب و عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب ، وبدأت المبارزة فكان عبيدة بإزاء عتبة و حمزة بإزاء شيبة و على بإزاء الوليد، فأما حمزة وعلى فلم يمهلا شيبة والوليد فقتلاهما ، وأما عبيدة وعتبة فجرح كلاهما ، فكر حمزة وعليٌ على عتبة فقتلاه ، وحملا عبيدة ابن الحارث جريحاً إلى معسكر المسلمين .

كان لوجود الرسول ﷺ بين جيش المسلمين أعظم الأثر فى تقوية روحهم المعنوية فحملوا على كفار قريش حملة صادقة فإنهزم المشركون

هزيمة ساحقة وقتل من أشرافهم سبعون رجلاً ومن أشهرهم عتبة بن ربيعة، وحنظلة بن أبي سفيان ، وأبوجهل بن هشام ، وأبو البخترى العاصى بن هشام ،ونوفل بن خويلد ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأمية بن خلف . وأسر من المشركين سبعون رجلاً واستشهد أربعة عشر مسلماً .

ولما إنتهت غزوة بدر أمر الرسول ﷺ بدفن قتلى قريش وشهداء المسلمين وكانت هذه عادته فى غزواته ثم عاد النبى إلى المدينة ومعه الأسرى الباقون بإستثناء رجلين منهم أمر النبى بقتلهما وهما : النضر بن الحارث و عتبة بن أبي معيط ، وكان كلاهما شيطاناً من شياطين قريش ، ومن أشد المشركين إيذاء للنبى وصحبه ، وأفظعهم تقولاً على كتاب الله وعلى رسول الله .

وقبل أن يصل إلى المدينة قسم الأنفال بين المسلمين ثم أرس بشيرين إلى أهل المدينة يبشرونهم بالفتح أحدهما ريد ابن حارثة والثانى عبد الله بن رواحة فجعل الناس لا يصدقون الخبر و أخذ اليهود والمنافقون يشيعون أن محمداً هزم وأنه قتل هو وأصحابه .

وعندما أقبل رسول الله فقدم إليه الناس يهنئونه بفتح الله . فقال سلمة بن سلامة : ما الذى تهنئوننا به ؟ فوالله ما قتلنا إلاعجائز صلعا ، يريد بذلك تحقير مشركى قريش ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال :" يا إبن

أخى ، أولئك الملأ ، لو رأيتهم لهبتهم ، ولو أمروك لأطعتهم ، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرتها ".

ثم إستقر رأى رسول الله ﷺ بعد أن إستشار أصحابه على قبول الفداء من قريش فى الأسرى فأرسلت قريش فى فداء أسراها ، وكان فداء بعض الأسرى الذين يكتبون أن يعلم عشرة من صبيان المدينة الكتابة ، ومنهم من اعتق بغير فداء مثل أبو عزة الجمحى الشاعر بعد أن تعهد أن لا يكون ضد المسلمين بشعره ، وكان الجمحى محتاجا ذا بنات ، فكلم رسول الله فقال : يا رسول الله، لقد عرفت مالى من مال ، وإنى لذو حاجة وذو عيال ، فامنن على " .

وكان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع ، صهر رسول الله وزوج ابنته زينب . قال ابن اسحاق : " وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة .. فلما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله فى فداء أبى العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها، كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين تزوجها ، فلما رآها رسول الله رق لها رقة شديدة ، وقال : " إن رأيتم أن نطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها ، فافعلوا " فقالوا : " نعم يارسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذى لها . وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى العاص أن يخلى سبيل زينب ، فوعده ذلك " .

. وكان في الأسرى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله فطمع
أن يمن عليه رسول الله فيطلقه بلا فداء ، فأبى رسول الله إلا أن يدفع فديته ، وفدية نفر من أهله ومن حلفائه كانوا معه . ففدى نفسه وابني أخيه : نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعقيل بن أبي طالب ، وحليفه عتبة ابن عمرو أخي بني الحارث بن فهر .

كانت هذه الغزوة أولى معارك الجهاد في سبيل نشر الإسلام و كانت ضربة قاسمة لقوة ومكانة قريش ، وعززت مكانة النبي ﷺ في المدينة ورفع مكانة المسلمين بين العرب بالإضافة إلى ذلك فقد كسب المسلمون من إنتصارهم تجربة جديدة فقد وضعت قواعد ثابتة لتوزيع الغنائم والأنفال وتنظيم الفداء عن الأسرى فكان فداء الرجل ما بين الألف و أربعة آلاف درهم إلا من لا شئ عنده فمن عليه رسول الله . أما قريش فقد أخذوا يعدون العدة لمحاربة المسلمين فتنازلوا عن أرباح قافلة أبي سفيان قبل غزوة بدر للإنفاق على المعركة المقبلة للثأر ليوم بدر وتمكنت في خلال عام من تجهيز جيش يتكون من ثلاثة آلاف من سادة قريش و مواليها وأحابيشها من بني كنانة وغيرهم وإنضم إليهم نحو مائة من ثقيف للقضاء على المسلمين .

ومما لا شك فيه أن هذه الغزوة تشير إلى قوة إيمان الرسول والمسلمين فإن عددهم كان ٣١٤ رجلا ، ٨٣ من المهاجرين و٦١ من الأوس و١٧٠ من الخزرج ليس معهم سوى ثلاثة أفراس و سبعين بعيرا ، وقريش كانت بين التسعمائة و الألف وعندهم من العدة ما ليس مع

المسلمين ومع ذلك فقد إنتصر المسلمون ، و لم تستمر الحرب أكثر من نصف يوم فقد حمل المسلمون على الكفار حملة صادقة وأمدهم الله بجنود من عنده ، ونزلت الأية الكريمة :"إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إنى ممددكم بألف من الملائكة مردفين " . سورة الأنفال (آية ٩) .

أمر بنى قينقاع :

ومن نتائج غزوة بدر أن يهود بنو قينقاع كانوا أول من جاهروا بعداوة المسلمين ، فقد كانوا يسكنون بين المسلمين فى وسط المدينة وكان كعب بن الأشرف شاعرا من شعرائهم يستهزئ بالمسلمين ويهجو رسول الله ويحرض على قتله ، كما أشاد بأشراف قريش ، ويتفجع على قتلاهم، و لم يكفه أن فعل ذلك بالمدينة ، بل ذهب إلى مكة يحرض على رسول الله لتأخذ قريش بثأرها وتسترد هيبتها . وهكذا أصبح الجو بين المسلمين واليهود مشحونا بالعداوة ، وأصبح أى عمل من أعمال الإستفزاز كافيا لأن يشعل نار الحرب بين المسلمين واليهود ، وكانت الشرارة التى أشعلت نار الحرب ، حادثة أمرأة مسلمة ذهبت إلى سوق بنى قينقاع ، فجلست فى حاجة لها عند صائغ من صاغاتهم ، فإنتهك أحد اليهود حرمتها بفعلة تؤذى الكرامة ، فإندفع أحد المسلمين إلى اليهودى فقتله ، فتجمع اليهود على المسلم فقتلوه ، وتنادى المسلمون واليهود ، وأوشك الأمر أن يكون مذبحة، لولا أن رسول الله أطفأ هذه الشرارة بحكمته .

فلم يكن بد إذا من عمل حاسم يؤمن المسلمين شرهم ، فحذرهم رسول الله من عاقبة البغى ونكث العهد وقال لهم : " احذروا

من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم "فتجهموا له وقالوا: " يا محمد، ارأيت أنا قومك ؟ لا يغرنك أن لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، إنا -والله - لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس " .

فأنذرهم رسول الله بالحرب فإعتصموا بحصونهم فحاصرهم رسول الله و أصحابه خمسة عشر يوما ، لا يصل إليهم طعام ولا شراب ولا مدد ولا معونة ، وكان يهود بنوا قينقاع حلفاء عبد الله بن أبى رأس المنافقين ، فلما طال عليهم الحصار سألوا رسول الله أن يخلى سبيلهم على أن يخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية ولرسول الله الأموال والسلاح وقبل رسول الله ذلك وأمهلهم ثلاثة أيام فرحلوا إلى أذريعات من بلاد الشام وهكذا أجلى بنو قينقاع من المدينة . وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم وكانت كثيرة ، لأنهم كانوا صاغة ، وكانوا أكثر اليهود رغبة فى إقتناء السلاح ، فاحتجز النبى الخمس من هذه الغنيمة لله ولرسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، ووزع الباقى على المسلمين . وكان ذلك فى منتصف شهر شوال من السنة الثانية للهجرة .

أمر كعب الأشرف :

كان كعب بن الأشرف يهوديا من طىء ، وأمه من بنى النضير ، فلما إنتصر المسلمون ببدر وأرسل الرسول زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة يبشران أهل المدينة بالنصر ، قال كعب : والله لئن كان محمد

أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها . ولما تيقن الخبر خرج إلى مكة وجعل يحرض على الرسول ﷺ ويقول الأشعار ويبكى أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر ، ثم رجع إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين - أى قال فيهن الغزل - حتى آذاهم ، فأرسل له الرسول ﷺ بعض الأنصار فقتلوه جزاء خيانته العهد .

غزوة أحد " سنة ٣ هـ " :

كانت قريش منذ غزوة بدر تعمل على إستجماع كل قوتها لتضرب الضربة القاسمة التى تقضى بها على رسول الله وأصحابه ، وحسبما تقدم فقد إجتمعت قريش لحرب المسلمين مع من والاها من رجال تهامة وكنانة ، وممن حالفها من الأحابيش من بنى المصطلق وبنى الهون بن خزيمة برئاسة أبو سفيان الذى توجه على رأس ثلاثة آلف من الكفار متجها إلى المدينة فى أكمل إستعداد ، من بينهم مائتان من الفرسان المدربين على ظهور الخيل ، وسبعمائة من الدارعين ، ويتبعهم حشد كبير من العبيد والغلمان يقضون حوائجهم ، وكان مع العبيد عبد حبشى اسمه " وحشى " ، وكان يجيد الرماية بالحراب ، فأغراه سيده جبير بن مطعم بقتل حمزه بن عبد المطلب ، عم النبى ، وقال له : " إن انت قتلت حمزة عم محمد فأنت عتيق " وكذلك أغرته هند بنت عتبة ووعدته خيرا . وكان حمزة قد قتل فى غزوة بدر طعيمة بن عدى عم جبير ، وعتبة بن ربيعة أبا هند . وكان يحمل لواء جيش قريش ومن حالفها طلحة بن أبى طلحة ، وعلى ميمنته خالد بن الوليد ، وعلى ميسرته عكرمة ابن أبى جهل ، وعلى رجالته صفوان بن أمية . وأبت نساء قريش إلا أن يكن مع

الجيش يحمسن الرجال ويثرن الحمية ، فخرج منهن أربع عشر أمرأة علـى رأسهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب ..

لما علم الرسول ﷺ بمسيرة قريش إستشار أصحابه أيخرج إليـهم أم يقيم فى المدينة ؟ فقال له عبد الله بن أبى بن سلول ، وكـان رأسـا فى الأنصار إلا أنه كان كبير المنافقين : نرى أن نقيم فى المدينة، وكان ذلـك رأى رسول الله وكبار الصحابة ، لما كانت للمدينة المنورة من مناعـة و حصانة فقال رسول الله : "امكثوا فى المدينة ، واجعلوا النساء والـذرارى فى الآطام ، فإن دخلوا علينا قتلناهم فى الأزقة فنحن أعلم بهـا منـهم ، ورموا من فوق الصياصى و الآطام " . فقال فتيان أحـداث لم يشـهدوا بدرا ، ورغبوا فى الشهادة وأحبوا لقاء العدو : أخرج بنا يا رسـول الله إلى عدونا. وقال رجال من أهل السن :" إنا نخشى يا رسـول الله أن يظـن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبنا عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منـهم علينا وقد كنت يوم بدر فى ثلاثمائة فظفرك الله عليهم ، ونحن اليوم بشـر كثير".

وقال مالك بن سنان : " يا رسول الله نحن بين إحدى الحسـنيين إما يظفرنا الله بهم فهذا الذى نريد ، والأخرى يرزقنا الله بها الشـهادة . والله يا رسول الله لا أبالى أيهما كان . أن كلا لفيه خير ". وقال حمزة بن عبد المطلب : " والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعامـا حـتى أجالدهم بسيفى خارجا من المدينة ". وقال النعمان بن مـالك : " يـا رسول الله لما تحرمنا الجنة ؟ فوالله الذى لا إله إلا هو لأدخلنها ؟ " فقـال

رسول الله : " بم ؟ " قال : " إني امرؤ أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف " .

ورأى رسول الله ﷺ أن الخروج هو الرغبة الغالبة ، فصلى بهم الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والجهاد . أخذ الناس يتأهبون للقتال فيلبسون دروعهم وسلاحهم و يتوافدون على المسجد فصلى بهم صلاة العصر ثم دخل بيته ليلبس لأمة الحرب - عدة الحرب - وذلك يوم الجمعة لأربعة عشر خلت من شوال ثم خرج عليهم فقال الذين كانوا يلحون فى الخروج : يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فإن شئت فاقعد. فقال عليه السلام : ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، أنظروا ماأمرتكم به فإتبعوه . فخرج الرسول ﷺ فى ألف من الصحابة وبعد أن تقدم المسلمون رجع عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الجيش وقال عصاني واتبع الولدان ، ومضى رسول الله حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى إلى جانب تل مشرف يقال له "عينين" فجعل ظهره وعسكره إلى أحد وكانت قريش فى أسفل الجبل وجعل خمسين من الرماة على جبل عينين وأمر عليهم عبد الله بن جبير و أمرهم أن يحموا ظهور المسلمين عند القتال و ألا يبرحوا مكانهم ثم أمرهم أن يرموا الخيل كلما أقبلت نحوهم بالنبل ، وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير وبينما كان رسول الله يعد جيشه ظهر القرشيون فى السهل المنبسط تحت التل وكان على ميمنة خيلهم - قدر بنحو مائتا فرس- خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل .

فلما إلتقى الجمعان إنتصر المسلمون بادئ الأمر وأخذ المشـركون أخذاً شديداً ، وانكسرت شوكتهم ، وانفرجت صفوفهم ، وانكشـفوا وولوا الأدبار وعندما رأىٰ المسلمون تقهقر الكفار لم يتذكر الرماة نصيحة رسول الله بالبقاء فى أماكنهم فتخلوا عنها وأسـرعوا يجمعـون الغنـائم والأسلاب ، وإنتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة فإلتف خيالة المشـركين حتى جاءت من خلفهم وإستولى خالد على موقع الرماة واثخن ظـهور المسلمين من خلفهم وبعضهم مشتغل بأخذ الغنيمة فاختلت صفوفـهم، وأخذت لواء المشركين عَمْرَةَ بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فتراجعوا لما رأوا الخلل فى صفوف المسلمين . وفوجئ المسلمون بأعدائـهم قـد حاصروهم ، وأوجعوا فيهم قتلاً ذريعاً ، فإضطرب أمرهم حـتى قتـل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون .

وفى وسط هذا الإضطراب قتل مصعب بن عمير ، وأذاع رجـلا عند قتله أن محمدا قد قتل ، فكان هذا الخبر شديدا وزلزل المسلمين زلزالا شديدا ودب فى صفوفهم التخاذل فإنكشفوا ، فأصاب فيهم العدو حـتى خلص إلى رسول الله ﷺ الذى ثبت فى وجه العدو فظل يرمى بالنبل حتى فنى نبله فرمى بالحجارة حتى وقع لشقه – أى جانبه – فأصيبت رباعيتـه وشج وجهه وكلمت شفته ودخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنتـه ووقع فى حفرة من الحفر فأخذ على ابن أبى طالب بيده ورفعه طلحة بـن عبيد الله حتى إستوى قائما . وثبت معه نفر من أصحابه ، فقـد قـاتل طلحة بن عبيد الله قتالا شديدا فكان أعظم الناس غناء عن رسـول الله ،

فجعل رسول الله ﷺ يقول : " قد أوجب طلحة " أى أوجب لنفسه الجنة بصدق دفاعه عن رسول الله .

وترس أبو دجانة بنفسه دون رسول الله ، فجعل النبل يقع فى ظهره وهو منحنى عليه حتى كثر فيه النبل . ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله فجعل رسول الله وهو يناوله : " أرم فداك أبى وأمى ".

ودافعت عن رسول الله أم عمارة ، وهى نسيبة بنت كعب ، وكانت تسقى الناس يوم أحد فلما رأت رسول الله قد أحيط به و إنهزم عنه الناس ، وضعت سقاءها وأخذت سيفا ، فجعلت تقاتل أشد القتال حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا ، و قد دافع فى ذلك اليوم عن رسول الله خلق كثير .

وكان بعض المسلمين قد تركوا مكان المعركة ظنا منهم أن الرسول قد قتل حتى عرفه كعب بن مالك أحد الأنصار فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله فأشار عليه بالصمت ، ولما عرف بعض من إنهزم من المسلمين عادوا إلى رسول الله فنهض بهم إلى الشعب وأسند ظهره إليه فأقبل أبى بن خلف و هو يقول : أين محمد؟ لا نجوت إن نجا . فتناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة فطعنه فى عنقه وكان ذلك سببا فى موته و هو عائد إلى مكة .

وظن المشركون أنهم قد انتقموا ليوم بدر وشفوا نفوسهم بمقتل رسول الله ﷺ وعولوا على الإنصراف ، فصعد أبو سفيان ربوة ونادى بأعلى صوته وقال : إن الحرب سجال يوم بيوم بدر، أعل هبل ، فقال رسول الله : قم يا عمر فأجبه ، فقل الله أعلى وأجل لا سواء : قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فلما سمع أبوسفيان صوت عمر قال له : هلم إلى يا عمر . فقال له رسول الله:ائته فانظر ما شأنه . فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن .فصاح أبو سفيان : "إن موعدكم بدر للعام المقبل " . فقال رسول الله ﷺ : "قولوا له هو بيننا وبينكم موعد ". ثم انصرف أبو سفيان إلى أصحابه وكان الذى يهم الرسول ﷺ أن يعرف وجهة قريش فبعث على بن أبي طالب وقال له أخرج في أثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يردون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل و إمتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة . فخرج على في أثارهم فرآهم جنبوا الخيل وركبوا الأبل ووجهوا إلى مكة.

وأسفرت المعركة عن هزيمة المسلمين ، وقتل منهم فيها سبعون من الأنصار وأربعة من قريش منهم حمزة بن عبد المطلب ، وأسرفت قريش في التمثيل بشهداء المسلمين فمثلت نسائهم بقتلاهم فيجدعن آذانهم وأنوفهم ويتخذن منها قلائد ، ومثلت هند بنت عتبة بحمزة بن عبد المطلب، فلم يكفها أن جدعت أنفه و أذنيه حتى بقرت بطنه وأخرجت كبده فجعلت تقضمها بأسنانها وتأكلها فلما لم تستطع لفظتها .

فلما فرغ المسلمون إلى قتلاهم فدفنوهم انصرف رسول الله راجعا إلى المدينة وكانت أول هزيمة منى بها المسلمون إلا أنها كانت درسا علمهم كيف يحافظون على مواقفهم وألا يخالفوا أمر رسول الله ، وأراد الله سبحانه أن يعلم عباده المؤمنين أن النصر لا يكون إلا لمن يأخذ بأسباب النصر وأن الهزيمة لا تكون إلا لمن يأخذ بأسباب الهزيمة ، كما أن هذه الغزوة كشفت عن المنافقين مثل عبد الله ابن أبي بن سلول . ويهود بنى النضير الذين استهذئوا بالمسلمين ونظروا إليهم بإستخفاف فجعلوا يجاهرون بشماتتهم فأطلقوا ألسنتهم بالسوء فى رسول الله وفى دعوته وفى أصحابه ، فأخذ اليهود يشككون فى رسول الله وفى دعوته قائلين : " لو كان نبيا ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنه طالب ملك تكون الدولة له وعليه " . وجد المنافقون فى التفريق عن رسول الله ، وفى تحزين المسلمين على من مات من شهدائهم متظاهرين بأنهم كانوا أحكم حين رجعوا من الطريق و لم يحضروا القتال ، وأن المسلمين لو أطاعوهم فرجعوا كما رجعوا ما أصابهم الذى أصابهم " الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ، قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين " سورة آل عمران (١٦٨) .

وأكثر اليهود والمنافقون القول فى رسول الله وفى المسلمين فخشى رسول الله على المسلمين أن يتملكهم الضعف فتتزعزع مكانة الإسلام فى المدينة وفيما حولها ، كما خشى أن يدفع الطمع قريش إلى الخروج لمحاربة المسلمين وهم فى هذه الحالة من الإضطراب ، فعزم رسول الله على أن يخرج بأصحابه فى إصر قريش على الرغم ما كان بالمسلمين من الإعياء

والجهد ، فأذن مؤذن الرسول ﷺ فى الناس بطلب العدو وذلك يوم الأحد لست عشر ليلة من شوال واشترط ألا يخرج معه أحد إلا أحداً حضر غزوة أحد ، فخرج الرسول بأصحابه حتى عسكر بحمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة فأقام بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء ، وكان رسول الله يأمر أصحابه فى النهار بجمع الحطب فإذا جاء الليل أمر أن يوقد كل رجل منهم ناراً فكانت النيران ترى من البعد وقد ملأت الأرجاء بأضوائها ، وخدعت العدو حتى خيل للناس أن المسلمين ألوف مؤلفة ، فكان ذلك مما كبت الله به عدوهم .

يوم الرجيع :

تألبت أكثر القبائل على المسلمين بعد غزوة أحد ، وعزم بعضهم على غزو المدينة المنورة ، وكان أول من تهيأ لذلك بنو أسد ، فلما علم رسول الله بما يعتزمونه من غزو المدينة أرسل إليهم أبا سلمة فى مائة وخمسين من أصحابه فباغتوهم فى ديارهم ، ثم علم رسول الله أن خالد ابن سفيان الهذلى يجمع الرجال ليغير على المدينة فبعث إليه النبى عبد الله ابن أنيس فقتله فعز ذلك على قبيلة هذيل ان يقتل شيخها ، فأرسلت إلى رسول الله رجال من قبائل عضل والقارة فزعموا له أن قومهم يرغبون فى الإسلام ، فأرسل النبى معهم نفرا من أصحابه على رأسهم عاصم بن ثابت فلما كانوا عند ماء من مياه هذيل يقال له الرجيع غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا ، فلم يرع القوم إلا ورجال هذيل قد غاشوهم ثم جعلوا يقاتلون حتى قتلوا إلا ثلاثة منهم وهم : خبيب بن عدى وزيد ابن الدثنة وعبد الله ابن طارق . فأما عبد الله بن طارق فقد رموه

بالحجارة حتى قتل بعد أسره ، وأما صاحباه فقد خرجوا بهما إلى مكة فباعوهما لقريش فاشترى خبيبا عقبة بن الحارث ليقتله بأبيه الحارث بن عامر ، واشترى زيدا صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف .

حديث بئر معونة :

وكان مقتل هذين الصاحبين حدثا عظيما إرتجت له مكة فى شهر صفر السنة الرابعة للهجرة، ولم تكد نفس رسول الله وأصحابه تهدأ من ألم هذا الحادث حتى أصابهم حادث أشد .. ذلك أنه قدم على رسول الله شيخ من شيوخ بنى عامر يدعى " أبا براء "، ويلقب بملاعب الأسنة فعرض رسول الله عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام وقال : "يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد ودعوتهم إلى أمرك ، رجوت أن يستجيبوا لك " . وأنا جار لهم فبعث رسول الله المنذر بن عمرو فى أربعين من أصحابه ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة - أرض بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم - فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل وهو شيخ بنى عامر ، فلما أتاه قتله واستصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن ينقضوا جوار أبى براء فاستصرخ عليهم قبائل من سليم فخرجوا وقتلوا المسلمين إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية ورجل من الأنصار ، فلما أبصرا الطير تحوم حول المعسكر أقبلا ينظران فإذا شهداء المسلمين فى دمائهم . فأما الأنصارى فقد أبى إلا أن يقاتل القوم حتى قتل ، وأما عمرو ابن امية أخذ أسيرا فلما أخبرهم أنهم من مضر أطلقوا سراحه فخرج مقبلا على المدينة ونزل منزلا ليستريح ، ونزل معه رجلان من بنى عامر وكان

معهما عقد وجوار من رسول الله لم يعلم به عمرو فلما عرفا انه من بني عامر أمهلهما حتى ناما فقتلهما ، وهو يرى انه قد أصاب بهما من بني عامر ثم قدم على رسول الله فأخبره الخبر وحزن رسول الله على أصحابه أشد الحزن .

إجلاء بنى النضير :

وقد كان اليهود والمنافقون هم العدو القريب للمسلمين ، فقد كان المسلمون فى هذه الفترة يتوقعون الغدر من كل عدو ولا سيما بعد أن ظهرت بوادر الغدر بهم فى واقعتى الرجيع وبئر معونة . وكان النبى لا يأمن غدر اليهود فانتهز الرسول ﷺ فرصة القتيلين اللذين أصابهما عمرو ابن أمية من بنى عامر ، فذهبا إلى بنى النضير ليستعينا بهم فى دية هذين القتيلين ، وكان بنو عامر حلفاء بنى النضير. فلما أتاهم رسول الله ﷺ قالوا : " نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه " . ثم خلا بعضهم إلى بعض فقالوا : " إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله إلى جنب دار من بيوتهم قاعد ، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ " فانتدب لذلك عمرو بن جحاش ، فعلم النبى بما دبروا له من الغدر فقام وخرج راجعا إلى المدينة ، ثم أنذرهم فى أن يخرجوا من البلد الذى يساكنونه فيه فأبوا ، مما ترتب عليه قيام الرسول ﷺ بحرب بنو النضير فى ربيع الأول من السنة الرابعة ، وفى شأنها أنزل الله تعالى سورة الحشر ، فقد سار الرسول فى أصحابه ، فصلى العصر فى فناء بنى النضير وعلى بن أبى طالب يحمل رايته واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم . فلما رأوا الرسول قاموا على

حصونهم معهم النبل والحجارة واعتزلتهم بنو قريظة وحلفائهم من غطفان ، فحاصرهم الرسول وقطع نخلهم ، فقالوا: نحن نخرج من بلادك .. فقال: " لا أقبله اليوم ، ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل من أموالكم إلا الحلقة " أى السلاح ، فنزلت يهود بنو النضير على ذلك وحملوا النساء والصبيان على ستمائة بعير ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ولم يتبق فى المدينة من اليهود إلا بنو قريظة .

غزوة الأحزاب " الخندق سنة ٥ هـ " :

لم يكن خروج بنى النضير من المدينة بالأمر الهين على نفوسهم فقد كانت قلوبهم تغلى بالحقد على رسول الله وأصحابه الذين أرغموهم على ترك أرضهم وحصونهم وأسلحتهم ، فكان كل ما يفكرون فيه أن ينتقموا من المسلمين ، من أجل هذا سعى اليهود إلى الغدر بالرسول ويتلمسون الفرصة للقضاء عليه وعلى صحبه ، وكانوا يعلمون أن قريشا ومن حولهم من الأعراب كارهون للدعوة الإسلامية فجعل بنو النضير أن يؤلفوا بين أولئك الأحزاب المعارضة للرسول مثل فزارة وأشجع ومرة وغطفان فخرج بعض اليهود من بنى النضير برئاسة حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق ومعهم جماعة من بنى وائل إلى مكة فدعوا قريش إلى حرب رسول الله والقضاء عليه حتى اجتمع لهم من قريش وحلفائها نحوا من عشرة آلاف مقاتل ، وزحفت قريش وحلفائها إلى المدينة بقيادة أبو سفيان بن حرب فى العام الخامس للهجرة ، وعندما علم رسول الله بمسيرهم استشار أصحابه فقال له سلمان الفارسى : يا رسول الله إنا كنا بارض فارس إذا خفنا العدو خندقنا علينا " فأعجبت المسلمين فكرة

الخندق واستراحوا لها ، فأشاروا على الرسول ﷺ بحفر خنـــدق حـــول المدينة يحميها من قريش ، فأقام الرسول خندقا حصن به الجانب الشمالى من المدينة وراء جبل "سلع" لأن باقى جهاتها كــــان محصنـــا بـــالنخيل والمنازل، وعندما أقبلت قريش وأحزابها فى عشرة آلاف وقف المســـلمون فى ثلاثة آلاف ، ووضع النساء والأولاد فى الحصون .

وأحاطت قريش والأحزاب بالمسلمين من كل ناحيـــة وفى أثنـــاء ذلك نقض كعب بن أسد رئيس بنى قريظة عهده مع الرسول ، وإســـتمر حصار المدينة شهرا وحاول الرسول ﷺ تفتيت وحدة الأحزاب فأرســـل إلى غطفان يعرض عليها ثلث ثمار المدينة على أن ترجع ولكن الأنصـــار رفضوا ذلك ، وفى خلال ذلك جاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله مسلما و لم يعلم قومه فطلب إليه الرسول أن يخذل عنهم لأن الحـــرب خدعـــة وكان نعيم سيدا فى قومه و معروفا بين اليهود والقرشيين ، فذهب إلى بنى قريظة وحذرهم من خطأهم فى تعاونهم مع قريش دون ضمان فى أيديـــهم ونصحهم بأن يطلبوا من قريش وغطفان رهائن تكـــون عندهـــم حـــتى يضمنوا ما بينهم من تحالف ، فرأى اليهود أن ذلك رأى سديد ، كمـــا حذر نعيم قريشا وغطفان من أن اليهود ندموا على ما صنعوا فيما بينـــهم وبين محمد وأنهم سيطلبون منكم عددا من الرهائن سيقومون بتســـليمهم إليهم فتضرب أعناقهم حتى يثبتوا لهم بقائهم على حلفهم معه فإن طلبـــوا منكم رهائن فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا .

ثم أرسل أبو سفيان وغطفان وبنو قريظة فى ليلة السبت من شوال يطلب منهم أن يخرجوا فى الغد للقتال فأرسل إليهم اليهود أحدهم يطلب منهم إرجاء القتال يوم السبت وأن يعطوهم رهائن من بينهم فرفضت ذلك قريش وغطفان وبذلك تبدد الحلف الذى كان بين الفريقين .

يأس القرشيون من الحصار ، وفى تلك الليلة أرسل الله عليهم عاصفة عاتية تقلب قدورهم وتنزع خيامهم فرفعوا الحصار وعادوا من حيث أتوا دون تحقيق غرضهم وأدرك رسول الله أن قريشا لن تتمكن مرة أخرى من العودة إليه بمثل هذه الأعداد فقال :" اليوم نغزوهم و لا يغزونا ".

بعد هزيمة الأحزاب أمر رسول الله أن يتوجه المسلمون إلى بنى قريظة لمحاربتهم نتيجة خيانتهم لرسول الله ونقضهم العهد ، وكان عدد المسلمون ثلاثة آلاف راجل وستة وثلاثون فارسا ، وكان رسول الله قد دفع اللواء إلى على بن أبى طالب ، فحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار فنزلوا على حكم سعد بن معاذ و هو قتل الرجال ، وكانوا بين الستمائة والسبعمائة وقيل بين الثمانمائة والتسعمائة ، وقيل أربعمائة فقط ، و تقسيم الأموال و سبى النساء والذرارى .

وفى سبيل كسر شوكة أعداء الإسلام لم يلق المسلمون سلاحهم بعد هزيمة الأحزاب وهزيمة بنى قريظة ، اتكالا على أن الله معهم ومؤيدهم بحوله وقوته ، فإن الله لا يؤيد المتواكلين الذين يرجون منه النصر والتأييد دون أن يأخذوا بأسباب القوة ما استطاعوا . فما كاد النبى ينتهى من أمر بنى قريظة فى أواخر السنة الخامسة ، حتى بدأ منذ أوائل السنة السادسة

يعمل على إرهاب العدو فى كل ناحية ، فأخذ يبث السرايا ليرهب أعداءه من العرب واليهود ، ففى شهر المحرم من هذه السنة أرسل سرية إلى بنى بكر بن كلاب وكانوا ينزلون بناحية ضرية على سبع ليال من المدينة فى طريق البصرة فدهمهم جيش المسلمون وقتل منهم عشرة وهرب باقيهم ، واستاق المسلمون من أنعامهم مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاة .

وفى ربيع الأول خرج رسول الله فى مائتين من أصحابه قاصدا بنى لحيان وهم الذين غدروا بأصحاب الرجيع ، فهربوا إلى الجبال ، وتوالت السرايا والغزوات مثل غزوة ذى قرد وهوماء على نحو يوم من المدينة ، وسرية ذى القصة فى ربيع الآخر من هذه السنة ، وسرية الجموم ، وسرية العيص ، وسرية الطرف وسرية وادى القرى وسرية دومة الجندل ، وسرية الهمج ، ومضت السنة السادسة أو معظمها فى مثل هذه المناوشات لرد عدوان أعداء الإسلام .

صلح الحديبية " سنة ٦ هـ " :

وفى السنة السادسة فرض الحج والعمرة ، ورأى رسول الله فى منامه ذات ليلة أنه دخل المسجد الحرام فى أصحابه آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين وكانت الفرصة مواتية لهذه الزيارة فقد لانت عريكة قريش وخفضت من غلوائها فى عداوة الإسلام بعد ما عاينوا من قوة بأس المسلمين فى الذود عن حماهم والدفاع عن عقيدتهم ، ففى ذى القعدة من نفس العام خرج رسول الله ﷺ فى أصحابه لأداء العمرة لا يريد حربا ، وساق معه الهدى وإستنفر الناس للخروج معه إلى مكة و أحرم للعمرة

ليأمن الناس من حربه وليعلموا أنه إنما خرج معظما للبيت الحرام ، فسار بالمسلمين حتى بلغ الحديبية فى نحو ألف وثلاثمائة أو ألف وخمسمائة ، فلما بلغ قريش ذلك خرج معظم رجالها لصد رسول الله ﷺ عن البيت أو قتاله ثم تردد الرسل بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش بقصد حمله على العدول عن دخول مكة .

ونذكر من رسل قريش إلى رسول الله ﷺ بديل بن ورقاء فى نفر من رجال خزاعة وعروة بن مسعود سيد ثقيف والحليس بن علقمة سيد الأحابيش ، أما رسول الله فقد رأى أن يبعث عثمان بن عفان إلى قريش وإستطلاع أخبارهم فحجزته عندها ثلاثة أيام وشاع أن كفار قريش قتلوه فتأهب المسلمون لقتال قريش وبايعوا رسول الله بيعة الرضوان التى تمت تحت الشجرة وقال عليه السلام : " لا نبرح حتى نناجز القوم " . وبينما المسلمون على استعداد للقتال علموا أن عثمان لم يقتل ، وجاء عثمان إلى المسلمين ثم أوفدت قريش سهيل بن عمرو لمفاوضة الرسول ، فلما رآه عليه السلام قال : أراد القوم الصلح . وتم الإتفاق بين قريش والرسول على الشروط الآتية :

١- أن تضع الحرب أوزارها بين الطرفين عشر سنين يأمن فيها الناس .

٢- أن ينصرف الرسول من عامه ذلك على أن يقبل فى العام التالى مع أصحابه بلا سلاح عدا السيوف فى القرب فيقيم فى مكة ثلاثة أيام بعد أن تخرج منها قريش .

٣- أن يرد رسول الله من يأتيه من قريش مسلما بدون إذن وليه ، ومن جاء من المسلمين إلى الكفار مرتدا لا تلتزم قريش برده .

٤- من أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدها فله ذلك ومـــن أراد أن يدخل فى حلف محمد وعهده دخل فيه .

ثم دعا رسول الله ﷺ عليا بن أبي طالب ليكتب الكتاب بذلـــك فأملى عليه بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : أكتب بإسمك اللـــهم فأمره الرسول بذلك ، ثم أملى هذا ما صالح عليه محمد رسول الله . فقـــال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك ولكن أكتب إسمك وإســـم أبيك . فقال رسول الله : أكتب هذا ما صالح عليه محمد بـــن عبـــد الله سهيل بن عمرو . فدخلت خزاعة فى عهد رسول الله ودخلت بنو بكر فى عهد قريش .

عندما فرغ الرسول من عقد صلح الحديبية ، رأى المســـلمون أن فيه تساهلا من ناحية الرسول وتشددا من ناحية قريش فاحتجوا عليـــه ، فقام عمر بن الخطاب وقال للرسول عليه السلام : ألست برســـول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قـــال : بلـــى ، قـــال أوليســـوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال:فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ قال : أنا عبـــد الله و رسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعنى .

لم يبق بعد ذلك إلا أن يتحلل المسلمون من عمرتهم فقام رســـول الله بنحر الهدى وحلق ثم تبعه أصحابه بعد ذلك وعاد الجميع إلى المدينـــة وكانت لتلك الهدنة أثر كبير فى إنتشار الإسلام . يقول ابن هشام : " فلما

كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ".

بعد ذلك بدأ رسول الله ﷺ فى مكاتبة الملوك والأمراء ليدعوهم إلى الإسلام فكتب إلى قيصر الروم ، وكسرى فارس ، والمقوقس حاكم مصر ، وإلى نجاشى الحبشة ، وإلى أمراء القبائل العربية يدعوهم إلى الإسلام فمنهم من رد ردا جميلا مثل مقوقس مصر الذى أهدى رسول الله جارية هى مارية القبطية والتى منح الله الرسول منها ولده إبراهيم ، ومنهم من رد غير ذلك مثل كسرى فارس الذى مزق كتاب النبى فبلغ ذلك رسول الله فقال : اللهم مزق ملكه .

غزوة خيبر " سنة ٧ هـ " :

كانت حياة اليهود مع المسلمين سلسلة من الضغائن والأحقاد لا تهدأ ، ولكن رسول الله ﷺ لم يكن يود أن يساير اليهود فى خصومتهم ، بل كان يلتمس الفرص تلمسا ليصلح ما بينه وبينهم ، و لم يكن يباديهم بعدوان حتى يعذر إليهم ، وحتى يبذل كل جهد مستطاع فى دعوتهم إلى السلام ، ولما تولى زعامة اليهود فى خيبر أسير بن رزام وعلم رسول الله أنه يعد لحربه دعاه للسلم فاستجاب لذلك أول الأمر ، وخرج مع المسلمين فى ثلاثين رجلا من اليهود ، قاصدا إلى رسول الله ثم هم بالغدر بمن أمنوه وأمنهم ، وأهوى إلى سيف عبد الله بن رواحة يريد أن ينتزعه منه ليقتله، ففطن لذلك عبد الله ابن رواحة فضربه بالسيف فقتله ، وقتل المسلمون كل من كان معه من اليهود . ولما قام سلام بن مشكم زعيما

على يهود خيبر بعد أسير بن رزام عزم على محاربة الرسول للقضاء عليه وعلى المسلمين، وأبان لليهود أن الواجب عليهم أن يتحدوا مع يهود وادى القرى وتيماء ، ثم يزحفوا على يثرب ، دون أن يعتمدوا على العرب ، وقد علم رسول الله بما يدور فى خلد اليهود ، وكانت خطة رسول الله أن يفاجىء اليهود قبل أن يفاجئونه ، وكانت بلاد خيبر مقسمة إلى ثلاث مناطق حربية : الأولى منطقة النضاة ، والثانية منطقة الشق ، والثالثة منطقة الكتيبة ، وكان فى كل منطقة عدة حصون ، وكانت تلك الحصون منيعة على رؤوس الجبال ، وكان رجالها مدربين قد مارسوا القتال ، وكانت جموع اليهود فى خيبر أقوى الطوائف اليهودية بأسا ، وأوفرها مالا وأكثرها سلاحا ، ولكن اليهود لا يحاربون 'لا من وراء جدر ، أو أمام الحصون ، حتى إذا إنهزموا عادوا إلى حصونهم وأغلقوها دونهم . خرج رسول الله ﷺ فى محرم السنة السنة السابعة للهجرة لقتال يهود خيبر ، وكان رسول الله يعلم من طبائع اليهود شدة الحرص على المال ، فرأى أن يرهبهم بإتلاف بعض مالهم ، لعلهم يسلمون إليه دون قتال ، فأمر بقطع نخيلهم ، فقطع المسلمون نحو أربعمائة نخلة ، فلما رأى تصميم اليهود على الحرب نهى عن قطع النخيل ، وكان أول الحصون التىسقطت فى يد المسلمون حصن ناعم وهو من حصون النطلة، بعد قتال دام سبعة أيام ورسول الله يعطى الراية فى كل يوم واحدا من أصحابه ، ويبعثه إلى الحصن حتى فتحه الله على يد على بن أبى طالب .

وفى معركة حصن ناعم قتل اليهودى "مرحب " وكان من أشجع شجعان اليهود قتله على ابن أبى طالب ، وقيل : أن الذى قتله هو محمد

بن مسلمة . وفى أثناء الحصار توفى زعيم اليهود سلام ابن مشكم فتـــولى بعده الحارث بن أبى زينب . ولمل سقط هذا الحصن فر اليهود إلى الحصن الذى وراءه وهو حصن الصعب بن معاذ فاقحمـــه المســـلمون ووجـــد المسلمون فى الحصن من الشعير والسمن والعسل والمتاع شيئا كثيرا ، كما وجد المسلمون فى بيت تحت الأرض منجنيقا ودبابات ودروعا وســـيوفا وكثيرا من آلات الحرب فانتفعوا بها فى الإستيلاء على حصون خيبر .

وسار رسول الله ﷺ يفتح حصونهم حصنا حصنا حتى جاء علـــى آخرها ، ولم يكن اليهود يتركون حصنا من حصونهم إلا بعـــد دفـــاع مستميت ، وانتهى الأمر بين الفريقين على مصالحة أهل خيبر علـــى أن يبقوا فيها و يدفعوا نصف ما يخرج من قومـــهم وإذا شـــاء المســـلمون أخرجوهم . وقد صالح رسول الله أهل فدك على مثل صلح أهل خيـــبر وفى يوم فتح خيبر قدم على رسول الله ﷺ من الحبشة بقية من كان بها من المهاجرين وفى مقدمتهم جعفر بن أبى طالب . وفى شهر ذى الحجة مـــن السنة السابعة توجه رسول الله وأصحابه إلى مكة ، فأقام بها ثلاثة أيـــام ثم عاد إلى المدينة بعد أن إعتمر هو والمسلمون .

غـــزوة مـــؤتـــة " سنة ٨ هـــ " :

بعث رسول الله الحارث بن عمير الأزدى رســـولا إلى هرقـــل يدعوه إلى الإسلام فقتله شرحبيل بن عمر الغسانى ، فأراد رسول الله الثأر لقتل الحارث فجهز جيشا ضخما عدته ثلاثة آلاف مقاتل وكان رئيـــس السرية زيد بن حارثة ، وأوصى المسلمين بأنه إذا قتل زيد فعليهم جعفـــر

بن أبي طالب ، فإن قتل جعفر فعليهم عبد الله بن رواحة ، وإلتقى هـــذا الجيش بجموع هرقل عند قرية يقال لها مؤتة فإستشهد القادة الثلاثة الذيـن عينهم رسول الله ﷺ وتمكن خالد بن الوليد ، وكان قد أسلم و إنضـم إلى المسلمين ، من تولى القيادة و تخليص المسلمين مما ورطوا أنفسهم فيـه وإنسحب مع حفظ نظام جيشه و لم يتبعه الروم لأنهم ظنوا أنه يخدعـهم فعاد خالد بهذا الجيش إلى المدينة ، وكان ذلك أول اشتباك جـرى بـين المسلمين وبين الروم و الغساسنة الذين قدر جيشهم بمائتى ألف ، وعلـى الرغم من هزيمة المسلمين فى هذه المعركة وإستشهاد نحو إثنى عشر رجـلا من المسلمين فقد إعتبرها رسول الله ﷺ جولة تعقبها كرة ، فلما عير أهـل المدينة أصحاب مؤتة بأنهم فروا من المعركة فرد عليهم بقوله : " بل هـم الكرار إن شاء الله " .وكانت غزوة مؤتة سببا فى فتح المجال أمام قبـائل عرب الشام للدخول فى الإسلام .

فتـح مكـة " سنة ٨ هـ " :

كانت مكة أم القرى ومعقل الوثنية فى جزيرة العـرب كلـها ، وكانت الكعبة قبلة الأنظار ومطمح آمال القبـائل قريبـها وبعيدهـا ، وكانت قريش حارسة الكعبة وإليها الرياسة فى أمور الديـن ، وكـانت قبائل العرب على إختلافها تنظر إلى المعارك الدائرة بين رسول الله وقريش بإهتمام ، وكان بقاء قريش على شركها يمثل سدا حائلا دون خلـوص الجزيرة العربية للإسلام وحده ، ولكى يتم ذلك كان لابد من إيمان قريش بالإسلام وإحتضان مكة للدين الإسلامى .

وكان صلح الحديبية فى أواخر السنة السادسة أول مفاتيح هذا المعقل ، ثم كانت عمرة القضاء بعد ذلك بعام هى المفتاح الثانى له فقد كان مظهر المسلمين وحماستهم لدينهم و تمسكهم بآدابه وإخلاصهم ومحبتهم لرسول الله مظهرا هز نفوس أهل مكة هزا عنيفا ، فقد أخذوا يتفكرون بين الشعائر التى يؤديها المسلمون فى خشوع وبين ما يفعلون هم فى عبادتهم من لغو ولهو ، فوجدوا فرقا شاسعا بين ما هم عليه وما عليه رسول الله و أتباعه ، فأسلم منهم من إستطاع أن يجهر بإسلامه وأسر الإسلام من لم يستطع أن يجاهر به .

ثم كان العام الثامن من الهجرة وفيه فك كل ما بقى من أغلاق هذا الحصن ، ذلك أنه كان بين قبيلتى بكر وخزاعة ثارات قديمة فى الجاهلية ، فلما كان صلح الحديبية ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله ﷺ، ودخلت بكر فى عهد قريش ، هدأت الحرب بين القبيلتين ثم حدث أن رجلا من قبيلة بكر وقف ذات يوم يهجو رسول الله ﷺ على مسمع من رجل خزاعى ، فحرك ذلك ما بين القبيلتين من عداوة قديمة وأخذت قبيلة بكر تعد عدتها للإنتقام من خزاعة وإشترك جماعة من قريش إلى جانب قبيلة بكر مستخفيين .

وفى ذات ليلة كانت خزاعة على ماء لها يسمى " **الوتير** " بأسفل مكة ، فباغتها رجال بكر بقيادة نوفل بن معاوية الديلى ومن إنضم إليه من قريش ، فلجأت خزاعة إلى الحرم لتحتمى به ولكن ذلك لم يمنع رجال بكر من متابعتها، فقتلوا رجلا من خزاعة يدعى منبه ، ثم إلتجأت

خزاعة إلى دار بدى بن ورقاء الخزاعى ودار مولى لهم إسمه رافع فى داخل مكة ، فقتل من خزاعة نحو عشرين رجلا .

إستنجدت خزاعة برسول الله ﷺ وذهب رجال منهم بقيادة عمرو بن سالم الخزاعى إلى المدينة فأخبروا رسول الله بما كان من غدر قبيلة بكر بهم ، ومعاونة قريش عليهم . وكان ذلك نقضا صريحا لشروط صلح الحديبية . أما قريش فقد أدركت مغبة عملها وسوء ما صنعت فأرسلت أبا سفيان إلى المدينة لتجديد الصلح ولكنه فشل فى ذلك فعاد إلى مكة .

أخذ رسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة ، فأعد جيشا كثيفا من أهل المدينة عدته عشرة آلاف ودعا الله أن يأخذ عن قريش بالأخبار بقصد مفاجأتها بالفتح ، وخرج رسول الله بجيشه فى العاشر من رمضان من السنة الثامنة من الهجرة بعد أن إستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين ابن عتبة بن خلف الغفارى .

وفى الطريق إلى مكة لقيه عمه العباس بن عبد المطلب مهاجرا بعياله إلى المدينة ، فأمره رسول الله ﷺ أن يرسل رحله إلى المدينة ويعود معه وقال له : " أنت آخر المهاجرين و أنا آخر الأنبياء " . كما لقيه بعض القرشيين ، وبالقرب من مكة لقى العباس أبا سفيان فسار به إلى رسول الله حيث أسلم أبو سفيان وشهد شهادة الحق ، فقال العباس : يا رسول الله . إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا . فقال رسول

الله ﷺ : " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابا فهو آمن و من دخل المسجد فهو آمن " .

ثم سار الرسول ﷺ بجنوده حتى دخل مكة سلما ما عدا خالد بن الوليد فإنه إلتقى بعكرمة بن أبي جهل ومعه عدد من القرشيين فوقعت بينهم مناوشات قتل فيها نحو عشرون رجلا من قريش ورجلان من المسلمين .

ثم عفا رسول الله عن قريش وقال لهم : " ما تظنون أني فاعل بكم" ، قالوا : " خيرا أخ كريم و إبن أخ كريم " . فقال : " إذهبوا فأنتم الطلقاء " . ثم طاف بالكعبة وأمر بإزالة التماثيل والصور وهو يقول : "لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده " .

بهذا دخل رسول الله ﷺ بعد ثماني سنوات من خروجه مهاجرا ، ودخل في الإسلام في هذا اليوم معظم قريش . وكان لهذا الفتح أثر كبير في إنتشار الإسلام في القبائل العربية الأخرى بعد ذلك .

غزوة حنين و الطائف " سنة ٨ هـ " :

إعتبرت قبيلة هوازن وقبيلة ثقيف أن فتح مكة ضربة قاضية للوثنية ورأت أن الضربة التالية سيوجهها رسول الله إليهم لإرتباط الطائف بمكة في الجاهلية . وكانت ثقيف تقيم بالطائف ، وكانت هوازن تجاورها

حول الطائف . وكانت الطائف أخصب بقاع الجزيرة ومقر عبادة اللات بعد هبل . فإجتمع ذوو الرأى من هوازن وثقيف فإتفق رأيهم على أن يبادروا رسول الله بالغزو قبل أن يبادرهم ، وإنضم إليهم قبائل نصر وجشم وسعد بن بكر وجماعة من بنى هلال ، وإلتئم جمعهم برئاسة مالك بن عوف النضرى .

خرجت هوازن وثقيف ومن إنضم إليهم إلى وادى حنين ، وهو وادى من أودية تهامة ، وقد رأى مالك بن عوف أن يعسكر عند مدخل ذلك الوادى ، فجعل فريقا من رجاله فى رءوس المضايق والشعاب وعبأ بقية الجيش فى جوانب الوادى ، وأمر الرماة أن يفاجئوا طلائع المسلمين عند ظهورهم بنبالهم ثم يميلون عليهم ميلة واحدة ، فلما سمع رسول الله ﷺ خرج إليهم ومعه إثنا عشر ألفا وهو أكثر جند خرج به رسول الله ، منهم عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وألفان من أهل مكة ، وكان خروج الرسول من مكة فى يوم السبت السادس من شوال سنة ٨ هـ .

وما إن وصلت طلائع المسلمين إلى وادى حنين وشرعوا ينحدرون فيه فى الصباح الباكر ، فوجئوا بكمائن هوازن وثقيف تترصدهم فى شعاب الوادى ، فشدوا على المسلمين شدة رجل واحد قبل أن يهيء هؤلاء صفوفهم ، فإختل نظام المسلمين وإضطربت حالتهم ، فولى المنهزمون منهم لا يلوى أحد على أحد. فلما رأى رسول الله ﷺ هذا الهلع ، صار ينادى : " أيها الناس ، هلموا إلى ! أنا رسول الله ! أنا محمد بن عبد الله ! " .

وكان العباس بن عبد المطلب جهير الصوت ، فأمره رسول الله أن ينادى الأنصار والمهاجرين ، فإجتمع حول رسول الله طائفة من الرجـــال الصادقين فصمدوا فى وجه هوازن و ثقيف ، ثم ترادف المسلمون وتتـابعوا حتى تماسكوا وقاتلوا حتى إنتصروا وتقهقر الكفار فتفرقت جموعـــــهم فى كل ناحية وتابع المسلمون الفارين قتلا وأسرا .

أما مالك بن عوف فقد فر إلى حصون الطائف وترك ورائه كـــل ما ساق من الأموال والنساء والبنين فغنم المسلمون شيئا لا يكاد يحصيــه العدد ، ثم توجه رسول الله ﷺ بأصحابه إلى الطائف فحاصرها رسول الله حوالى خمسة عشر يوما ، وتراشق الفريقان بالنبال ، وإستعمل الرســـول المنجنيق لأول مرة فى الحرب، كما إستخدم الدبابات ، كانت تتخذ مـــن الخشب ليحتمى بها الجنود وهم ينقبون الحصون ، ثم حل شهر ذى القعدة فرحل الرسول عنها وفك الحصار حتى تنتهى الأشهر الحرم.

ثم أيقنت ثقيف وهوازن بعدم جدوى محاربة رسول الله بعد هــذا الحصار ، فجاءت وفودهم إلى رسول الله مسلمين ، وقد رد رســـول الله إلى هوازن ما أخذه منها من النساء و الولدان ، ثم وفد عليه مـــالك بـــن عوف فرد عليه أهله و ماله وأعطاه مائة من الإبل فحسن إسلامه ، وفرق الأموال على قريش . أما أهل الطائف فقد شعروا بعد ذلـــك بعزلتـــهم فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ وفودهم تعلن إسلامها فى العام التاســـع مـــن الهجرة .

غـــزوة تبـــوك " سنة ٩ هــ " :

وفى السنة التاسعة من الهجرة ، أمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يتجهزوا لغزو الروم إنتقاما لمقتل أصحابه فى مؤتة ، ويسمى هذا الجيش "جيش العسرة " لأن التأهب لها كان فى زمن عسرة من الناس وشدة من الحر ، و لم يكن الطريق سهلا ولا السفر قريبا ، وقد قاسى رسول الله مشقة بالغة فى هذة الغزوة حتى وصل تبوك على حدود الشام وأقام بها ، فصالحه أهلها ، ثم جاءته وفود القبائل مسلمة ، وأرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك الكندى صاحب دومة الجندل ، وكان نصرانيا، حتى يضمن خضوع شمال الحجاز والبادية للدولة العربية الإسلامية ، فتمكن خالد من أسر أكيدر فأعلن إسلامه وعفا عنه وصالحه على الجزية وكتب له ولأهل دومة الجندل كتابا بذلك . ثم عاد رسول الله إلى المدينة، وهذه الغزوة كانت هى آخر غزوات الرسول ﷺ .

وفى العام التاسع من الهجرة وفدت وفود القبائل العربية من كل ناحية لتعلن إسلامها ، فسمى هذا العام بعام الوفود ، ولم يحل العام العاشر للهجرة حتى كانت كل جزيرة العرب دولة عربية إسلامية موحدة.

حجـــة الـــوداع و وفـــاة رســول اللــه :

وفى السنة العاشرة من الهجرة خرج رسول الله ﷺ فى حوالى مائة ألف من المسلمين لآداء فريضة الحج ومعه أزواجه وأهل بيته ، وخطب فى

المسلمين فى عرفات خطبته الأخيرة التى تعتبر دستور الإسلام ، فحمـد الله وأثنى عليه وبين فيها أصول الدين الإسلامى ونادى بالمساواة بين النـاس ، ومما جاء فى خطبته : " أيها الناس ، إسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلـى لا ألقاكم بعد عامى هذا هذا الموقف أبدا ، إن دماءكم وأموالكم عليكـم حرام كحرمة يومكم هذا " . و قد تم القرآن بنزول الآية الكريمة " اليـوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا". سورة المائدة (آية ٣) .

عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة فى ١٤ من ذى الحجـة سـنة ١١ هـ، و ما لبث أن مرض حتى لم يقو على الصلاة فندب أبا بكر الصديـق ليؤم الناس فى الصلاة ، ثم إزدادت الحمى على رسول الله ﷺ فتوفـاه الله يوم الإثنين الثالث عشر من ربيع الأول وهو فى الثالثة والستين من عمـره بعد أن أكمل رسالته .

الخــــــــلفــاء الـــــــراشـــدون
١١- ٤٠ هـــ / ٦٣٢ - ٦١١ م

كان موت النبى ﷺ صدمة هائلة للمسلمين ، أسلمتهم إلى شـــىء كثير من الخوف والشك ، فإرتد فريق منهم ، وزعم فريق أن النـــبىﷺ لم يمت لما راعه من موت رسول الله ، حتى قام عمر بن الخطـــاب ثـــائرا فى الناس ، يتوعد من يقول : إن رسول الله قد مات ! لكن أبا بكر خطـــب فى الناس فقال : " أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمـــدا قـــد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت " .

لقد قضى محمد ﷺ دون أن يستخلف أحدا ، ودون أن يذكـــر للناس ماذا يفعلون بعده ، ولكن المسلمين وحدوا صفوفـــهم وجمعلـــوا كلمتهم فى أول اجتماع عقدوه بعد وفاة النبى . وكـــان مكـــان هـــذا الإجتماع سقيفة بنى ساعدة ، فإختاروا رجلا منهم خليفـــة لرســـول الله بالرغم من الظروف القاسية التى كانت تمر بالمسلمين . وقـــد إختلـــف المسلمون فى كل مشكلة من مسائل الخلافـــة . إختلفـــوا فى وجوبهـــا ، وإختلفوا فى وحدتها ، وإختلفوا فى إختيار الخليفة وواجباته وحقوقه.

خـــلافـــة أبى بكـــر الصـــــديق " ١١ - ١٣ هـــ "

كانت الأنصار منقسمة إلى الأوس والخزرج ، وكان يرأسها سعد بن عبادة الخزرجى ، وهو أحد النقباء الذين انتخبوا ليلة العقبة ، وكـــانت دار سعد مما يلى سوق المدينة وعندها سقيفة وهى ظلة كانت بالقرب من داره ، فلما توفى النبى ﷺ ذهب الأنصار إلى سقيفة بنى ساعدة ورأوا أنهم أحق فى خلافة رسول الله لدورهم العظيم فى نصرة رسول الله وأصحابه ، وإتفقت كلمة الأنصار على إختيار سعد بن عبادة . فلمـــا بلـــغ هـــذا الإجتماع كبار المهاجرين أمثال أبى بكر وعمر وأبى عبيدة و غـــــيرهم ، أسرعوا إلى السقيفة وهناك أقنعوا الأنصار بضرورة إختيار الخليفـــة مـــن قريش بإعتبارهم أهل لرسول الله و أول المسلمين والسابقين إلى إتباعـــه ، وقد حاول الأنصار أن يقتسموا السلطة بأن يكون من المـــهاجرين أمـــير ومن الأنصار أمير ، ولكن رفض طلبهم هذا . فقال أبو بكر : منا الأمـــراء وأنتم الوزراء ، وأنتم إخواننا فى كتاب الله تعالى وشركاؤنا فى دين الله عز وجل وفيما كنا من سراء وضراء ، والله ما كنا فى خير قط إلا كنتم معنـــا فيه ، فأنتم أحب الناس إلينا .. وأحق الناس بالرضا بقضـــــاء الله تعـــالى والتسليم لأمره لما ساق لكم ولإخوانكم المهاجرين ، ودعاهم أن يختـــاروا واحدا من إثنين : عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح .

فقام عمر إلى أبى بكر وبايعه بالخلافة وأقبل الناس على بيعته رغـــم إعتراض بعض الأنصار مثل الحباب بن المنذر ، أما على بن أبى طالب فقد إمتنع عن مبايعة أبى بكر وكذلك جماعة من بنى هاشم والزبير بن العـــوام ،

فخرج إليهم عمر بن الخطاب فى جماعة من الصحابة وأرغموا بنى هاشم والزبير على مبايعة أبى بكر. أما على فقد إمتنع بحجة أن أبا بكر إغتصب حقه فى خلافة رسول الله و لم يبايع على أبا بكر إلا بعد أن توفيت فاطمة بنت النبى ﷺ ، أى بعد نحو ستة أشهر .

وبعد أن أخذ أبو بكر البيعة فى المسجد ، خطب خطبته المشهورة فقال : "أيها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، و إن صدفت فقوموني ، الصدق أمانة و الكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله " .

ومن هذا المنطلق كان على أبى بكر الصديق أن يواجه المشاكل الكبرى التى نجمت عن وفاة رسول الله مما يظهر صدق عزيمته فى التغلب على هذه المشاكل وهى :

١- انفاذ بعث أسامة بن زيد :

بعد أن تمت بيعة الصديق كان جيش أسامة بن زيد الذى جهزه رسول الله قبيل وفاته لفتح أطراف بلاد الشام والإنتقام لقتلى غزوة مؤتة ومنهم زيد بن حارثة والد أسامة قد توقف خارج المدينة بسبب وفاة الرسول ﷺ . وعلى الرغم من إرتداد أعراب البادية بنجد واليمن عن

الإسلام إلا أن أبا بكر رفض تأخير بعث أسامة بن زيد ، ورفض أيضا أن يغير أسامة برجل أسن منه يقود الجيش عندما أشار عليه بعض صحابة رسول الله بذلك ، وإشتد فى الكلام مع عمر بن الخطاب فى ذلك الأمر حتى قام وأخذ لحيته وقال : عدمتك أمك وثكلتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرنى أن أنزعه . وقام بعد ذلك فى الناس خطيبا يحثهم على التمسك بما كانوا على عهد رسول الله وقال ردا على المتخوفين من إرسال البعث : " والذى نفس أبى بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر رسول الله ﷺ ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته ". ولما كان عمر ضمن هذا البعث فقد استأذن أبو بكر الصديق أسامة فى إبقاء عمر فى المدينة ليعينه فى حكم الدولة فأذن له، مما يشير إلى إحترام أمر الرسول ﷺ لأن أسامة مولى من قبل النبى ، وخرج أبو بكر ماشيا يودع جيش أسامة والأخير راكبا وأوصاهم بتلك الوصية وهى : " لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ، ولا أمرأة ، ولا تغدروا ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا يدفعها باسم الله ".

وإستمر بعث أسامة يشن الغارات على بلاد قضاعة أربعين يومـــا ، فأثار فيهم الخوف و غنم منهم ، وكان أبو بكر الصديق صائبا فى إنفـــاذ حملة أسامة خاصة أن فى ذلك إشارة منه إلى قوة دولته، و فى نفس الوقت دلالة على أنه يسير على نهج سياسة رسول الله ﷺ لأن أعداء المسلمين لما تسامعوا بذلك قالوا : لو لم يكن للمسلمين قوة ما أرسلوا جيش أســـامة تغير على أطراف بلاد الشام .

٢- حـــركــــة المـــرتديـــن و المتنبئين :

لما توفى رسول الله ﷺ بدا الناس حيارى حتى كأنه شيء لا يمكــن أن يكون ، فقد كان وقعه على الناس أشد من أن يحتمل ، حتى كان مــن أصحاب رسول الله من أقعد ومن أخرس عن الكلام فما تكلم إلا مـــن الغد لما راعه من وفاة رسول الله ﷺ ، وحتى قام عمر بن الخطاب ثـــائرا فى الناس يتوعد من يقول : إن رسول الله قد مات ، وقال : " إن رجـــالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفى .. وإن رســـول الله مـــا مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات .. والله لـــيرجعن رسول الله كما رجع موسى فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنـــه مات " .

وأقبل أبو بكر الصديق وعمر يكلم الناس فقال : " على رسلك يا عمر ، أنصت .. فأبى إلا أن يتكلم . فلما رآه لا ينصت أقبل على ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

" أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كـــان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " .

ومما لا شك فيه أن وفاة الرسولﷺ قد ذهبت بألباب النـــاس ، حتى نسي بعض الصحابة كعمر بن الخطاب أن رسول الله بشـــر مـــن الناس، فقال : أنه لم يمت ، ولكن كلمة أبي بكر ردت عمر إلى صوابـه ، وكشفت للناس أن رسول الله بشر وأنه لم يمت حتى أدى رسالة ربه خـير أداء . فما بالنا بالمنافقين من الأعراب الذين لم يتأثروا بعـد بالإسـلام . فرأوا أن وفاة الرسول ﷺ فرصة سانحة لإظهار ما يخفـــون مـــن نوايـا إنفصالية ، فتخلوا عن بعض الفروض الإسلامية فامتنعوا عن دفع الزكـــاة وعرف هؤلاء **بالمرتدين** ، ومنهم فريق أراد التخلص من نفـــوذ قريـــش فإدعى بعض أفراده النبوة وعرف هؤلاء **بالمتنبئين** .

وتشير الروايات التاريخية إلى أن حركة الـــردة حركـــة سياســية إتخذت قناعاً زائفاً من الدين ، وإنها كانت تستهدف الإســـتقلال عـــن سلطان المدينة ، فقد إعتبر كثير من المرتدين الزكاة نوعاً من الإتاوة يؤديها المغلوب إلى الغالب ، فطالبوا بإعفائهم منها ، وإنتحل بعضـــهم النبـــوة لمنافسة قريش في الزعامة.

وصمم أبو بكر على ألا يتساهل في أمور الدين فوقـــف موقفـــاً حازماً وعزم على محاربة المرتدين والمتنبئين ، على الرغم من معارضة بعض صحابة رسول الله ﷺ فقد أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر بقبول مـا

عرضه المرتدون عليه من إقامة الصلاة ومنع الزكاة ، ولكن أبا بكـــر رد عليه بقوله : " رجوت نصـرتك وجئتنى بخذلانك ، جبـــارا فى الجاهليـــة جوازا فى الإسلام ؟ بماذا عساى أن أتألفهم ، بشعر مفتعـــل أو بســـحر مفترى ؟ هيهات هيهات " . ثم قال : " والله لو منعونى عقـــالا كـــانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه ، ولو لم أجد أحدا أقاتلهم به لقاتلتهم وحدى حتى يحكم الله بينى وبينهم وهو خير الحاكمين " .

بدأ أبو بكر الصديق جهاده ضد المرتدين والمتنبئين بعد مجيء بعـث أسامة بن زيد لأنه كان فيه معظم القوة ، وكانت عبـــس وذبيـــان قـــد حاولوا مهاجمة المدينة المنورة ، فخرج أبو بكر لمحاربتهما فـــنزل الربـــذة فالأبرق فاقتتل جنده مع بنى عبس فهزم العبسيين وقد غلب بـــنى ذبيـــان على البلاد وحماها لخيول المسلمين ثم عاد أبو بكر إلى المدينة . بعد ذلـــك تأهب أبو بكر للقضاء على المرتدين والمتنبئين بعد أن إستراح جند أســـامة بن زيد ، فنزل أبو بكر فى ذى القصة بالقرب من المدينة فعقـــد الألويـــة لأحد عشر أميرا وهم :

١- عكرمة بن أبى جهل ووجهه إلى مسيامة الكذاب باليمامة .
٢- شرحبيل بن حسنة ومضى فى أثر عكرمة بن أبى جهل .
٣- المهاجر بن أبى أمية ووجهه إلى جنود الأسود العنسى بصنعاء .
٤- حذيفة بن محصن ووجهته أهل دبا بعمان .
٥- عرفجة بن هرثمة ووجهته أهل مهرة .
٦- سويد بن مقرن ووجهته تهامة اليمن .
٧- العلاء بن الحضرمى ووجهته إلى البحرين .

٨- طريفة بن حاجز ووجهته إلى بنى سليم ومن معهم من هوازن .

٩- عمرو بن العاص ووجهته إلى قضاعة .

١٠- خالد بن سعيد ووجهته إلى مشارف الشام .

١١- خالد بن الوليد ووجهته إلى طليحة بن خويلد الأسدى ببزاخة فإذا فرغ منه توجه إلى مالك بن نويرة بالبطاح .

وبعد أن عين الصديق هؤلاء الأمراء زودهم بنسخة من كتاب وجهه إلى المرتدين يأمرهم فيها بمراجعة الإسلام ، ويحذرهم من إرتدادهم، ونسخة من عهده لهم بقتال المرتدين إذا لم يستجيبوا لذلك ثم لا يبقي على أحد منهم .

لم تمض سنة واحدة حتى كانت جزيرة العرب تدين بالولاء للإسلام ولخليفة رسول الله ﷺ ومن أشهر المعارك التى خاضتها هذه الجيوش قتال خالد بن الوليد لطليحة بن خويلد الأسدى وكان أحد كهنة بنى أسد فلما علم بمرض رسول الله بعد انصرافه من حجة الوداع سولت له نفسه أن يدعى للناس النبوة ، فدعا ذلك قومه من بنى أسد فانضموا إليه والتف حوله طيء وانضمت اليه غطفان وزاد جمعه بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فبعث إليهم أبو بكر عدى بن حاتم الطائى وهو سيد من سادهم، ثم خالد بن الوليد ، فاصطدم خالد وبنى أسد فى بزاخة ، وأوقع المسلمون هزيمة قاسية بالمرتدين ، وفر طليحة إلى الشام ، ثم عاد إلى الإسلام ، ثم لما ولى عمر بن الخطاب الخلافة بايعه طلحة ، وقد اشترك فى الجهاد فى فتح العراق وأبلى مع المسلمين بلاء حسنا .

أما مسيلمة الكذاب فهو متنبىء من بنى حنيفة واستطاع أن يضم قبيلته إلى جانبه ، وكان من طلبه أن يكون نصف الأرض لبنى حنيفة ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم لا يعدلون ، ثم تزوج مسيلمة سجاح بنت الحارث التميمية التى إدعت النبوة هى الأخرى ، وبذلك ضم بنى تميم إليه ، وكان عدد من إنضم إلى مسيلمة يومئذ أربعين ألفا ، وكان المكلف بالقضاء على حركته شرحبيل بن حسنة وعكرمة بن أبى جهل وأمرهما أن يجتمعا ، فتعجل عكرمة لمحاربة بنى حنيفة باليمامة لكنه هزم ، فأمره أبو بكر بالتوجه إلى عمان ومهرة والإشتراك مع حذيفة وعرفجة ، ثم أمره بعد ذلك بالتوجه إلى اليمن والإشتراك مع مهاجر بن أبى أمية فى محاربة المرتدين ، ثم أمر أبو بكر شرحبيل بالبقاء فى موضعه إلى أن يصل خالد بن الوليد فيشترك معه فى قتال مسيلمة ، ثم يمضى إلى عمرو بن العاص لمحاربة قضاعة .

سار خالد بن الوليد بقواته حتى وصل إلى اليمامة وإشتبك مع قوات مسيلمة وإشتد القتال بين الطرفين وإنتهت المعركة بهزيمة بنى حنيفة وقتل مسيلمة وإشترك فى قتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب ، وقد قتل المسلمون من بنى حنيفة عددا كبيرا . وفى البحرين تمكن العلاء بن الحضرمى من هزيمة ربيعة وقتل شريح بن ضبيعة زعيم المرتدين بالبحرين ، وكتب العلاء إلى أبى بكر يخبره بالفتح ورجوع العرب من ربيعة إلى الإسلام .

الفتوحـــات الإســـلامـــية

إستطاع أبو بكر الصديق قمع حركة المرتدين والمتنبئين بعد وفـــاة الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث ظهر واضحا قوة سلطان المدينة الـــتى قضت على هذه الحركة فى بدايتها ، وكان من الطبيعى أن تستعيد الدولـة العربية الإسلامية سلطانها على الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول وكان مـن الطبيعى أيضا أن يتطلع المسلمون إلى نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية .

ومما لا شك فيه أن هناك عوامل ســـاعدت علـــى الفتوحـــات الإسلامية يمكن أن نلخصها فى :

١- دافع الجهاد : كان أبو بكر الصديق قد أوصى المسلمين يوم بـــايعوه بالخلافة بالجهاد فى سبيل الله وقال يومئذ : " إن شاء الله لا يـــدع أحـــد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل " . ويقول البـلاذورى أن أبا بكر لما قمع حركة الردة رأى توجيه الجيوش للشام فكتب إلى أهـل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يســـتنفرهم للجـــهاد ويرغبهم فيه وفى غنائم الروم ، فسارع إليه الناس من بين محتسب وطامع، ومما لاشك فيه أن حملة اسامة بن زيد التى جهزها الرسول لإنفاذهـــا إلى جنوب الشام دليل واضح على رغبته فى التوسع خارج جزيرة العـــرب ، كما أن كتبه إلى الملوك والأمراء المجاورين لبلاد العرب دليل واضح علـــى رغبته فى نشر الإسلام خارج الجزيرة . ولا يخفى أن الرسول قد بعـث إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا ، فقد ظهر الإسلام فى زمـــن إشـتدت فيـــه الإضطهادات الدينية فى بلاد الروم والفرس واتبع المسلمون السياسة الـــتى

رسمها الإسلام ونص عليها فى القرآن الكريم بقوله تعالى : " لا إكــراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقــد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها والله سميع عليم " سورة البقرة (آية ٢٥٦) ؛

٢- العامل القومى : من العوامل التى ساعدت على حركة الفتوحــات الإسلامية أن الرسول الكريم وجه إهتمامه إلى توحيد شبه جزيرة العــرب وعندما تم له ذلك وجه إهتمامه بعد ذلك إلى تأمين الحــدود الشــمالية للدولة الإسلامية من أى إعتداء عسكرى يقوم به الروم خاصة بعد الموقف العدائى الذى اتخذه شرحبيل بن عمرو الغسانى أمير مؤتة مــن الرســول وموقف المنذر بن الحارث الغسانى الذى هدد النبى وأفصح عن عزمه علــى السير لغزو بلاد العرب وكان سببا رئيسيا فى تسيير حملة زيد بن حارثــة إلى مؤتة . أما كسرى فارس الذى مزق كتاب النبى إليه فقد رد قــائلا : "يكتب إلى هذا وهو عبدى ؟ " فقد إكتفى رسول الله بان دعا الله تعــالى أن يمزق ملكه ، وتم ذلك على يد خليفتيه أبى بكر وعمر بن الخطــاب . وكان من الطبيعى بعد ان جمع الخليفة أبو بكر الصديق شــتات القبــائل العربية أن يعمل جاهدا على تخليص القبائل العربية الخاضعة للفرس خاصــة فى الحيرة والقبائل العربية الخاضعة للروم فى بلاد الشام ، وكــان مــن الطبيعى أن يستنفر المسلمين للجهاد خاصة بعد نضوج قومية العــرب ، فقدم على أبى بكر مجاهدى تهامة وعمان والبحريــن وجنــوب العــراق والشام ، فوجهت الجيوش العربية الإسلامية لفتح بلاد الفــرس والــروم وهذا ما سنتناوله بعد ذلك .

٣-العامل النفسي : كان العامل النفسى من أهم العوامل التى ساعدت العرب المسلمين على تحقيق انتصارات باهرة على أكبر دولتين فى العالم وقتئذ هما الدولة البيزنطية والفارسية ، فقد ربط الإسلام بين كافة العرب المسلمين ورفع من كرامتهم ودعاهم إلى الإعتزاز بقوميتهم ، فهم خير أمة أخرجت للناس ، وكان الظفر بالإستشهاد غاية ما يتمناه المسلم ، ولذلك كان العرب المسلمون فى فتوحاتهم لا يبالون بالموت فى سبيل الله فى ميادين القتال ، ما دام هذا الموت سيؤدى إلى الإستشهاد ، وكان المسلمون يقاتلون أعدائهم بقلوب عامرة بالإيمان ونفوس متلهفة إلى لقاء الله وفى سبيل الجنة التى وعد الله بها المجاهدين ، وهذا يفسر تفوق المسلمون على الروم والفرس على الرغم من تفوق هؤلاء على المسلمين من حيث العدد والعدة .

٤-ضعف دولتى الفرس والروم : ترتب على الحروب المتتالية التى خاضتها الدولتان إلى إنهاك قوى الدولتين ، كما أدت إلى شيوع الفوضى والإضطرابات والإنقسامات فى هاتين الدولتين ، وقد ترتب على هذا الضعف تعرض السكان ومن بينهم العرب فى تخوم العراق وفى بادية الشام لصنوف من الإضطهاد والإرهاق الضرائبى ، مما دفع هؤلاء العرب إلى التخلى عن حراسة الحدود الفاصلة بين بلاد الحجاز وبين كل من الحدود الجنوبية للشام والعراق ، فعرب شيبان أخذوا يعيثون فسادا فى الحيرة والأنبار بعد هزيمة الفرس فى موقعة ذى قار ، وعرب الغساسنة تفرقوا فى البادية وقرى حران ، فى الوقت الذى أهمل فيه الروم تحصين البلاد الواقعة ما بين جبال الكرمان وبحيرة طبرية .

٥-العامل الإقتصادى : ومما لا شك فيه أنه لا يمكن تجاهل العامل الإقتصادى فى تسيير عجلة هذه الفتوحات ، فمن خلال النصوص يتضح أن المحاربين العرب حتى خلافة عمر بن الخطاب لم يكن لهم عطاء ، وإنما جرى تقسيم الغنائم خمسة أقسام : خمس منها لبيت مال المسلمين والأخماس الأربعة الأخرى توزع على الجند ، ثم أن جدب معظم الجزيرة العربية وضيق معاش البدو كان من بين الدوافع التى دفعت هؤلاء إلى الجهاد فى البلاد المجاورة لجزيرة العرب خاصة فى بلاد العراق الغنية وبلاد الشام ومصر وغيرها من البلاد التى فتحها العرب والمسلمون .

الفتوحات الإسلامية
فى عهد أبى بكر الصديق

١-فتوح فارس :

بعد أن استطاع أبو بكر الصديق القضاء على المرتدين إنتدب خالد بن الوليد ليغزو بلاد الفرس وأمره أن يبدأ بثغر الأُبُلّة - بلد على شاطىء نهر دجلة البصرة فى زاوية الخليج وهى أقدم من البصرة - وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى فارس ، فتوجه خالد إلى الأبلة وإنضم إليه سويد بن قطبة بن قتادة وجماعة من قبيلة بكر ابن وائل ، وتمكن خالد من هزيمة أهل الأبلة ، وقتل المسلمون عدداً كبيراً منهم ، وإستولى على الخريبة ، ثم توجه خالد إلى الحيرة حيث دعا أهلها إلى الإسلام أو الجزية فوافق إياس بن قبيصة الطائى - كان عاملاً لكسرى أبرويز على الحيرة بعد النعمان بن المنذر - على دفع الجزية ، فصالح خالد

على مائة ألف درهم وقيل على ٨٠ ألفا فى العام ، وتعهد خالد لأهل الحيرة أن لا يهدم قصرا أو بيعة على أن يكونوا عيونا للمسلمين على الفرس ، واستخلف خالد على الحيرة القعقاع بن عمرو .

وقد إستطاع خالد والمثنى بن حارثة الشيبانى هزيمة الفرس فى عدة معارك أهما الأنبار "مدينة على الفرات غربى بغداد" ، وعين التمر "بلدة قرب الأنبار" وكان يتحصن بها مهران بن بهرام فاستنزل الحصن عنوة وسبى عددا كبيرا منهم نصير أبو موسى بن نصير فاتح المغرب والأندلس، ثم سار خالد من عين التمر إلى بلاد الشام بناء على أمر من الصديق خليفة رسول الله ﷺ فى شهر ربيع الآخر سنة ١٣هـ بعد أن فتح الخريبة وكسكر ودرنى وهرمزجرد وأليس وبانقيا والحيرة والأنبار وعين التمر وتكريت ، وغنم غنائم كثيرة .

أما المثنى بن حارثة فقد ولى حكم الحيرة وأخذ يغير على بلاد السواد حتى توفى أبو بكر الصديق فى ٢١جمادى الآخرة سنة ١٣هـ وبويع عمر بن الخطاب بالخلافة .

٢- فتوح الشام :

أما فى الشام فقد كان إرسال الجيوش متأخرا عن إرسال خالد لفتح العراق ففى أواخر سنة ١٢هـ أرسل عقد أبو بكر الصديق أربعة ألوية لأربعة من كبار القواد وهم شرحبيل بن حسنة ووجهته إلى الأردن، وعمرو بن العاص ووجهته إلى فلسطين ، وأبو عبيدة بن الجراح ووجهته

إلى حمص ، ويزيد بن أبي سفيان ووجهته إلى دمشق وكانت عدد هـــذه الجيوش نحو ٣٠ أو ٣٦ ألفا قبل أن يأتيهم مدد خالد بن الوليد .

ولما علم هرقل وهو بحمص توافد قوات المسلمين علـــى جنـــوب بلاد الشام وكان قد علم تفرقهم على أربعة جيوش فـــأراد أن يقاتلـــهم متفرقين فكتب أبو عبيدة إلى أبى بكر يعلمه بإقبال هرقل فكتب أبو بكـــر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى الشام لمساعدة المسلمين فى قتال الروم .

وقد أشار عمرو بن العاص على رؤساء الجنود الإســـلامية بـــأن يجتمعوا لمواجهة الروم فاستحسنوا رأيه ، وقد جاءهم كتاب أبوبكر بمثـــل رأى عمرو . وعمل المسلمون بهذه المشورة ، أما خـــالد فقـــد ســـار فى الصحراء الفاصلة بين العراق والشام فى ثمانية أيام حتى وصل الشام فوجد المسلمين يقاتلون مجتمعين واشترك معهم فى محاصرة بصرى فصالحه أهلها، ثم فتح المسلمون حوران ومآب. وقد وقعت بين المسلمين والروم كثير من المعارك يصعب حصرها وسنكتفي بذكر أهم هذه المعارك :

معركة أجنادين :

تجمعت جيوش الروم فى أجنادين وهى بلدة تقع بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين ، فزحف المسلمون نحوها وذلـــك فى شـــهر جمادى الآخرة سنة ١٣هـــ ، فتم اللقاء بين الروم بقيادة تيودور شـــقيق الإمبراطور هرقل ، وبين المسلمين ، وقد أبلى خالد بن الوليد بلاء حســـنا وإنتهت المعركة بهزيمة الروم وقتل أعداد كبيرة منهم ، وإستشـــهد مـــن

المسلمين شخصيات بارزة منهم : عمرو ابن سعيد بن العاص بن أمية وأخوه أبان بن سعيد ، وأما هرقل فقد فزع لهذه الهزيمة التى لحقت بقواته فنقل مقر قيادته من حمص إلى أنطاكية .

معركة اليرموك :

على أن هزيمة الروم فى معركة أجنادين لم تخمد قوة الروم وحماسة هرقل فى محاربة المسلمين فقد أعد جيشا ضخما قدره المؤرخون بنحو مائتين وأربعين ألفا، وقيل مائتى ألف ، وفى رواية أخرى مائة ألف ، وكان يتولى هذا الجيش القائد الأرمنى باهان وكان ضمن جيش الروم جماعة من الغساسنة ومستعربة الشام، وكان جيش المسلمين عدته ٤٦ ألفا ، واشتركت فى جيش المسلمين عدد من النساء منهن هند بنت عتبة ، مع زوجها أبى سفيان ، وابنته جويرية .

إجتمع المسلمون شمالى نهر اليرموك فى الواقوصة "وادى فى أرض حوران" أما جنود الروم فقد جمعوا قواتهم على الشاطىء الأيمن للنهر ، وقد إقترح خالد ابن الوليد على أمراء المسلمين أن يتركوا له القيادة هذا اليوم ، على أن يكون كل منهم قائدا على جيش المسلمين يوما آخر ، وناشدهم الله توحيد صفوفهم . وحين ولى خالد القيادة قسم الجيش إلى ثمانية وثلاثين فرقة أو كردوسا ، ثم قسم الفرق إلى ثلاثة أقسام : القلب وعليه أبا عبيدة بن الجراح (١٨كردوسا) ، ميمنة وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة (١٠ كراديس) ، وميسرة وعليها يزيد بن أبى سفيان (١٠ كراديس) ، وكان كل كردوس يزيد قليلا عن الألف ، ثم

أمر خالد جناحى القلب بقيادة عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو . وأخذ أبو سفيان يقف على الكراديس ويقـــول : " الله الله أنكـــم ذادة العرب وأنصار الإسلام ، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك اللهم إن هـــذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك " .

ثم دارت رحى الحرب وإلتحم الناس ، وكر الروم على المسلمين ، وإشتركت النساء مع الرجال لصد هجمات الروم ، وإرتد جيش المسلمين باستثناء المحامية بقيادة عكرمة وعمه الحارث بن هشام ، فنادى عكرمـــة قومه قائلا : " من يبايع على الموت " ، فبايعه ٤٠٠ من أرباب النجـــدة من جنود المسلمين وفرسانهم ، وثبت المسلمون أمام البيزنطيين فـــهاجم خالد بقلب الجيش ، فأوقع بالروم هزيمة شديدة ، وقتل منهم نحو مائـــة وعشرون ألفا ، وإستشهد من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة بـــن أبي جهل ، ولما بلغ هرقل خبر هذه المعركة رحل إلى القســـطنطينية ، فلمـــا جاوز الدرب الذى يصل أرض الشام بأرض بيزنطة قال : " عليـــك يـــا سورية السلام " .

وفى أثناء هذه المعركة جاء البريد بوفاة أبي بكر الصديق وتوليـــة عمر بن الخطاب ، وكذلك عزل خالد بن الوليد عن الولاية وتعيين أبـــا عبيدة بن الجراح قائدا لجيش المسلمين ببلاد الشام ، فأخذ خالد الكتـــاب ووضعه فى كنانته حتى إنتهت المعركة فسلم الكتاب إلى أبي عبيدة وســـلم عليه بالإمارة .

خـلافة عمـر بـن الخطـاب " ١٣- ٢٣ هـ "

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن كعب ابن لؤى ، وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة من بنى مخزوم ، وكان مولده قبل حرب الفجار بأربع سنين .

وكان عمر بن الخطاب طويلا " وكان لطوله كأنه راكب " ، تربى على الشهامة والجرأة ، وكان فى الجاهلية سفيرا لقريش إذا وقعت حرب بين قريش وبين غيرها من القبائل ، ولما دعى إلى الإسلام لم يكن فى بدأ أمره مقتنعا بصحة الرسالة ، فحارب الإسلام حربا شديدا ، وشارك قريشا تعذيبها من دخل الإسلام .

أسلم عمر بن الخطاب وسنه ستة وعشرون سنة ، وأعلن لقريش إيمانه بالدين الإسلامى ، ولما كانت الهجرة إلى المدينة أعلن عمر أنه مهاجر وقال : "من أراد أن تتكله أمه فليلقنى وراء هذا الوادى " فلم يتبعه أحد ، وكان عمر من أشد المناصرين لرسول الله ﷺ والإسلام ، ويقول ابن الجوزى : " ظهر الإسلام يوم أسلم وسمى الفاروق لذلك ، وكان إسلامه فتحا ، وهجرته نصرا ، وغضبه عزا ، ورضاه عملا " .

تولى عمر بن الخطاب الخلافة للمسلمين بعهد من أبى بكر الصديق بعد أن إستشار فيه كبار الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان . ﷺ

وكان بدأ خلافة عمر يوم الثلاثاء ٢٢جمادى الآخرة سنة ١٣هـ
وقد بدت سياسة عمر التى ساس بها الرعية فى أول خطبة له بعد أن بويع بالخلافة قال : " إنما مثل العرب مثل جمل آنف أتبع قائده . فلينظر قائده حيث يقوده ، وأما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق ، وكان أول كتاب كتبه إلى أبى عبيدة بن الجراح بتولية جند خالد " .

أهم أعمال عمر بن الخطاب :

١-فتح فارس :

لما ولى عمر الخلافة عقد لأبى عبيدة بن مسعود الثقفى على خمسة آلاف رجل ، وأمره بالتوجه إلى العراق وأرسل إلى المثنى بن حارثة يأمره بالعمل تحت رايته ، فسار أبو عبيدة بالجند وهو الأمير حتى بلغ الحيرة ، وإستطاع هزيمة الفرس بقيادة جابان فى معركة **العذيب** . فلما وصل أبو عبيدة إلى قس الناطف " قرب الحيرة على الضفة الشرقية للفرات " ويعرف أيضا **بالمروحة** ، إستقبله المثنى فيمن معه ، فأرسل الفرس قائدا من قوادهم هو مردان شاه " وهونفس بهمن بن جاذويه " ، وكان يفصل بين الجيشين جسر قديم يستخدمه أهل الحيرة للعبور إلى ضياعهم ، فبعث مردان إلى أبى عبيدة يتحداه ويقول : " إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور ، وإما أن تدعونا نعبر إليكم " ، فأشار عليه المثنى بالبقاء ، لكن أبو عبيدة عبر إلى الفرس فدارت، رحا الحرب بين الفريقين فاستشهد أبو عبيدة وكر الفرس على المسلمين ، فإنهزموا والسيوف تأخذهم من خلفهم، فبادر رجل من ثقيف اسمه عبد الله بن مرثد فقطع الجسر لعله يرغم المسلمين على الصمود ولكنه قطع على المسلمين خط الرجعة ،

فتهافتوا فى الفرات وقتل يومئذ من المسلمين نحو أربعة آلاف ، وظل المثنى يحمى المقاتلة حتى عقد الجسر وعبروا فأقاموا بالمروحة وهرب كثير من المسلمين وجرح المثنى وعدد كبير من قادة المسلمين .

لم يبق مع المثنى بن حارثة من الجنود إلا القليل فكتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه بهزيمة المسلمين، فأرسل إليه عمر جرير بن عبد الله البجلى حتى وصل البويب - نهر كان بالعراق موضع الكوفة - وعندما علمت بوران ملكة فارس بذلك أرسلت جندا مع مهران بن مهروية وإقتتلوا مع المسلمين فكانت الهزيمة على الفرس وقتل مهران ، وبلغ عدد قتلى الفرس فى هذه المعركة نحو مائة ألف ، وكانت معركة البويب من المعارك الكبرى التى أوقعت الرعب فى نفوس الفرس ، فقد لحقت فلولهم بالمدائن، وأما المسلمون فقد أخذوا يشنون الغارات فيما بين الفرات ودجلة لا يمنعهم مانع .

ونظر الفرس بعد هزيمة البويب إلى أنفسهم فوجدوا أنهم يضعفون أمام العرب ، فثاروا على ملكتهم ، وإجتمعوا على يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، وكان شابا لا يتجاوز إحدى وعشرين سنة فملكه الفرس ، فولى على جيوشه رستم بن هرمز فسار بجنده إلى القادسية - بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا - أما المثنى وجرير بن عبد الله فكتبا إلى عمر بن الخطاب يستمدانه ، فإستنفر عمر العرب وندب الناس للجهاد ، فإحتشد نحو عشرين ألف من المقاتلة ، وإستعد عمر للسير بنفسه لمحاربة الفرس ، ولكن صحابة رسول الله ﷺ تشاوروا وإتفق الرأى أخيرا على

تولية القائد والصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص الزهرى ، فسار سعد بالجيش حتى نزل العذيب ، وكان المثنى مريضا فأشار عليه أن يقاتل الفرس ما بين القادسية والعذيب – وهوماء بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية أربعة أميال وقيل هو حد السواد – ثم توفى المثنى قبل معركة **القادسية** سنة ١٥ هـ .

تحركت قوات الفرس بقيادة رستم فنزلت القادسية لمحاربة العرب، ولم يفصل بينهم سوى ميل واحد ، ثم ترددت رسل سعد إلى معسكر رستم ، وإشتبك الفريقان فى أواخر سنة ١٥هـ ، ودامت المعركة يومين وليلة وانتهت بهزيمة الفرس ، وقتل رستم وعدد كبير من جنوده نحو ثلاثين الفا، واستشهد من المسلمين نحو ثمانية آلاف . ويقال أن المسلمين لم يشهدوا موقعة أشد من القادسية هولا لا مع الفرس ولا مع غيرهم .

وتبع إنتصار المسلمين فى القادسية إتخاذ سعد بن أبي وقاص الكوفة مقراً للمسلمين ، وتابع سعد إنتصاراته فإستولى على المدائن عاصمة الدولة الساسانية ، وهرب يزدجرد إلى حلوان ، وفى آخر سنة ١٦هـ إلتقى سعد مع الفرس فى معركة ثانية عند جلولاء إنتهت بهزيمة الفرس . وإستولى المسلمون بعد ذلك على حلوان .

أما يزدجرد فقد فر من حلوان سنة ١٩هـ إلى أصبهان ، ومن أصبهان خرج الفرس بقيادة مردان شاه بن هرمز فى سنة ٢١هـ ووجههم يزدجرد إلى **نهاوند** – مدينة عظيمة بينها وبين همذان ١٤ فرسخاً – تمهيداً

للإستيلاء على العراق ، وعندما علم عمر بن الخطاب بذلك أبقى سعد بن أبي وقاص فى المدينة وإختار النعمان بن مقرن لقيادة المسلمين ، وكان جيشه فى حدود ٣٠ ألفا بينما جيش الفرس ١٥٠ ألفا ، وتقابل العرب والفرس فى معركة نهاوند إستمرت ثلاثة أيام ، وإنتهت بهزيمة الفرس ، وكان النعمان قد قتل فى المعركة ، فتولى القيادة حذيفة بن اليمان ، فحاصر الفرس فى حصن نهاوند ، وفتح الله على المسلمين فدخلوا نهاوند وإستولوا على ما بها من الأموال والذخائر .

وترتب على هزيمة الفرس فى نهاوند سقوط عدد من المدن منها ماسبذان ودينور والسيروان وهمذان وقم وأصبهان ، ولم تستعص على المسلمين سوى أصطخر التى لاذ بها يزدجرد ، ثم هرب منها إلى خراسان فقتل بها سنة ٣٠ هـ فى خلافة عثمان بن عفان ، وبمصرع يزدجرد فقد الفرس كل أمل فى إسترجاع بلادهم .

٢-فتح الشام وفلسطين :

أشرنا إلى إنتصار خالد بن الوليد إنتصارا باهرا على الروم فى معركة اليرموك ، وزحف أبو عبيدة إلى **دمشق** ، وأمر خالد أن ينزل على بابها الشرقى ، وأنزل شرحبيل على باب الفراديس ، وأنزل يزيد بن أبى سفيان على باب كيسان وعمرو بن العاص فأنزل على باب توما ، أما أبو عبيدة ابن الجراح فقد نزل على باب الجابية ، واستمر الحصار نحو سبعين ليلة ، وكان خالد لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه شيء من أمر العدو فإتخذ حبالا كهيئة السلاليم ، وإنتهز فرصة إنشغال الروم بأحد إحتفالاتهم

، وتمكن بعض جند خالد من الصعود بأعلى السور ثم كبروا ، وفتح خالد الباب الشرقى بعد أن قتل حراسه وفزع أهل دمشق ، ولما أيقن الروم أن المدينة اقتحمت عنوة بادروا بمصالحة أبى عبيدة وفتحوا له باب الجابية فصالحهم دون أن يعلم بدخول خالد دمشق وكان ذلك فى أواخر سنة ١٣هـ .

بعد ذلك توجه المسلمون إلى فحل - من بلاد الأردن بين حوران وفلسطين- وبعد قتال شديد استولى المسلمون على فحل ، ثم إستولوا على بيسان وطبرية ، وإستولى شرحبيل على جميع مدن **الأردن** ، وإستولى أبو عبيدة وخالد بن الوليد على حمص وحماة وقنسرين واللاذقية وحلب ، وتواصلت الفتوحات الإسلامية حتى بلغت الفرات .

أما عمرو بن العاص فقد سار إلى **فلسطين** يفتتح مدنها ، فإستولى على نابلس ، ويافا ، وعكا ، وعسقلان ، وغزة ، ورفح دون قتال ، ثم زحف ، نحو بيت المقدس - إيلياء - ولما طال على أهلها الحصار رغبوا فى الصلح وإشترط صفرنيوس بطريق إيلياء أن يتم ذلك بحضور عمر بن الخطاب ، فسار عمر إلى الشام وعقد عهد الصلح فى ربيع الآخر سنة ١٦هـ فدخلها جند المسلمين .

أما يزيد بن أبى سفيان فقد اسند اليه فتح مدن الساحل الجنوبى، و لم يأت عام ١٧هـ حتى كان يزيد قد فتح صيدا وجبيل وبيروت ، وقد

إستعصت طرابلس على المسلمين لقلة إمكانيات العرب البحرية ، فضلاً عن الإمدادات البيزنطية لأهل طرابلس عن طريق البحر .

وفى سنة ١٧هـ تم فتح بلاد الشام ، ثم حدث فى سنة ١٨هـ إنتشار طاعون مريع فى الشام عرف بطاعون عمواس نسبة إلى قرية فى فلسطين وقد توفى فى هذا الطاعون ٢٥ ألفا من المسلمين منهم أبو عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبى سفيان ، ومعاذ بن جبل . وكان عمر بن الخطاب يهم بدخول الشام فنصحه جماعة من المسلمين بالعودة إلى المدينة ، فإنصرف عمر إلى المدينة بعد أن ولى الولاة، وورث الأحياء من الأموات .

٢- فتح مصر :

وفى عهد عمر بن الخطاب فتحت مصر . فقد إنتهز عمرو بن العاص فرصة وفود عمر بن الخطاب إلى الشام فى سنة ١٧هـ ، واستأذنه فى فتح مصر ، فقال لعمر : " إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم ، وهى أكثر الأرض أموالا ، وأعجزها من القتال والحرب " . فتردد عمر خشية الدخول فى مغامرة جديدة قد تنتهى بكارثة ، واشفاقا على المسلمين ، لكن عمرو أقنعه فى نهاية الأمر فاستجاب الخليفة لطلبه ، فعقد له أربعة آلاف رجل فإتجه عمرو إلى مصر ، وإتفق معه الخليفة على أن يشرع فى السير ، ثم يرسل إليه عمر بن الخطاب كتاباً برأيه النهائى ، فإذا وصله يأمره بالقفول عن مصر قبل أن يدخلها فعليه بالعودة ، أما إذا دخلها قبل أن يصله الكتاب فليمض فى فتحها .

ويبدو أن عمر أرسل كتابه إلى عمرو وهو برفح ، فلم يأخذه من رسول الخليفة ، وواصل سيره حتى دخل العريش في سنة ١٨هـ ، وحين فتح الكتاب ، طالع فيه أمر عمر بأن يعود إذا لم يكن قد تجاوز حدود مصر . تقدم عمرو بعد ذلك فاستولى على الفرما وكانت تعرف بحصن بيلوز .

واصل عمرو زحفه فنزل القواصر – من أعمال التل الكبير وتعرف اليوم بالقصاصين – ثم إستولى على حصن بلبيس ، وأم دنين وهى قرية تقع شمال حصن بابليون .

كان حصن بابليون من أهم الحصون المصرية مناعة ، ولقد إستغرق حصاره ستة أشهر ، فأرسل عمر بن الخطاب مدداً إلى عمرو لفتح هذا الحصن المنيع قدر بنحو أربعة آلاف رجل منهم : الزبير ابن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، ولما طال الحصار على قيرس حاكم مصر ، أخذ يفاوض عمراً في شروط الصلح ، غير أن هرقل رفض الصلح فتجدد القتال ، وتمكن الزبير بن العوام وجماعة من المسلمين من تسلق سور الحصن وفتح بابه فتدفق المسلمون في الحصن وتم فتحه في سنة ١٩هـ ، ثم إستولى عمرو على الفيوم وقرى الصعيد وتنيس ودمياط وغيرها ، وتوجه عمرو إلى الإسكندرية عاصمة مصر .

سار عمرو إلى الإسكندرية فى ربيع الأول سنة ٢٠هـ وإستولى على نقيوس بالقرب من منوف الحالية ، ثم سلطيس جنب دمنهور الحالية، وتوجه إلى حصن الكريون آخر حلقة فى سلسلة الحصون التى تربط بين حصن بابليون والإسكندرية ، وكان هذا الحصن يشرف على ترعة الإسكندرية التى يعتمد عليها أهل الإسكندرية ، فإستبسل الروم فى الدفاع عن الحصن ، وقامت معركة حامية بين الفريقين إنتهت بإنتصار عمرو بن العاص على تيودور البيزنطى . سار عمرو بعد ذلك فحاصر الإسكندرية مدة ١٤ شهراً حتى صالحه قيرس أو المقوقس ، وتم فتحها فى أول المحرم سنة ٢١هـ وأصبحت مصر ولاية إسلامية .

وثيقة عهد عمرو بن العاص لأهل مصر :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصُلُبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقض ولا تساكنهم النوبة.وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا إجتمعوا على هذا الصلح وإنتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف ، وعليهم ما جنى لُصُوتهم ، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رُفع عنهم من الجزية بقدرهم ، وذمتنا ممن أبى بريئة . وإن نقص نهرهم من غايته إذا إنتهى رُفع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبى منهم وإختار الذهاب فهم آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم اثلاثاً على ما فى هذا الكتاب ، عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين

إستحابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا ، على ألا يغـزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة " . وشهد عليه الزبـير وعبـد الله ومحمد ابناه ، وكتب وردان وحضر .

٣- فتح برقة وطرابلس وفزان :

بعد إنتهاء فتح عمرو بن العاص لمصر أدرك أن الخطر البـيزنطى لازال قائما فى شمال إفريقية وأنه لابد من القضاء عليه لتأمين حدود مصـر الغربية ، إذ لايوجد فاصل طبيعى بينها وبين إقليمى برقة وطرابلس الذين يسيطر عليهما الروم فبادر بإرسال عقبة بن نافع الفهرى على رأس حملـة إستطلاعية إلى برقة (انطابلس) وكان أكثر سكان برقة من قبيلة لواتـة . ويبدو أن عمرو بن العاص إطمئن إلى تقرير عقبة بن نافع عن بلاد برقـة فسار عمرو بن العاص بقواته للإستيلاء على برقة ووقع بينه وبين الهواريين واللواتيين قتال قصير ثم إستسلموا للعرب وعقدوا مع عمرو بن العـاص صلحاً على أن يؤدوا له مبلغاً قدره " ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليـه جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم فى جزيتهم " .

ويبدو من خلال النصوص التاريخية أن بربر لواتة كانوا نـاقمين على البيزنطيين لكثرة مظالمهم فتطلعوا إلى الخلاص على أيـدى العـرب الفاتحيين وهذا يفسر إستسلام البربر للعرب ، ومسارعتهم بطلب الصلـح مع عمرو بن العاص مقابل جزية يؤدونها إليه .

وما أن أتم عمرو بن العاص فتح برقة حتى شرع فى فتح طرابلس سنة ٢٣ هـ / ٦٤٤ م تمهيدا لفتح أفريقية . وفى هذا الصدد يجدر الإشارة إلى أن طرابلس كانت مدينة حصينة مسورة من جميع الجهات ماعدا الجهة الشمالية التى تطل على البحر المتوسط حيث كانت سفن الروم شارعة فى مرساها ، فأراد عمرو بن العاص أن يؤمن ظهره أثناء فتح طرابلس من جهة الجنوب ، فوجه عمرو قائده عقبة بن نافع إلى فزان وزويلة فإفتتحهما وأرسل قائده بسر بن أبى أرطأة لغزو ودان فإستولى عليها صلحاً وأصبحت الأقاليم الجنوبية الصحراوية مأمونة الجانب . وبينما كان عقبة يفتتح فزان كان عمرو بن العاص يغزو طرابلس وكان سكانها من قبيلة نفوسة البربرية بالإضافة إلى أعداد كثيرة من الروم فبدأ عمرو بمدينة سرت وتقع بين برقة وطرابلس فإستولى عليها ثم زحف إلى لبدة وتقع على بعد ٩٠ كم شرقى طرابلس فإستسلم له أهلها .

واصل عمر سيره حتى بلغ طرابلس العاصمة ونصب عليها الحصار شهراً كاملاً، وهو لايقدر على فتحها لحصانتها ويقظة الروم الذين يتولون الدفاع عنها فجعل يصابرهم ويتحين الفرصة للإنقضاض عليهم ، وإستخدم عمرو بعض عيونه لإستطلاع أى ثغرة أو نقطة ضعف يستطيع أن ينفذ منها بقواته إلى مدينة طرابلس حتى وجدوا مسلكاً إليها من جهة البحر فدخلوا من تلك الجهة وغنم المسلمون بعد الفتح كثيراً من الغنائم وفر الروم بسفنهم عن طريق البحر هرباً بأنفسهم فكان فتحاً مبيناً ينذر الروم بساعة إنقراض تسلطهم على إفريقية والمغرب .

قاد عمرو بعد ذلك حملة إلى مدينة سبرت غرب طرابلس على بعد ثلاثة وثلاثين ميلاً وكان معظم سكانها من قبيلة نفوسة فدخلها عمرو بن العاص ثم عاد إلى مصر سنة ٢٥ هـ/ ٦٤٥ م بعد أن ترك عقبة بن نافع ببرقة يدعو إلى الإسلام .

لاشك أن هناك عومل كثيرة منعت الجيش الإسلامى من مواصلة الفتح لعل من أهمها رفض الخليفة عمر بن الخطاب طلب عمرو بمواصلة فتح أفريقية لخوفه على جيش المسلمين من الروم ، وعلمه بثورات أهل أفريقية ونكثهم بالعهود وغدرهم بأصحاب السلطان فآثر أن يقف المسلمون إلى هذا الحد من الفتوحات وكتب إلى عمرو قائلاً كما يذكر ابن عبد الحكم : " أفريقية المفرقة ثلاث مرات ، لا أوجه اليها أحداً ما مقلت عينى الماء " . وفى رواية أخرى قال عمر : " لا . إنها ليست بأفريقية ، ولكنها المفرقة . غادرة مغدورة بها . لايغزوها أحد مابقيت".

وفى سنة ٢٣هـ قتل عمر بن الخطاب على يد أبى لؤلؤة "فيروز" غلام المغيرة بن شعبة ، فبينما عمر يطوف فى السوق لقيه هذا الغلام فقال : أمير المؤمنين أعنى على المغيرة بن شعبة فإن علىّ خراجاً كثيراً . قال : كم خراجك ؟ قال درهماً كل يوم ! قال : وما صناعتك ؟ قال : نجار ، نقاش ، حداد ، قال : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال قد بلغنى أنك تقول لو أردت أن أعمل رحى تطحن الريح فعلت، قال ك نعم ، قال : فاعمل لى رحى ، فقال أبو لؤلؤة موريـاً : إن

عشت لأعملن لك رحى يتحدث بها من فى المشرق والمغرب ثم إنصرف عنه ، فقال عمر : لقد توعدنى العبد .وفى صباح اليوم الثالث خرج عمر إلى صلاة الصبح ودخل أبو لؤلؤة وفى يده خنجر له رأسان فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته ، وهى التى قتلته، فتوفى بعد ثلاثة أيام ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٢٣هـ .

خلافة عثمان بن عفان " ٢٣ - ٣٥ هـ "

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن مناف، ويكنى بأبى عبد الله وأبى عمرو ، وأمه أروى بنت كريز بن جابر ابن حبيب بن عبد شمس ، وكان له من الولد : عبد الله الأكبر ، وعبد الله الأصغر ، أمهما رقية بنت رسول الله ، وأبان ، وخالد ، وسعيد ، والوليد، والمغيرة ، وعبد الملك ، وأم أبان ، وأم سعيد ، وأم عمرو ، وعائشة ، وكان كثير التزوج ، وكان عثمان فى نهاية الجود والكرم والبذل فى القريب والبعيد .

أما صفته فإنه كان رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الوجه كبير اللحية ، أصلع ، وقيل كان كثير شعر الرأس . كان إسلامه قديما على يد أبى بكر الصديق . هاجر مع المهاجرين الأولين إلى الحبشة مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وهو الذى جهز جيش العسرة "***يوم تبوك***" بماله ، وإشترى بئر رومة وهى فى عقيق المدينة وكانت لرجل من بنى غفار ووهبها للمسلمين ، وفى غزوة بدر خلفه الرسول لتمريض

زوجته رقية التى ماتت وتباشير النصر تترى على المدينة فزوجه رسـول الله ﷺ إبنته الثانية أم كلثوم ، ولذلك عرف عثمان بذى النورين وقال رسول الله بعد أن ماتت أم كلثوم : لو كان لنا ثالثة لزوجناك، وكان من كتـاب الوحى لرسول الله ﷺ ، وهو من المبشرين بالجنة .

قال عمر بن ميمون الأودى : أن عمر بن الخطـاب لمـا طعـن وأحس بالموت ، وجد الناس أنفسهم أمام مشكلة إختيار خليفـة لهـم فطلبوا من عمر أن يعهد إلى خليفة من بعده ، فقال : إن استخلف فقـد استخلف من هو خير منى (يريد أبا بكر) وأن أترك فقد ترك من هـو خير منى (يريد رسول الله ﷺ) وقال : لو كـان أبـو عبيـدة حيـاً لإستخلفته وقلت لربى إن سألنى : سمعت نبيك يقول : " إنه أمين هـذه الأمة " ، ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً إستخلفته وقلت لـربى إن سألنى : سمعت نبيك يقول: " إن سالماً شديد الحب لله تعالى " ، فقال لـه رجل : أدلك عليه عبد الله بن عمر فقال : قاتلك الله والله مـا أردت الله بهذا ، ويحك كيف استخلف رجلاً عجز عن طلاق إمرأته ؟ لا أرب لنـا فى أموركم فما حمدتها فأرغب فيها لأحد من بيتى إن كان خـيراً فقـد أصبنا منه وإن كان شراً فقد صرف عنا ، بحسب آل عمر أن يحاسـب منهم رجل واحد ويسئل عن أمر أمة محمد ، أما لقد جـهدت نفسـى وحرمت أهلى وإن نجوت كفافا لا وزر ولا أجر إنى لسعيد . ثم طلـب الإستخلاف مرة ثانية فقال عمر : قد كنت أجمعت بعد مقالتى لكـم أن أنظر فأولى رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق ، وأشـار إلى علىّ ، فما أردت أن أتحملها حياً وميتاً ، عليكم هؤلاء الرهط الذين قـال

رسول الله ﷺ : إنهم من أهل الجنة ، وهم : علي ، وعثمان ، وعبد الرحمن، وسعد ، والزبير ابن العوام ، وطلحة بن عبيد الله فليختاروا منهم رجلا . فإذا ولوا واليا فأحسنوا موازرته ، وأعينوه إن ائتمن أحدا منكم فليؤد أمانته .

ثم دعا عليا وعثمان وسعدا و عبد الرحمن والزبير إلا طلحة فقد كان غائبا ثم خطبهم قائلا : إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم وقد قبض رسول الله ﷺ وهو عنكم راض وإني لا أخاف الناس عليكم إن إستقمتم ولكن أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذنها فتشاوروا فيها ، وإختاروا رجلا منكم ، فدخلوا فتناجوا حتى إرتفعت أصواتهم ، فقال عبد الله بن عمر : سبحان الله إن أمير المؤمنين لم يمت بعد فسمعه عمر ، فقال لهم : أعرضوا عن هذا فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ، ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً و لا شيء له من الأمر ، وطلحة شريككم في الأمر فان قدم في الأيام الثلاثة فاحضروه أمركم وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فامضوا أمركم ، وقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى لا يختاروا رجلاً منهم ، وقال لصهيب بن سنان : صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل هؤلاء الرهط بيتاً وقم على رؤسهم فإن إجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وإن إتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤسهما وإن رضى ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم

عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما إجتمع فيه الناس ، وقال لأبي طلحة الأنصارى : يا أبا طلحة إن الله طالما أعز بكم الإسلام فإختر خمسين رجلا من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم . وقد أيقن على بن أبي طالب أن الأمر قد خرج من بنى هاشم ، ذلك أن عمر بن الخطاب قد أوصى بأن يختار المرشحون من كان عبد الرحمن بن عوف فى جانبه ، وكان الأخير قد تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت عثمان ، وكان سعد بن أبى وقاص ابن عم عبد الرحمن ابن عوف ، وقد قابل العباس بن عبد المطلب على ، ولامه على أنه لم يأخذ برأيه فقد أشار عليه فى أيام مرض النبى قبيل وفاته ويسأله فيمن يلى الخلافة من بعده فلم يفعل ، كذلك عرض عليه بأن يقبل بيعته بعد وفاة النبى فلم يفعل ، ثم أوصاه بألا يدخل مع هولاء الرهط الذين إختارهم عمر بن الخطاب فخالفه ودخل ، ومن ذلك فقد نصحه بقوله : احفظ عنى واحدة : كلما عرض عليك القوم فقل " لا إلا أن يولوك " ، وحذره من بنى أمية بقوله : " واحذر هؤلاء الرهط فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم به لنا غيرنا " .

فلما دفن عمر جمع المقداد بن الأسود أهل الشورى فى بيت المسور بن مخرمة وقيل فى بيت المال وقيل فى حجرة عائشة بإذنها وطلحة غائب ، فتنافس القوم فى الأمر ، و كثر بينهم الكلام ومضت ثلاثة أيام دون أن يتوصلوا إلى أية نتيجة ، فإقترح عبد الرحمن بن عوف على أهل الشورى أن يتنازل عن حقه فى الترشيح على أن يتولى هو أمرهم فيعهدون إليه بإختيار أفضلهم ، فوافق عثمان ثم على ، و بدأ عبد الرحمن

يختلى بأهل الشورى و ظهر له أن الإختيار إنحصر فى شخصى على وعثمان ، ثم خرج ليتعرف على رأى عامة الناس من الصحابة و غيرهم ، فلما رأى إتفاق الناس و إجتماعهم على عثمان دعا عبد الرحمن أهل الشورى وأهل الرأى من المهاجرين و الأنصار وأمراء الأجناد فإجتمعوا فى المسجد و بعد أن صلوا الصبح بدأوا يتناقشون ، فقام عبد الرحمن فأعلن إختياره و قال : " إنى قد ناظرت و شاورت فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا " ، ودعا عليا و قال : " عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله و سنة رسوله و سيرة الخليفتين من بعده " ، قال : " أرجو أن أفعل فأعمل بمبلغ علمى و طاقتى " ، ودعا عثمان و قال له مثل ما قال لعلى فقال : "نعم نعمل " ، فرفع رأسه إلى سقف المسجد و يده فى يد عثمان فقال : اللهم اسمع و أشهد ، أنى قد جعلت ما فى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان فبايعه .

وهكذا أعلن عبد الرحمن بن عوف مبايعته لعثمان بن عفان ، فإزدحم الناس يبايعونه وكانت بيعته يوم الإثنين ليلة بقيت من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ ، واتهم على بن أبى طالب عبد الرحمن بأنه تحيز لعثمان وبايعه للخلافة لكى يخلفه من بعده فقال على لعبد الرحمن : " لقد حبوته حبو دهر ، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون ، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك ، والله كل يوم هو فى شأن " .

إتساع الدولة الإسلامية فى عهد عثمان :

وفى عهد عثمان إتسعت الدولة الإسلامية فى الشرق والشمال والغرب من الجزيرة العربية ، ففى الشرق فتحت بلاد طبرستان على يد سعيد بن العاص ، وأوغل عبد الرحمن بن ربيعة فى بلاد الخزر ، كذلك أخمد عثمان الثورات التى قامت فى خراسان ومرو وبلخ . أما فى بلاد الشام فقد واصل معاوية غزو بلاد الروم حتى بلغ عمورية وبلغت قواته إلى أرمينية ، كما فتح معاوية جزيرة قبرص سنة ٢٧ هـ ، وفى عهد عثمان إنتصر الأسطول الإسلامى على الأسطول البيزنطى فى معركة ذات الصوارى سنة ٣٤ هـ .

وأما فى مصر فإن الروم كانوا قد إنتهزوا عودة عمرو بن العاص إلى المدينة وهاجموا الإسكندرية وإستردوها ، فأعاد عثمان عمرو إلى مصر حيث تمكن من هزيمة البيزنطيين هزيمة منكرة وتمكن من الإستيلاء على كثير من سفن البيزنطيين وإسترداد الإسكندرية .

وفى سنة ٢٨ هـ فتح عبد الله بن أبى سرح أفريقية بإستئذان الخليفة عثمان بن عفان حيث إجتمع خليفة المسلمين بوجوه الصحابة وذوى الرأى فى المدينة سنة ٢٧ هـ ، فإجتمع معظمهم على موافقة الخليفة لغزو أفريقية بإستثناء الأعور سعيد بن زيد الذى تمسك برأى عمر ابن الخطاب على ألا يغزوها أحد من المسلمين ، وفتح باب الجهاد وجهز جيشا أرسله الخليفة إلى مصر بقيادة الحارث بن الحكم ليكون تحت قيادة عبد الله بن سعد والى مصر .

وكان هذا الجيش الذى أرسله الخليفة عثمان بن عفان معظمه من الفرسان والكثيرون منهم يسمون عبد الله ولهذا سمى بجيش العبادلة . فكان منهم عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن جعفر ، ومعبد بن العباس بن عبد المطلب ، ومروان بن الحكم بن أبى العاص وآخرون من أبناء الصحابة .

ولما وصل هذا الجيش إلى مصر ضم إليه ابن أبى سرح جيوش مصر فبلغ عدد الجيش نحو عشرين ألف رجل سار بهم عبد الله بن أبى سرح فى إتجاه أفريقية بعد أن إستخلف عقبة بن عامر الجهنى "كان ذلك سنة ٢٨هـ/٦٤٩م " ، ففيها وصلت مقدمة جيش ابن أبى سرح إلى أفريقية . وفى برقة إنضم إليه عقبة بن نافع بحاميه برقة من العرب والبربر والمسلمين ، وسار إلى طرابلس التى نقدت العهد بعد فتح عمرو بن العاص لها فلم يقف عندها عبد الله لأنه كان يريد القضاء على جريجوريوس – أو جرجير – كما يسميه العرب وكان قد اتخذ من مدينة سبيطلة عاصمة له بعد خروجه عن طاعه بيزنطة كما نجح فى ضم بعض قبائل البربر الذين إعتنقوا المسيحية وجمع جريجوريوس جيشا من البربر والروم بلغ مائة ألف وعشرون ألف جندى ، وفى رواية أخرى مائة ألف أو مائة وخمسون ألف مقاتل .

ولاجدال أن هذا العدد مبالغ فيه ولكن ليس معنى هذا أن نستبعد أن جيش جريجوريوس كان أضعاف الجيش العربى . وما يهمنا هنا أن الجيشان قد إلتقيا عند سبيطلة بالقرب من أطلال قرطاجنة القديمة

فحاصرها عبد الله بن سعد حصارا محكما وقد دارت مناوشات إستغرقت أياما بين الفريقين كان القتال يمتد أثناءها من الصباح حتى الظهر . واستمرت الحرب سجالا فكان كل طرف يخشى الطرف الآخر حيث كان الروم يرهبون العرب ، فقد كانت أنباء أنتصاراقم فى الشام والعراق وبرقة قد وصلتهم ، وكان العرب يخشون كثرة الروم وعظم معداقم ، مما دعا عبد الله بن أبى سرح إلى أن يغير خطة القتال فإتفق مع عبد الله بن الزبير أن يباغت الروم بالهجوم بعد إنتهاء القتال اليومى ، ونجحت الخطة حيث تمكن عبد الله بن الزبير وأصحابه من إختراق معسكر الروم وهم متعبون ولا يتوقعون القتال .

واستطاع ابن الزبير أن يصل إلى مخيم جريجوريوس وقتله سنة ٢٨ هـ/ ٦٤٨ م فالهزم جيش جرجير ، وأسر وقتل الكثير من رجاله وفر الباقون إلى السواحل وأحرز الجيش الإسلامى نصرا كبيرا ، وإستولى عبد الله بن سعد على سبيطلة ودمرها تدميرا .

ظل عبد الله فى أفريقية سنة وثلاثة أشهر ثم عاد إلى مصر أوائل سنة ٢٩ هـ / ٦٤٩ م ، لكن عبد الله لم يتخذ قاعدة إسلامية فى هذه البلاد و لم يعهد لأحد القادة المسلمين بحكم هذا الإقليم ، إنما ترك حامية فى برقة وأخرى فى زويلة ، ومع ذلك فإن غزوة عبد الله كانت تجربة مفيدة للعرب إذ أوقفتهم على حالة هذه البلاد ، وعلى مدى أهميتها بالنسبة لهم فضلا عن ما ترتب عليها من تحالف بين البربر والعرب ،

حيث إطمئن البربر أن لهم فى العرب حليفا قويا يستطيع حمايتهم من الروم إذا فكر هؤلاء فى العودة إلى البلاد .

ويبدو أن عبد الله بن سعد قد أدرك أن فتح أفريقية لايتم بمعركة واحدة ولا بهذا العدد القليل من الجيش لا سيما وهو يلتقى بجيوش متحالفة وفى منطقة ذات تضاريس قاسية ، ففضل العودة إلى مصر خاصة بعد إختلاف القواد على قسمة الغنائم .

ولا شك أن هذا التصرف من جانب عبد الله ألقى كثيرا من الأعباء على الحملات التى جاءت من بعده فكان على المسلمين أن يبدأوا من جديد لأن إنسحابه قد أضاع كثيرا مما حققه العرب من النتائج التى كان المسلمين قد وصلوا إليها فى بلاد المغرب .

الفتنة و مقتل عثمان :

وفى أيام عثمان ظهرت الفتنة وكان من أهم أسبابها أن عثمان بن عفان قد أساء إختيار حكام الأمصار الإسلامية وولى بعض أقربائه الذين تجاوزوا الحدود على عكس ما كان سائدا فى عصر عمر ابن الخطاب ، وكان من بين عمال عثمان الوليد بن عقبة بن أبى معيط وهو ممن أخبر رسول الله ﷺ أنه من أهل النار ، فكان يشرب الخمر مع ندمائه وأشاع فى الكوفة فسقه ومداومته على شرب الخمر فإنتزع أهل الكوفة خاتمه من يده وأخبروا عثمان بخبره ، فعزله عثمان وولى بعده سعيد بن العاص

فإستبد بالأموال وأساء السيرة فطلب أهل الكوفة عزله واضطر إلى ذلك فولى أهل الكوفة على أنفسهم أبا موسى الأشعرى. كذلك إستبد عبد الله بن أبي سرح بأهل مصر فشكاه جماعة منهم إلى عثمان فأمره عثمان بأن يحسن معاملتهم ولكن ابن أبي سرح ضرب بعض من آتاه من قبل عثمان فقتله .

وكان من أسباب الفتنة سياسة التساهل و اللين التي إتبعها عثمان، فقد إقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور ، منهم الزبير بن العوام الذى بنى داره بالبصرة وإبتنى أيضا دورا بمصر والكوفة والإسكندرية ، وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وكذلك طلحة بن عبيد الله ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة بالكناسة بدار الطلحيين وكذلك عبد الرحمن بن عوف ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس ، وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة ، وكان عثمان بن عفان نفسه قد بنى داره فى المدينة وشيدها بالحجر والكلس وجعل أبوابها من الصاج والعرعر وإقتنى أموالا وجنانا بالمدينة .كذلك لم يقتد عثمان بأبى بكر وعمر فى تقشفهما ، فكان يلبس فاخر الثياب و يأكل ألين الطعام ، ومن الأشياء التى أخذت على عثمان أنه أول من إستخدم السوط لضرب ظهور الناس وكان الخليفتان أبو بكر وعمر يأمران بإستخدام الدرة و الخيزران .

وفى عصر عثمان ظهرت حركة السبئية وهم أتباع عبد الله بن سبأ وكان يهوديا من اليمن ثم أسلم نفاقا لبث الفرقة بين المسلمين فذهب إلى

القوم بمذهب الرجعة كما قال بالوصاية ويذهب إلى أن علياً كان وصـــى محمد ﷺ ولما كان رسول الله خاتم الأنبياء فعلى خاتم الأوصياء ، كمـــا إتهم عثمان بأنه إنتزع من على حقه فى خلافة المسلمين ، وقد بدأ ابن سبأ الدعوة فى البصرة ولكن عبد الله ابن أبى عامر طرده منـــها فرحـــل إلى الكوفة ومنها إلى بلاد الشام ثم إلى مصر وأخذ ينشر دعوته بـــين أهلـــها فوجد مرعى خصيب خاصة أن سياسة ابن أبى سرح والى عثمـــان قـــد أسخط أهلها عليهما .

وفى سنة ٣٥ هـ خرجت جماعات من الثوار الناهضين لسياســـة عثمان من الكوفة والبصرة ومصر إلى المدينة المنـــورة لمطالبـــة عثمـــان بالإصلاح وقد دارت بينه وبين هؤلاء الثوار محادثات وكان على بـــن أبى طالب له دور بارز فى محاولة تهدئة هؤلاء الثائرين الذين طالبوا بعـزل ولاة عثمان ، فقد سأل أهل مصر عثمان أن يعزل ابن أبى سرح ويقيم مكانـــه محمد بن أبى بكر ، فكتب عثمان عهده بذلك فعاد ثوار مصر ومعهم نفراً من المهاجرين و الأنصار ، وفى أثناء عودتهم إذا هم بغلام على بعيرا، ولمـــا شكوا فى أمره فتشوه فوجدوا معه كتاباً بختم عثمان يأمر فيه عبد الله بـــن أبى سرح بقتل الثوار من المصريين فعادوا إلى المدينة ورجع ثوار العـــراق وبدأوا يحاصرون دار عثمان ، وقد إستنجد عثمان بعلى بن أبى طـــالب ومعاوية بن أبى سفيان . وإنتهى هذا الحصار بمقتل عثمان بن عفان علـــى يد كنانة ابن بشر التجيبى وسودان بن حمران ، وكان قتله فى يوم الجمعـــة ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥ هـــ .

خـــلافة على بن أبى طـــالب " ٣٥ - ٤٠ هـــ "

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد منـــاف ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف ، ولد قبل البعثة بعشـــــر سنين وتربى فى بيت النبى ﷺ وكان على أول من أسلم مـــن الصبيـــان ، زوجه رسول الله من إبنته فاطمة الزهراء فى السنة الثانية للهجرة فـــأنجب منها الحسن والحسين .

بويع على بن أبى طالب فى اليوم الذى قتل فيه عثمان بن عفـــان ولكن بيعته لم تكن عن إجماع من المسلمين و لم يكن بالمدينة سوى عـــدد قليل من الصحابة ، وعندما بايعه طلحة والزبير نكثا بالبيعة بعـــد أربعـــة أشهر وبررا مبايعتهما لعلى بأنهما لم يبايعا إلا والسيف على عنقيـــــهما ، وإمتنع عدد من الصحابة عن مبايعة على بن أبى طالب ومن هؤلاء نذكر: سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومن الأنصار حسان بن ثابت ، ومسلمة بن مخلد .

وكان على بن أبى طالب يرى أنه جدير بتولى إمامـــة وخلافـــة المسلمين ، فهو إبن عم رسول الله ﷺ وزوج إبنته وأول من أسلم مـــــن الصبية ونام فى فراش رسول الله يوم الهجرة ، وشـــهد جميـــع غـــزوات الرسول ﷺ ، فضلا عن شجاعته وعلمه وتقواه .

وقد حاول على منذ ولى الخلافة إصلاح المفاسد التى ظـــهرت فى خلافة عثمان بن عفان ، فبدأ بعزل عمال الولايات الإسلامية من أقربـــاء عثمان وكان من أثر ذلك خروج معاوية بن أبى سفيان والى الشام عليــه وكان الزبير يطمع فى ولاية العراق ، وطلحة فى ولاية اليمن ، فتجاهلـهما على .

أما طلحة والزبير وهما من أهل الشورى فقد توجـــها إلى مكــة وإتفقا مع السيدة عائشة على الخروج على على ، فخرجوا إلى البصــرة فى ستمائة رجل ولحقهم الناس حتى أصبح عدة من معهم ثلاثة آلاف رجل ، فخرج على إلى البصرة وفشلت كل محاولاته تجنيب المسلمين الحرب ضـد بعضهم البعض ، فزحف بقواته ووقع الإشتباك بين الفريقـــين فى شـــهر جمادى الآخر سنة ٣٦ هــ فى معركة الجمل ، وإنتهت بهزيمـــة الحلفـــاء الثلاثة ، وإشتد القتال حول هودج السيدة عائشة التى كانت تحرض الجند على القتال وهى فى هودجها المصفح بالحديد و لم ينتهى القتال إلا عندمـــا عقر الجمل بالسيف ، ورغم ذلك فقد أكرم على السيدة عائشة وأعادهـــا إلى المدينة بصحبة أخيها محمد بن أبى بكر وكانت هـــذه المعركـــة أولى إنتصارات الخليفة على بن أبى طالب على المنـــاوئين لـــه والطـــامعين فى منصب الخلافة .

موقعـــة صـــفـــين :

كان معاوية بن أبي سفيان واليا على بلاد الشام ومن أبرز الـــولاة الذين رفضوا مبايعة على بن أبي طالب ، ورفض على الأخذ بمشورة عبـد الله بن عباس ، والمغيرة بن شعبة بأن يترع من شاء من عمـــــال عثمـــان باستثناء معاوية أقوى عمال عثمان بمن يؤيده من أهل الشام ، حتى يسكن الناس ، فإذا ما تم ذلك أصبح فى إستطاعة على بـــن أبى طـــالب عـــزل معاوية، لكن على رفض مداهنة معاوية فكتب إليه يطلب منه بيعة أهـــل الشام وأما معاوية فلم يجبه بشيء . فكتب إليه مرة ثانية: " أما بعد ، فقـد وليتك ما قبلك من الأمر والمال ، فبايع من قبلك ثم أقـــدم إلى فى ألـــف رجل من أهل الشام " ، فتباطأ معاوية عن الإجابة عليه حتى مضت ثلاثـة أشهر ، ثم أرسل معاوية إلى على كتابا يقول فيه : " من معاوية إلى على ، أما بعد .. فانه ليس بيني وبين قيس عتاب .. غير طعن الكلى وضـــرب الرقاب "، وبعد أن انتصر على بن أبي طالب فى موقعة الجمل أرسل مـرة أخرى إلى معاوية يدعوه للدخول فى طاعة خليفة المسلمين ، أو الإيـــذان بالحرب ، ولكن معاوية رد عليه بكتاب و لم يكتب فيه شيئا إلا " بسم الله الرحمن الرحيم " .

كان معاوية بن أبي سفيان قد عقد العزم على محاربة على بـــن أبي طالب ويتهمه على منبر جامع دمشق بأنه تستر على قتلة عثمان وأن دمـه فى عنقه ، وتمكن من الحصول على قميص عثمان وقد خضب بدمـــــه ، واستعمله فى اثارة الناس ضد على ، وقد نجح معاوية فى ذلـــك نجاحـــا باهرا، إذ أجمع أهل الشام على الإلتفاف حوله ، كما أجمعوا على مبايعتـــه

بعد أن أقنعهم بضرورة محاربة على ابن أبى طالب لأنه تخاذل فى الدفاع عن عثمان بن عفان .

ويقال أن معاوية قد أرسل إلى عمرو بن العاص يستشيره فى أمر مبايعة على، فأبدى عمرو قبوله بمساعدة معاوية فى صراعه المقبل ضد على على أن يجعل له مصر طعمة ، ومن ثم أرسل معاوية إلى على يخبره أن معاوية وأهل الشام لا يبايعونه ويتهمه بالإشتراك فى دم عثمان وحماية قاتليه فى جيشه و لم يعمل أى عمل فى القصاص منهم .

أما على فقد تجهز للمسير نحو الشام عن طريق الجزيرة وكان ذلك لخمس بقين من شوال سنة ٣٦ هـ ، فخرج بجنده وعسكر بالنخيلة وبلغ معاوية خروجه إليه بنفسه ، فخرج إليه بأهل الشام وعبر الفرات من الرقة وقدم طلائعه أمامه حتى إذا كان بسور الروم إلتقت طلائعه بطلائع على فكانت بين الفريقين مناوشات قليلة ، ثم تحاجزوا ثم تلاحقت جنود على معاوية ، فعسكرت الطائفتان فى سهل صفين على شاطىء الفرات الغربى وكان جيش معاوية نحو ٨٣ ألفا ، أما جيش على فقدر بنحو ٩٠ ألفا ، وأمر معاوية أبا الأعور السلمى بأن يقف فى عشرة آلاف على طريق الشريعة ليمنع جند على عن الماء بالقوة ولكن قوات على نجحت فى إجلاء جند معاوية عن الماء ، ولكن على أمر بألا يمنع أهل الشام من وروده . فكانوا يسقون جميعا ، ويختلط بعضهم ببعض ، وقضى الفريقان شهر المحرم سنة ٣٧ هـ دون حرب .

وإستمرت المراسلات بينهما طمعا فى الصلح ، ثم دارت الحرب بينهما فى أول صفر ودامت الحرب عشرة أيام تبادل فيها الفريقان النصر و الهزيمة . وفى اليوم العاشر رجحت كفة جيش على ، فلما أحس معاوية الهزيمة ، عمد إلى إصطناع الخديعة فأمر عمرو ابن العاص برفع المصاحف على الرماح وتعليقها فى أعناق الخيل والمناداة بتحكيم كتاب الله بين معاوية و على ، وقد أخذ أصحاب على وبخاصة القراء بهذا الرأى فتوقفوا عن القتال و أجبروا عليا على قبول التحكيم ، وعلى اثر ذلك إنقسم جيش على وخرج بعض المتحاربين فى صف على من القتال إحتجاجا على وقف الحرب ، وقد عرف هؤلاء بإسم الخوارج .

خرج الخوارج وكانوا إثنا عشر ألفا إلى ظاهر الكوفة و إعتزلوا عليا ، فلحقوا بقرية حروراء من قرى الكوفة وجعلوا عليهم شبيب بن ربعى التميمى وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء اليشكرى ، ونادوا بشعارهم " لا حكم إلا لله" واضطر على بن أبي طالب إلى أن يدخل عدة حروب مع الخوارج، فإشتبك مع الحرورية أتباع عبد الله بن وهب الراسبى فى النهروان سنة ٣٨ هـ وهزمهم ، ثم حارب على خوارج الأنبار وماسبذان وجرجرايا بالقرب من المدائن وشهرزور .

وكان على رأس الذين رأوا قبول التحكيم الأشعس بن قيس ، وكان واليا على أذربيجان ، ولما ولى على الخلافة بايعه وكان على رأس أهل الكوفة وهم معظم أنصار على ، لذلك اضطر على إلى النزول على رأى الأشعس كارها .

وللمرة الثانية أجبر أهل الكوفة عليا على أن يكون حكمه أو مندوبه عنه فى النزاع أبو موسى الأشعرى وكان على لا يريد إختياره فقال : " قد عصيتمونى أول الأمر فلا تعصونى الآن " . وكان على يريد أن يكون نائبه فى التحكيم عبد الله بن عباس أو الأشتر النخعى ، أما معاوية فقد إختار عمرو بن العاص .

إنعقدت محكمة التحكيم فى دومة الجندل الواقعة على الطريق بين دمشق والمدينة ، وإتفق الفريقان على خلع على ومعاوية وإعطاء الفرصة للمسلمين ليختاروا من يرضون عنه ، وقام أبو موسى الأشعرى فخلع عليا و معاوية ، بينما خدعه عمرو بن العاص فخلع عليا ولكنه أقر معاوية فى الخلافة . وحاول أبو موسى تكذيب معاوية ، وأخيرا إنسل أبو موسى فركب راحلته ولحق بمكة ثم إنصرف أهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة .

رفض على التحكيم على هذا النحو وقامت على اثر ذلك فتن وإضطرابات شملت الدولة الإسلامية ، وكان على خليفة المسلمين أن يواجه معاوية والخوارج ، وكان معاوية قد أرسل جيشا إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص وكان يحكم مصر محمد بن أبى بكر ، فتمكنت قوات عمرو من هزيمة ابن أبى بكر وقتله ، وأصبحت مصر تابعة لمعاوية بن أبى سفيان فولاها عمرو بن العاص ومنحه حق إستغلالها مدى الحياة . كذلك إستولت قوات معاوية على البصرة ، وأصبح موقف على فى غاية الحرج .

إتفق ثلاثة من الخوارج وهم : عبد الرحمن بن ملجم ، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمى على إغتيال معاوية وعمرو بن العاص وعلى بن أبي طالب لكى يستريح المسلمون من الفتنة ، فضلا عن ثأرهم لمن قتل منهم .

وفى يوم الخامس عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ ترصد عبد الرحمن بن ملجم لعلى بن أبي طالب عندما خرج يريد صلاة الصبح فضربه بالسيف وهو ينادى "الحكم لله لا لك و أصحابك " ، ففزع إليه المسلمون فقتلوه ، وتوفى يوم الأحد ١٧ رمضان بعد أن مضى على خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، ودفن بالكوفة . أما البرك بن عبد الله فقد ترصد لمعاوية ثم ضربه بالسيف ، ولكن حراس معاوية قتلوه ، وعولج معاوية من الضربة ، ومن يومها إتخذ الحراس والحجاب والمقصورة وقيام الشرط على رأسه إذا سجد . أما عمرو بن بكر فقد ترصد بعمرو بن العاص ، وكان عمرو يومئذ مريضا وقد فوض صاحب شرطته خارجة ابن حذافة العدوى فضربه الخارجى بالسيف وقتله ظنا منه أنه عمرو ابن العاص .

بعد مقتل على خلفه إبنه الحسن وظل فى الخلافة مدة لا تزيد على ستة أشهر ، أما معاوية فقد توجه بقواته لغزو العراق فإستولى على عين التمر ثم الأنبار وبلغ ذلك الحسن وهو بالكوفة فخرج فى إثنى عشر ألفا متجها إلى المدائن ، ولكنه سرعان ما تبين له عدم إخلاص أهل الكوفة وإنصرافهم عن الحرب ، فرأى أن يفاوض معاوية فى أمر التخلى له عن

الخلافة بشروط منها : أن يعطيه معاوية ما فى بيت مـــال الكوفـــة ، وأن يحمل إلى الحسين كل عام ألفى ألف ، وأن يكف عن سب أبيـــه علـــى المنابر . وقبل معاوية تلك الشروط ثم سار الحسن بأهل بيتـــه حـــتى وافى الكوفة وتم تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية فى ٢٥ ربيع الأول ســـنة ٤١ هـــ ، وقيل فى ربيع الآخر ، أو فى جمادى الأول . أما معاوية فقد دخـــل الكوفة وبايعه الناس بالخلافة ، وعُرف هذا العام بعام الجماعة لإجتمـــاع كلمة المسلمين على شخص واحد وهو معاوية ، ويقال أن معاوية كـــان قد أعطى الحسن بن على عهداً ليكون خليفة من بعده ، ثم دس له مـــن سمه فتوفى الحسن سنة ٤٩ هـــ .وبذلك تنتهى فترة الخلفاء الراشدين .

مدينة الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين

اصطلح المؤرخون على تسمية الدولة الأولى مـــن دول الإســـلام بدولة الخلفاء الراشدين ومدتها تقرب من ثلاثين عاماً . ويقصد بكلمـــة مدينة هنا مجموع النظام الذى إتبعوه فى أحوالهم الإجتماعية سواء فى إدارة أمورهم الداخلية أو فى حروبهم .

١-النظم الإدارية :

أ-<u>الخـــلافـــة :</u> الخلافة هى منصب رئاسة الدولة الإسلامية ، وقد عرفها الماوردى بأنها "خلافة عن النبوّة فى حراسة الديـــن وسياســـة الدنيا " . بمعنى أن الخليفة يجمع فى شخصه السلطتين الدينية والدنيويـــة ، دينية بإعتباره إمام المسلمين فى صلاتهم ، فهو الذى يقيمـــها بنفســـه او

بواسطة نائبه ، وكان فى كل مصر مسجد جامع واحد تؤدى به الجمعة ولا ينصب فى غيره ، فلم تكن تقام إلا جمعة واحدة فى المصر يقيمها الخليفة أو الوالى وذلك فى عهد الخلفاء الراشدين . وكان من الأعمال الكبرى للخليفة إقامة حجهم وكان الحج معتبراً فى نظر الخلفاء الراشدين موسماً عاماً يجتمع فيه أمراء الجهات ليدلوا إلى الخليفة بما عندهم من الأحوال فى بلادهم وكان الخلفاء يلونه بأنفسهم وكان أكثرهم تولياً لأمر الحج بنفسه عمر بن الخطاب حج سنيه كلها إلا فى العام الأول من حكمه فقد أناب عنه عبد الرحمن بن عوف ، وأبو بكر حج بنفسه مرة وأناب عنه مرة ، وعثمان حج معظم سنيه ، وعلى أناب عنه كل سنى خلافته .

كما أن الخليفة يسهر على تطبيق العدالة و أميرهم فى جهادهم ، ويدافع عن الدين من خطر الخارجين عليه . ودنيوية لأنه رئيسهم فى إدارتهم ، وينظر فى مصالح المسلمين الدنيوية ، وبالجملة صاحب الولاية العامة عليهم .

- **الخلافة فى اللغة** : الخلافة مصدر من خلف زيد عمراً ، أى قام مقامه ، وبقى بعده فهو خليفة، أما ابن حزم فيقول : إن أبا بكر إنما سمّى خليفة لأن محمداً إستخلفه ، أى جعله خليفة له ، و لو كان هو الذى خلف محمداً لسمى " خالفاً " ، غير أن هذا الرأى ضعيف و الأول هو الأصح .

• **ألقـــاب الخـــلافـــة** : كان رئيس الدولة الإسلامية يسمى خليفـــة وأميراً للمؤمنين وإماماً .

١- الخليفة : أول من سمى خليفة أبو بكر ، قيل أبى دعى خليفـــة الله ، فكره هذا اللقب و نهى عنه ، و قال لست خليفة الله ولكنـــي خليفـــة رسوله ﷺ .

٢- أمير المؤمنين : ولما مات أبو بكر الصديق وإســـتخلف عمـــر بـــن الخطاب ، قيل لعمر : خليفة خليفة رسول الله ، فقال المسلمون : فمـــن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله ، فيطول هذا ، فقـــال بعض الصحابة : " نحن المؤمنون ، و عمر أميرنا " . فلقب عمـــر بأمـــير المؤمنين ، و كان أول من سُمى بذلك . ثم توارث هذا اللقـــب ســـائر الخلفاء .

٣ - الإمام : أول من لقب بالإمام هو على بن أبي طالب ، ثم تلقب بـــه العباسيون و الفاطميون ، و ربما دعيت الخلافة : " الخلافة الكبرى " تمييزا لها عن إمامة الصلاة .

٤ - لقب خاص : إستحدث الخلفاء العباسيون ألقاب يتميز بها بعضـــهم عن بعض ، فتلقبوا بالمنصور والمهدى والهادى والرشيد والمعتضد ..

• **شعـــار الخـــلافـــة** :

كان للخليفة خاتم مخصص وثياب مخصوصة ، فقد كانت ثيـــاب الخلفاء تختلف من عصر إلى عصر ، ففى زمن الخلفاء الراشدين كـــانت لا

تتميز عن ثياب الرعية ، أما معاوية بن أبى سفيان فقد قلد ملوك الـــروم والفرس ولبس الثياب الفاخرة ، وأما الخاتم فالأصل فيه أن رسـول الله ﷺ إتخذ خاتماً من فضة وجعل نقشه " محمد رسول الله " . فإتخذ الخلفاء مـن بعده خواتيم لكل خاتم نقش خاص . أما راتب الخلافة فقد كان الخلفـاء الراشدون يتورعون عن أخذ شيء من بيت المال ، إلا ما يقـــوم بـأود حياقم ، ثم جاء معاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية فصار يـأخذ من بيت المال بغير حساب و يعطى من يشاء وكذلك الحـــال بالنسـبة لخلفاء بنى العباس .

ب-**الدواوين :** كان عمر بن الخطاب أول من أدخـل نظـام الديوان من خلفاء المسلمين بعد أن إتسعت الدولة الإسلامية إتساعاً هائلاً بفتوحات الشام والعراق وفارس ومصر ، فقد أدت الفتوحات الإســلامية وقتئذ إلى ضرورة إستقرار الجند فى الولايات المفتوحة فإقتبس عمــر بـن الخطاب من الفرس نظام الديوان لضبط دخل الدولة ونفقاتها .

- **ديوان الجند** : بدأ عمر بن الخطاب فى إنشاء ديوان الجند المعـــروف بديوان العطاء وذلك بعد أن تم للمسلمين هزيمة الفـــرس فى معركـة القادسية ، ودُون فى هذا الديوان اسماء الرجال وفرض أعطياتهم ، تبعـاً للنسب النبوى والسابقة فى الإسلام . وظل العطاء بإعتبـــار النســب والسابقة بعد ما كانت أعطيات الجند فى أيام النبى غـــير محـــدودة . وظلت أعطيات الجند على هذا القدر فى عهد الراشدين .

- **ديوان الخراج والجبايات :** يعتبر ديوان الخراج من أهم الدواوين لأنه يشرف على الشئون المالية للدولة ، والخراج ما يوضع من الضرائب على الأرض أو محصولاتها ، وقد اقتبسه عمر ابن الخطاب من الفرس لأن الفرس اقتبسوا كثيرا من قوانين اليونان والرومان ، فلما ظهر المسلمون وفتحوا الشام ومصر والعراق وغيرها أقروا الدواوين على ما كانت عليه ، وظل كتاب الدواوين من أهل البلاد أنفسهم فكان عمال ديوان الخراج فى مصر الأقباط وكانوا يكتبونه بالعربية والقبطية كما كان ديوان الشام بالعربية والرومية وديوان البصرة والكوفة بالعربية والفارسية .

- **ديوان الرسائل والكتابة :** عندما ظهر الإسلام لم يكن يكتب بالعربية إلا بضع عشر مسلماً ، كلهم من الصحابة وفيهم على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب وطلحة وعثمان وأبو سفيان وإبناه معاوية ويزيد وغيرهم . فكان على وعثمان وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم ممن كتب لرسول الله ، فكتبوا له سور القرآن والكتب التى خاطب بها الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، وكان بعض هؤلاء الصحابة يكتب له والبعض الآخر يكتبون بين الناس فى المدينة . ولما تولى أبو بكر الصديق الخلافة كان عثمان بن عفان يكتب له الكتب وصارت الكتابة منصباً من مناصب الدولة الإسلامية ، فلما تولى عمر الخلافة كتب له أولاً زيد بن ثابت . ولما فُتحت الأمصار ودونت الدواوين عين عمر بن الخطاب كاتباً لكل ولاية يكتب فى ديوانها ، وكان الكاتب يكتب فى أول الأمر لديوان الجند وبيت المال فتولى عثمان

وعلى وانقضت دولة الخلفاء الراشدين والكتابة منحصرة فى كـــاتب واحد يكتب أعطيات الجند والمراسلات ، وربما كان كاتبين يتـــولى الثانى كتابة بيت المال .

- **ديوان الخاتم** : أما الخاتم فقد اتخذه الخلفاء تشبها برسول الله ، لأنــه لما أراد أن يكتب إلى قيصر وكسرى يدعوهما للإسلام قيـل لـه أن العجم لا يقبلون كتابا إلا أن يكون مختوما ، فاتخذ خاتما من فضــة ونقش عليه " محمد رسول الله" وانتقل هذا الخاتم إلى أبى بكــر ، ثم إلى عمر ، ثم إلى عثمان ، ووقع من يد عثمان فى بــئر أريــس و لم يعثروا عليه بعد ذلك ، فاصطنع عثمان خاتما مثله ، وكان كل مــن ولى الخلافة بعده يصطنع خاتما يختمون به الكتــب فى أســفلها وفى أعلاها بالطين أو بالمداد .

جـ-**القضاء :** أول من تولى القضاء فى الإسلام رسول الله صلــى الله عليه وسلم . وكان القضاء معتبرا من عمل الخليفــة لأن القضــاء مــن المناصب الهامة و يعنى فصل الخصومات والمنازعات على حسب القــانون الشرعى المأخوذ من الكتاب والسنة ، فكان الخلفاء يباشرون هذا العمــل بأنفسهم ويستفتون فى الحكم إذا كانت هناك حاجة إلى الإستفتاء . ولمــا كثرت المشاغل وإتسعت الفتوح وإضطر الخلفاء للإشــتغال بــالجيوش وتدبيرها فوضوا هذا العمل إلى من فى مكنتهم الإستنباط ، ولكنــهم لم يتسموا باسم القضاة إلا من عهد عمر بن الخطاب الذى بعث قضــاة إلى الأمصار مثل أبا الدرداء معه فى المدينة و أبا موسى الأشعرى فى الكوفــة

ووضع لهم نموذجاً يسيرون عليه ، وإستمر الحال كذلك حتى آخر عـــهد الخلفاء الراشدين .

وكان القضاة أول الأمر يولون على الأقاليم قضاة من قبلـــهم ؛ فيولون لكل ناحية قاضياً . فلما عمرت المملكة وإتسعت تعدد القضـــاة حتى صاروا يولون فى المدن الكبرى عدة قضاة ؛ كل قاض فى جانب مـــن جوانبها ، والخليفة هو الذى يولى كلاً منهم بنفسه .

وكانت وظيفة القاضى فى صدر الإسلام محصورة فى الفصل بـــين الخصوم ، ثم صاروا يتعاطون أمورا أخرى على ما تقتضيه الأحوال بحسب إشتغال الخلفاء فى السياسة . فأضيف إلى أعمال القاضى استيفاء بعـــض الحقوق العامة للمسلمين ، كالنظر فى أمور المحجور عليهم مـــن المجـــانين واليتامى وأهل السفه ، وفى وصايا المسلمين وأوقافهم ، وتزويج الأيـــامى عند فقد الأولياء .. ثم إمتدت سلطتهم أحيانـــا إلى النظـــر فى مصـــالح الطرقات والأبنية ، وتصفح الشهود والأمناء والنواب ، . وتوسع بعـــض الخلفاء فجعلوا للقضاة قيادة الجهاد فى عساكر الصوائف ، منهم يحيى بـــن أكثم فقد كان يخرج فى أيام المأمون بالصائفة إلى أرض الروم .

وكان يشترط فيمن يتولى منصب القضاء سبعة شروط :

١- أن يكون رجلا .
٢- أن يكون عاقلا صحيح التمييز بعيدا عن السهو والغفلة .
٣- أن بكون حرا .

٤- أن يكون مسلما .

٥- أن يكون عادلا ، والعدالة أن يكون ظاهر الأمانة عفيفا عن المحارم ، بعيدا عن الريب ، مأمونا فى الرضا والغضب .

٦- أن يكون سليما فى السمع والبصر ليصح بهما إثبات الحقوق ويفرق بين الطالب والمطلوب، ويميز المقر من المنكر ليتميز له الحق من الباطل .

٧- أن يكون عالما بالأحكام الشرعية ، وعلمه بها يشتمل على علم بأصولها والإرتياض بفروعها، وأصول الأحكام فى الشرع أربعة هى القرآن والسنة وتأويل السلف والقياس .

د-**السكة :** كان عمر بن الخطاب قد أقر العملات الفارسية والبيزنطية مع إضافة بعض نقوش عربية مما يقتضيه الإسلام . وفى خلافة عثمان بن عفان نقشت عليها عبارة " الله أكبر " .

٢- الحياة الفكرية :

أ- العلوم الشرعية :

- **القرآن جمعه وتدوينه :-** لا غرو إذ إهتم المسلمون بجمع القرآن وحفظه ، لأن عليه يتوقف دينهم ودنياهم وأول أسباب حفظه تدوينه وكان أكثر الناس عناية فى تدوينه على عهد النبى على بن أبى طالب وأبى الدرداء ومعاذ بن جبل وثابت بن زيد . فلما تولى الخلافة أبو بكر الصديق واستشهد من الصحابة جماعة كبيرة فى حروب الردة ،

أحضر أبو بكر زيد ابن ثابت فجمع ما كان مدونا من القرآن عند الصحابة ، فظلت الصحف عبد أبي بكر ثم عمر .

وفي أيام عثمان إتسعت الفتوحات وتفرق المسلمون في مصر والشام والعراق وفارس وبلاد المغرب ، فدعا عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأمرهم أن ينسخوا القرآن ويستعينوا على القراءة بما حفظه القراء ، ففعلوا ذلك سنة ٣٠ هـ فأصبح المعول في المصاحف على ما كتبه عثمان .

كان للقراء شأن عظيم في أول الإسلام ، وعندما أرسل عثمان مصاحفه إلى الأمصار بفترة قصيرة ، أصبح لأهل كل مصر قراءة خاصة ثم أستقر منها سبع قراءات تواتر نقلها بأدائها ، وأصحاب هذه القراءات هم : نافع بن أبي رؤيم ، ويزيد بن القعقاع في المدينة، وعبد الله بن كثير في مكة ، وأبو عمرو بن العلاء ، ويعقوب الحضرمي في البصرة . وعبد الله بن عامر في الشام ، وعاصم ابن أبي النجود ، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلى الكسائي ، وخلف البراز في الكوفة . واشتهر غيرهم كثيرون في أقطار العالم الإسلامي .

ومن العلوم الدينية علم تفسير القرآن وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول شارح للقرآن الكريم ، فحفظ أصحابه عنه ذلك وتناقلوه فيما بينهم وعنهم أخذ من جاء بعدهم من التابعين . ومن أشهر المفسرين من الصحابة عبد الله بن عباس وأول من دون التفسير مجاهد المتوفى سنة

١٠٤هـ .ومن العلوم الشرعية الحديث النبوى ، وقد أخذ الناس الحديث عن الصحابة ومنهم السيدة عائشة وعمر بن الخطاب وأبو هريرة .

ب-**العلوم اللسانية :**

عندما أخذ المسلمون فى تفسير القرآن الكريم ، إحتاجوا إلى ضبط معانى ألفاظه وتفهم أساليب عباراته ، فجرهم ذلك إلى البحث فى أساليب العرب واقوالهم وأشعارهم ولا يكون ذلك سالما من العجمة إلا إذا أخذ عن عرب البادية . والقبائل التى نقلوا عنها العربية من نحو وصرف وبلاغة هى قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وطى . كذلك إستحدثت الشريعة الإسلامية والنظم السياسية والإدارية فى الدولة العربية ألفاظا ومصطلحات لم يكن للعرب عهد بها من قبل .

جـ- علوم التاريخ :

كان العرب قبل الإسلام يعدون من أضعف الأمم المتمدنة فى التاريخ ، فلما ظهر الإسلام اشتغلوا بالفتوح والحروب ، حتى إذا استتب لهم الأمر تدرجوا فى وضع التاريخ مثل تدرجهم فى سائر العلوم الإسلامية. وكان الخبر التاريخى يستمد من السماع عند الحفاظ الموثوق بهم وهو ما يعرف بالأسانيد . وقد دفع إهتمام المسلمين بأخبار الرسول وافعاله الكتاب فى التصنيف فى سيرة الرسول وفى مغازيه ومغازى الصحابة .

الخــــلافــة الأمـــويــة
٤١ - ١٣٢ هـ / ٦٦١ - ٧٤٦ م

معاوية بن أبي سفيان "٤٠-٦٠هـ"

يرجع نسب معاوية بن أبى سفيان بن حرب إلى أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، ولد بمكة قبل الهجرة بخمس عشرة سنة ، وكان معاوية رجلا طويلا ، أبيض ، جميلا ، مهيبا ، ويقال أن عمر بن الخطاب كان ينظر إليه فيقول : هذا كسرى العرب ، وأسلم هو وأبوه يوم فتح مكة ، وكان بعد إسلامه يكتب بين يدى الرسول ﷺ وروى له عن النبى ﷺ مائة وثلاثة وستون حديثا ، وكان من الموصوفين بالدهاء والحلم .

وفى خلافة عمر ولاه ولاية الأردن ، ثم لما توفى يزيد بن أبى سفيان ولاه عمر دمشق وما معها ، وفى خلافة عثمان ولى معاوية بلاد الشام ، وفى خلافة على بن أبى طالب وقع الخلاف بينه وبين معاوية حتى قتل على ابن أبى طالب وسلم ابنه الحسن الخلافة لمعاوية .

كان أول من ولى العراق فى عهد معاوية المغيرة بن شعبة الذى ولى على الكوفة سنة ٤١هـ وكان من قبيلة ثقيف ، وقد إشترك فى فتوح فارس ، وولاه عمر بن الخطاب على البصرة ، وفى سنة ٢١هـ ولاه عمر على الكوفة .

وفى سنة ٥٠ هـ توفى المغيرة بن شعبة وضمت الكوفة والبصرة تحت إمرة زياد بن أبيه وهو من قبيلة ثقيف ، وكان واليا على فارس فى خلافة على بن أبى طالب ، فلما توفى على إمتنع زياد فى ولايته ، وقد استطاع معاوية أن يستميله إلى جانبه ، والتحق زياد بمعاوية فى دمشق فأغدق عليه الأموال ما ثبت فؤاده وأعطاه قصرا بالكوفة ومنحه أراضى فى البصرة واستلحقه معاوية فاعترف بإخوته كما اعترف أبوه من قبل ببنوته ن ونودى عليه بزياد بن أبى سفيان . ولما ولاه معاوية على البصرة سنة ٤٥هـ خطب فيها خطبته البتراء والتى ترجمت بعد ذلك شدته على العراقيين ، وكان زياد يأمر صاحب شرطته بقتل كل من يتواجد خارج بيته بعد صلاة العشاء ، ولما توفى المغيرة ولاه معاوية الكوفة والبصرة .

كان زياد يقيم فى البصرة ستة شهور وفى الكوفة سته شهور وقد بالغ فى قسوته معاملة الشيعة ، واشتد فى حروبه وصراعة مع الخوارج خاصة حينما بدأ الخوارج يغيرون على الممتلكات ويقومون بأعمال النهب والسرقة .

أما الحجاز فقد نقل على بن أبى طالب عاصمة الدولة الإسلامية إلى الكوفة ، ولم يبق فى المدينة إلا بعض صحابة رسول الله ﷺ ومن ثم بدأت الحجاز تنضوى تحت حكم معاوية بن أبى سفيان ، خاصة بعد نجاحه فى القضاء على خلافة على بن أبى طالب ثم تنازل الحسن له عن الخلافة .

وبتنازل الحسن عن الخلافة أخذ معاوية يعد العدة لحصر الخلافة فى البيت الأموى وجعلها وراثية كما شاهده عند القياصرة والرومان ، وقد قام المغيرة بن شعبة بدور بارز فى هذا الصدد ، فقد إقترح المغيرة على معاوية أن يتخذ ابنه يزيد وليا للعهد فقال لمعاوية : " يا أمير المؤمنين ، قد رأيت ما كان من سفك الدماء والإختلاف بعد عثمان ، وفى يزيد منك خلف ، فاعقد له ، فان حدث بك حادث كان كهفا للناس وخلفا منك، ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة . قال : ومن لى بهذا ؟ قال أنا أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد بن أبيه أهل البصرة ، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك " .

إستعمل معاوية كل الحيل لأخذ البيعة لإبنه يزيد ، فقد أرسله لغزو بلاد الروم سنة ٤٦هـ فغزا القسطنطينية ، ليظهره أمام المسلمين بمظهر المجاهد ، ويمحى من ذاكرة المسلمين ما عرف به يزيد من خلاعة وشرب الخمر .

ولما توفى الحسن بن على بن أبى طالب سنة ٤٩هـ أرسل معاوية الوفود إلى الأمصار لمبايعة يزيد، فأقبلت وفود العراق والشام تبايعه ، وأرسل إلى مروان بن الحكم واليه على الحجاز يأمره بأن يعد الناس لقبول تعيين يزيد وليا للعهد ، وعندما عرض مروان هذا الأمر عليهم ، أعلن أبناء صحابة رسول الله ﷺ إستنكارهم لهذا الأمر ، فقدم معاوية بنفسه إلى المدينة سنة ٥٠هـ ، فلم يوافق على ولاية العهد ليزيد كثير من أبناء الصحابة ومن هؤلاء عبد الرحمن بن أبى بكر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد

الله بن عمر الذى قال لمعاوية : " فإن هذه الخلافة ليست هرقلية ولا قيصرية ولا كسروية يتوارثها الأبناء عن الآباء ، ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبى ، فو الله ما أدخلنى مع الستة من أصحاب الشورى إلا على أن الخلافة ليست شرطا مشروطا وإنما هى فى قريش خاصة لمن كان لها أهلا ممن إرتضاه المسلمون لأنفسهم من كان أتقى وأرضى " .

عاد معاوية إلى بلاد الشام ، وأخذ يعطى المقارب ، ويداوى المباعد ويلطف به ، حتى إستوثق له أكثر الناس ، وبايعوا إبنه يزيد . فلما تمت بيعة أهل الشام والعراق ، وإستخدم سعيد بن العاص عامله على المدينة لإرغام الناس على مبايعة يزيد ، وعلى الرغم من إستعمال سعيد الشدة لحمل أهل المدينة على المبايعة ليزيد إلا أنه لم يتمكن من ذلك ، فاضطر معاوية إلى القدوم إلى المدينة سنة ٥١ هـ لإرغام أهلها على قبول البيعة ليزيد ، فقدم فى ألف فارس ، وأدى فريضة الحج ثم توجه إلى المدينة ودعا الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وعبد الله بن الزبير ، وهم المعارضين الأربعة فحضروا ، وتكلم معهم فى بيعة يزيد فلما أبوا ، قال معاوية : " فإنى أحببت أن أتقدم إليكم ، إنه قد أعذر من أنذر ، إنى كنت أخطب فيكم فيقوم القائم منكم فيكذبنى على رؤوس الناس، فأحمل ذلك واصفح ، وإنى قائم بمقاله ، فأقسم بالله لئن رد على أحدكم كلمة فى مقامى هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها ~ - السيف إلى رأسه ، فلا يبقين رجل إلا على نفسه "

وهكذا بايع المسلمون ليزيد بن معاوية وقد نسى مبدأ الشورى فى إختيار الخلفاء ، وبذلك سن فى الإسلام سنة الملك المنحصر فى أسرة معينة بعد أن كان أساسه الشورى ويختار من عامة قريش ، ويبـــدو أن هــذا العمل قد ساهم فى لم شعث المسلمين ، لو لم يكن يزيد من المتهافتين علــى اللهو وشرب الخمر ، وكذلك عمد معاوية بالتشهير بعلى بن أبى طلـــب على المنابر مما جعل شيعته يتذمرون ، كما انه إستهان بأبنـــاء الصحابــة الذين عارضوا مبايعة يزيد لولاية العهد بل ادعى انهم بايعوا لينال بيعتـــه أهل مكة .

إتخذ معاوية مدينة دمشق مركزا للخلافة الأموية ، وجعل لنفســه سريرا على نحو ما كان لآباطرة الروم ، وكان أول من اصطنـــع المـــوالى والنصارى فى المناصب فكان كاتبه سرجون بن منصور الرومى ، وعلـــى حرسه المولى يقال له المختار ، وكان طبيبه نصرانيا يقال له ابـــن أ اج حمص وإقتدى عماله على الولايات الإســـلامية

الاسلام ، وأول من اتخذ الخصيان

ه عبيــــد الله بـــن أوس

عمل ثواب ، وأول

ة ، وكـــانت

كـــانت

يستصفيها لنفسه بعد إستقطاع العطايا ، ومن هذه الأموال كانت صلاته وجوائزه ، وفى عصر معاوية إستحدثت المأذنة وأصبحت عنصرا معماريا من عناصر الجامع .

تشير النصوص إلى أن عهد معاوية بن أبى سفيان قد تميز باتساع حدود الدولة العربية الإسلامية، فاستولى المسلمون فى أواسط آسيا على هراة وكابل ، وغزا عبد الله بن سوار بلاد السند مما يلى خراسان سنة ٤٣هـ ، فغزا القيقان ، وغزا المهلب بن أبى صفرة ثغر السند سنة ٤٤هـ وهاجم الإقليم الممتد ما بين الملتان وكابل ، وغزا عبيد الله بن زياد تركستان ، كما غزا المسلمون بخارى وسمرقند . وفى الغرب تمكن المسلمون من فتح برقة وزويلة وافريقية ، كما أسس عقبة ابن نافع مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ .

كما يرجع إلى معاوية الفضل الأكبر فى بناء البحرية العربية الإسلامية ، وبفضل إنشاء معاوية الأسطول الإسلامى الذى بلغ ألفا وسبعمائة سفينة كاملة العدة والعدد استطاع المسلمون فتح جزيرة قبرص إفتتحها عبد الله بن قيس الحارثى ، وبعض جزر اليونان وجزيرة رودس ، افتتحها جنادة بن أبى أمية الأزدى ، ومما لا شك فيه أن وجود المسلمين فى هذه الجزر قد ساهم فى نشر الإسلام هناك ، وإتخاذ هذه الجزر قواعد للدفاع عن شواطىء الشام ومصر .

أما غزواته فى الأراضى البيزنطية فقد رتـــب معاويـــة الشـــواتى والصوائف ، ففى سنة ٤٣هـــ وجه معاوية قواده للإغارة على حصـــون البيزنطيين فيما بين أنطاكية وطرسوس .

وفى سنة ٤٩هـــ جهز معاوية جيشا عظيما لفتح القسطنطينية برا وبحرا بقيادة سفيان بن عوف ، وأمر ابنه يزيد أن يغزو معهم ، فتثـــاقل ، وإشترك فى هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبـــير وأبـــو أيـــوب الأنصارى وعبد العزيز بن زرارة الكلابى فأوغل المسلمون حـــتى بلغـــوا القسطنطينية فاقتتل المسلمون والروم و لم يتمكن هذا الجيش مـــن فتـــح القسطنطينية لمتانة أسوارها ومنعة موقعها واستخدام الروم النار الإغريقيـــة فى حرق سفن الأسطول الإسلامى ، وتوفى أبو أيوب الأنصارى خالد بـــن زيد وهو الذى نزل عليه رسول الله ﷺ حينما هاجر إلى المدينة قرب سور القسطنطينية و لا يزال قبره بها يزار إلى الآن ، ثم اضطر المسلمون للعـــودة إلى الشام بعد أن فقدوا كثيرا من جنودهم وسفنهم . وتوفى معاوية ســـنة ٦٠هـــ بعد أن حكم الدولة العربية الإسلامية قرابـــة عشـــرين عامـــا ، شهدت كثير من الإنتصارات الحربية فى المشرق والمغرب .

خـــلافة يزيد بن معاوية " ٦٠- ٦٤ هـــ "

هو يزيد بن معاوية ، أبو خالد ، الأموى ، ولد ســـنة خمـــس أو ست وعشرين هجرية ، كان ضخما كثير الشعر ، وأمه ميســـون بنـــت بحدل ، روى عن أبيه ، وعنه ابنه خالد ، وعبد الملك بن مروان .

قال الحسن البصرى : أَفْسَدَ أمر الناس اثنان : عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحُملت ، ونال من القراء ، فحكم الخوارج ، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة .

والمغيرة بن شعبة : فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية : إذا قرأت كتابى فأقبل معزولاً ، فأبطأ عنه فلما ورد عليه قال : ما أبطأ بك ؟ قال: أمر كنت أُوَطِّئُه وأُهَيِّئُهُ ، قال : وما هو ؟ قال : البيعة ليزيد من بعدك ! قال : أو قد فعلت ؟ قال : نعم ، قال معاوية : ارجع إلى عملك ، فلما خرج المغيرة قال له أصحابه : ما ورائك ؟ قال : وَضَعْتُ رِجْلَ معاوية فى غَرْزِ غَيٍّ لا يزال فيه إلى يوم القيامة .

فلما توفى معاوية اعتلى يزيد الخلافة ، وكتب إلى الوليد بن عتبة ابن أبى سفيان والى المدينة بأخذ البيعة من الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير بن العوام .

أما عبد الله بن الزبير ، والحسين بن على ، فقد تركا المدينة وتوجها إلى مكة دون مبايعة يزيد ابن معاوية . أما عبد الله بن عمر فإنه قال إذا بايع الناس بايعت ، ولما بايع الناس بايع هو وعبد الله ابن عباس .

على أن عبد الله بن الزبير لم يدع إلى نفسه بالخلافة لأن أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين فى البلد ، وأما الحسين بن على فكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية ابن أبى

سفيان ، وهو يأبى ، فلما بويع يزيد أقام على ما هـو مـهموما يجمـع الإقامة مرة ويريد المسير إليهم أخرى ، فأشار عليه ابن الزبير بالخروج إلى العراق ، وكان عبد الله بن عباس يقول له : لا تفعل ، وقال له عبد الله ابن عمر : لا تخرج ، فإن رسول الله ﷺ خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، وإنك بضعة منه ، ولا تنالها - يعني الدنيا - واعتنقه وبكى وودعه ، فكان ابن عمر يقول : غلبنا حسين بالخروج ، ولعمرى لقد رأى فى أبيه وأخيه عبرة .

ولقد كلمه فى ذلك أيضا جابر بن عبد الله ، وأبو واقد الليثى وغيرهما فلم يطع أحد منهم ، وصمم على الخروج إلى العراق ، فقال ابن عباس : " والله إنى لأظنك ستقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان ، فلم يقبل منه ، فبكى ابن عباس ، وقال : أقررت عين ابن الزبير " ، ولما رأى ابن عباس عبد الله بن الزبير قال له : أتى ما أحببت ، هذا الحسين يخرج ويتركك والحجاز .

وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم ، ويقال أنهم كتبوا إليه نحوا من ١٥٠ صحيفة ، ولما اجتمعت الكتب عنده كتب إليهم " أما بعد فقد فهمت كل الذى إقتصصتم وقد بعثت إليكم بأخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إلى انه قد اجتمع رأى ملئكم وذوى الحجج منكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم إليكم وشيكا إن شاء الله فلعمرى ما الإمام إلا العامل بكتاب الله والقائم والدائن بدين الحق والسلام " .

كارثة كربلاء ومقتل الحسين بن على :

على الرغم من رفض الحسين مبايعة يزيد بن معاوية إلا أن غالبية المؤرخين يكادون يجمعون على أن الحسين قد استشهد فى سبيل المطالبة بحقه فى الخلافة ، ثم تخلى أهل الكوفة الذين دعوه وشجعوه على الخروج عن سلطان الأمويين . فما هى أسباب إنتفاضة الحسين بن على ؟ ويمكن تعليل ذلك بثلاثة أسباب :

١- ترك الحسين أمر هذه البيعة لأخيه الحسن بن على ، فلما بايع الأخير معاوية لم يشأ الحسين أن يخالف رأى أخيه ، حتى أنه حين لامه على ذلك حجر بن عدى زعيم الطالبيين فى العراق وحرضه على نقضها ، قال له الحسين : إنا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا .

٢- إن سياسة معاوية بن أبى سفيان بالنسة لآل البيت ، وفى مقدمتهم الحسن والحسين ، محاولة إرضائهم وإكتساب حبهم ، وقبولهم لخلافته ، بالإضافة إلى سياسة الجهاد فى سبيل الله ونشر الإسلام فى بلاد المغرب وآسيا الصغرى ، وهو أمر لم يكن الحسين ليتخذ موقفاً فى معارضته أو رفض خلافته .

٣- كان يزيد بن معاوية يميل فى حياة أبيه إلى اللهو والمجون والعبث ، والإكثار من رحلات الصيد وعدم الخروج فى حملات الجهاد لدرجة أن اشتراكه فى إحدى صوائف الحرب ضد البيزنطيين وحصارهم للقسطنطينية لن يتم إلا بضغط من أبيه معاوية . ولذلك لما توفى معاوية شعر الحسين أن من واجبه أن يطالب بحقه فى الخلافة .

إغتر الحسين بدعوة الشيعة ، فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة وكان واليها وقتئذ النعمان بن بشير ، وكان مسالماً ، وعندما إلتف الشيعة حول مسلم بن عقيل لم يعمد إلى تتبعه أو تتبع الشيعة ، ولكن أحد رجال الدولة الأموية أطلع يزيد بن معاوية بهذا الأمر وأشار عليه بأن يرسل إلى الكوفة والياً قوياً بدلاً من النعمان .

و لم يكد هذا الأمر يصل إلى مسامع يزيد بن معاوية حتى عزل النعمان وولى مكانه عُبَيْد الله بن زياد على البصرة والكوفة ، وأمره بطلب مسلم بن عقيل وقتله أو نفيه .

ولما كان عبيد الله قد ولى بهدف القضاء على الشيعة فقد بدأ حكمه بتتبعهم حيث قبض على كبار الشيعة وخاصة مسلم بن عقيل الذى أوصى رجلاً بأن يخبر الحسين بما حدث له ويطالبه بعدم الخروج إلى الكوفة ففعل ذلك ، ولما جيء بمسلم إلى عبيد الله بن زياد قتله وقتل بعده هانىء بن عروة الذى أجار مسلم فى بيته .

خرج الحسين بن على من مكة إلى العراق ومعه طائفة من آل بيته رجالا ونساء وصبيانا ، وقد قابله فى الطريق الفرزدق الشاعرفسأله عن خبر الناس فقال له : " قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء يتزل من السماء والله يفعل ما يشاء " .

وعندما علم يزيد بخروج الحسين من الحجاز ، كتب إلى واليه بالعراق عبيد الله بن زياد بقتاله ، ثم جاء الحسين كتاب من عبد الله بن جعفر يقسم عليه بالله إلا ما انصرف ومع كتابه كتاب من عمرو بن سعيد أمير المدينة فيه الأمان له ويسأله الرجوع فرفض الحسين ، فقابله عبد الله بن مطيع ولما علم بوجهه قال له أذكرك الله يا ابن بنت رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك أنشدك الله فى حرمة العرب ، فوالله لئن طلبت ما فى أيدى بنى أمية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً . والله إنها لحرمة الإسلام وحرمة قريش وحرمة العرب فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبنى أمية ولكن الحسين صمم على المسير إلى العراق .

ولما كان الحسين بالثَعْلبيَّة - من منازل طريق مكة من الكوفة ، وهى ثُلثا الطريق - جاءه خبر مقتل مسلم و نصحه بعض أصحابه بالرجوع ، لكن أخوة مسلم صمموا على أن يأخذوا بثأر أخيهم أو يقتلوا دونه .

وجه عبيد الله بن زياد إلى الحسين قوة من ألف فارس بقيادة الحر ابن يزيد التميمى لمنع الحسين من دخول الكوفة ، فلما تقابل مع الحسين منعه من دخول الكوفة فى غير عنف فإختار طريقه إلى كربلاء وهو فى نحو خمسمائة فارس من أهل بيته و أصحابه ونحو مائة من الرجال ، فلما وصل إلى هناك فى غرة المحرم سنة ٦١ هـ أمر بأثقاله فحُطت . ثم أرسل عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بن أبى وقاص فى أربعة آلاف فارس

لتأديب الحسين ومن معه وأمره أن يأتى له بالحسين ، ثم نشب القتال بين الفريقين فى عاشر المحرم وتكاثر جند الكوفة على الحسين وأصحابه ، وإنتهى الأمر بقتل جميع من كانوا مع الحسين حتى لم يبق سواه ، فحمل عليه مالك بن بشر الكندى فضربه بالسيف على رأسه وعليه برنس خز فقطعه وجرح رأسه ، ثم إشتد عليه الطعان وظل يقاتل حتى قتل ، وإحتز القتلة رأسه وحملوها إلى إبن زياد بالكوفة ، فأرسلها إلى يزيد بن معاوية بدمشق ومعها بنات الحسين وإخوته ومعهم على بن الحسين وكان صغيرا مريضا ، وعدة من قتل من أصحاب الحسين إثنان وسبعون رجلا احتزت رؤوسهم وحملت على أطراف الرماح ، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا . ولما قتل الحسين وحملت رأسه إلى يزيد ، يقال أنه قد سر بقتله أولا ثم ندم ودمعت عيناه .

ثم كانت حركة التوابين برئاسة سليمان بن صرد الخزاعى تعبيرا عن ندم الشيعة على خذلانهم الحسين وسخطهم على يزيد بن معاوية ، ذلك أنه لما قتل الحسين ورجع بن زياد إلى الكوفة أحس الشيعة بالندم لخذلانهم الحسين ورأوا أنه لابد من قتل قتلة الحسين ، فإجتمعوا بالكوفة فى منزل سليمان بن صرد و إتفقوا على الدعوة إلى جهاد الفاسقين قتلة الحسين والتوبة من الذنب الكبير فى التخلف عن نصرته ، وتولية سليمان ابن صرد رئيسا لهم بإعتباره شيخ الشيعة وصاحب رسول الله ﷺ .

وفى الخامس من ربيع الآخر سنة ٦٥ هـ خرج التوابون إلى قبر الحسين فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه وقضوا عنده يوما وليلة

يبكون ويتضرعون ثم توجهوا للقاء عبيد الله بن زياد ، فإشتبكوا معهم فى معركة عنيفة إنتهت بهزيمة التوابين ومصرع سليمان بن صرد وأصحابه فى معركة عين الوردة .

عبد الله بن الزبير وموقعة الحرة :

لما قتل الحسين بن على فى كربلاء قام عبد الله بن الزبير فى مكة ، وبدأ يدعوا لنفسه بالخلافة ويعرض الناس بيزيد ويعدد مساوئه ، ولما بلغ يزيد ذلك صمم على الإنتقام منه كما انتقم من الحسين، ولكنه أرسل إلى ابن الزبير رسولا يعرض عليه الصلح فرفض عبد الله . أما أهل المدينة فقد وثبوا بعثمان بن محمد بن أبى سفيان عامل يزيد عليهم ، ومروان بن الحكم وسائر بنى أمية وأخرجوهم من المدينة ، وأقاموا عليهم عبد الله بن حنظلة فى سنة ٦٣ هـ .

ولم يجد يزيد بداً من أن يرسل جيشاً من أهل الشام يتألف من ١٢ ألفاً وقيل خمسة آلاف لتأديب أهل المدينة والقضاء على ابن الزبير ، فأمر الجيش بالسير إلى المدينة بقيادة مسلم بن عقبة المرى ، ولما بلغ ذلك أهل المدينة تأهبوا لمحاربة جيش يزيد ، فلما وصل جيش الشام إلى **وادى الحرة** الواقع شمال المدينة فى ٢٧ذى الحجة سنة ٦٣هـ ، حتى خرج أهل المدينة يرمون جند الشام بالحجارة والنبال من فوق البيوت ، ولما إستعصى على مسلم بن عقبة إقتحام المدينة لجأ إلى مروان ابن الحكم إلى الحيلة فدخل المدينة ومعه مائة فارس فاتبعه الفرسان فدخلوا المدينة واشتبكوا مع أهلها فى معركة هائلة فانهزم هؤلاء وقتل عدد كبير منهم وقتل فى **معركة**

الحرة ألف وسبعمائة من قريش والأنصار ومن أصحاب رسول الله ﷺ ثمانون رجلا ، واستباح جند الشام المدينة ثلاثة أيام وأسرفوا فى السلب والنهب .

وبعد واقعة الحرة بايع الناجين من أهل المدينة على أنهم عبيد وفىء ليزيد بن معاوية ، ومن أبى ضرب عنقه ، ثم أمر يزيد قائده مسلم بن عقبة بالتوجه إلى مكة لإخضاع عبد الله بن الزبير ، إلا أن مسلما توفى فى الطريق فتولى جيش الشام من بعده الحصين بن نمير السكونى ، فقدم مكة فى ٢٦ من المحرم سنة ٦٤هـ وحاصر الحصين مكة ، وهذه أول مرة تحاصر مكة منذ أن فتحها رسول الله ﷺ وظل جند الشام يقاتلون ابن الزبير شهر محرم وشهر صفر وفى الثالث من ربيع الأول ، وتحصن ابن الزبير وأصحابه فى الكعبة ، فرماها الحصين بن نمير بالحجارة والنار فأحرقت الكعبة وتصدع منها ثلاثة مواضع وإحترق ما كان فيها وما عليها من كسوة وذلك فى الثالث من ربيع الأول سنة ٦٤هـ.

الفتوح فى عهد يزيد بن معاوية :

إستعمل يزيد عقبة بن نافع على إفريقية فسار إليها ، ولما وصل إلى القيروان قبض على أبى المهاجر دينار وأوثقه فى الحديد ، ثم ترك القيروان فدخل مدينة بالغاية ، وقد إجتمع بها كثير من جند الروم فقاتلوه قتالا شديدا ، وإنهزموا عنه وتحصنوا فى المدينة ، فحاصرهم عقبة ثم كره المقام عليهم ، فسار إلى بلاد الزاب وهى بلاد واسعة بها عدة قرى ومدن كثيرة . فقصد مدينة أربة وهى من أهم مدن الزاب ، فإمتنع من بها من

الروم فقاتلهم الجنود المسلمون حتى هزموهم ، ثم رحل عقبة إلى مدينة تاهرت . فلما بلغ الروم ذلك إستعانوا بالبربر ، فإجتمعوا فى جمع كثير وإشتد الأمر على المسلمين لكثرة العدو ، غير أن عقبة هزمهم وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ، ثم سار عقبة حتى نزل على مدينة طنجة ، وكان حاكمها يدعى يليان ، فأهدى له هدية حسنة ثم سار عقبة نحو السوس الأدنى وهو مغرب طنجة ، فلقيته البربر فى جموع كثيرة ، فقاتلهم وهزمهم ثم سار نحو السوس الأقصى فلقيته البربر فى جمع عظيم فهزمهم عقبة وسار حتى بلغ المحيط الأطلنطى ، فقال : يا رب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهداً فى سبيلك .

ثم عاد عقبة ، ولما وصل إلى مدينة طبنة ، وبينها وبين القيروان ثمانية أيام ، أمر أصحابه أن يتقدموا فوجاً فوجاً ثقة منه بما حققه من إنتصارات وسار إلى تهوذا فى نفر يسير ، فلما رآه الروم فى قلة أغلقوا باب الحصن وقاتلوه حين دعاهم إلى الإسلام ولم يقبلوا منه . وكان فى الجيش كسيلة زعيم قبيلة أوروبا وكان قد أسلم فى أيام أبى المهاجر دينار، فلما وُلى عقبة ولاية أفريقية وأساء إلى أبى المهاجر إستخف بكسيلة وإحتقره ، فقال له أبو المهاجر : أوثق الرجل ، أخاف عليك منه ، فتهاون به عقبة . فلما رأى الروم قلة من مع عقبة راسلوا كسيلة فى أن ينضم إليهم فقبل وجمع أهله وبنى عمه ، وقصدوا عقبة ، وإنضمت إليه جموع البربر . وعندما وصل الجيش الإسلامى إلى تاهودة جنوبى بسكرة التى تقع جنوب مدينة الجزائر ، خرج عليه كسيلة ودارت رحى معركة حامية ، وأدرك عقبة ألا قبل له بهذا الجيش الكبير من البربر والروم بقيادة

كسيلة ، وكان فى وسعه أن يفر من لقائهم لكنه صمم على القتال وتبعه فى ذلك أصحابه ، فأمر عقبة رجاله بأن يترجلوا عن خيولهم ، وخاضت قواته معركة الموت ببسالة وإستشهد عقبة وأبى المهاجر دينار وجميع من معهما فى ميدان المعركة .

وكان فى القيروان زهير بن قيس فأراد القتال فلم يطعه الجيش ، فاضطر إلى الإنسحاب والمسير إلى برقة والمقام فيها ، أما كسيلة فانه جاء القيروان وإمتلكها وإستولى بذلك على إفريقية .

وتشير النصوص التاريخية إلى أن يزيد بن معاوية قد توفى يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة من شهر ربيع سنة ٦٤هـ بينما كان الحصين يحاصر مكة ، فأراد الأخير أن يفاوض ابن الزبير على البيعة حيث أنه لا جدوى للقتال بعد وفاة يزيد ، فأبى ابن الزبير ، بينما عاد الحصين هو وأصحابه ورفعوا الحصار عن مكة .

خلافة معاوية بن يزيد " ٦٤- ٦٤ هـ " :

معاوية بن يزيد بن معاوية ، أبو عبد الرحمن ويقال له : أبو يزيد ، استخلف بعهد من أبيه فى ربيع الأول سنة أربع وستين ، وكانت سنه إذ ذاك ثمانية عشر عاما ، ولما استخلف كان مريضا ، إلا أنه بعد قليل من خلافته فكر معاوية فى ترشيح رجل للخلافة كما فعل أبو بكر مع عمر ولكنه لم يجد الرجل الذى يصلح لها . فأراد أن يقتدى بعمر بن الخطاب فى إختيار ستة ينتخب الخليفة من بينهم فلم يتمكن ، فترك الأمر شورى

للناس يولون أمرهم من يشاءون ، ثم توفى بعد أيام من تنازله عن الخلافة ، وكانت مدة خلافته أربعين يوماً ، وقيل : شهرين ، وقيل : ثلاثة أشـهر ، ومات وله إحدى وعشرون سنة ، وقيل : عشرون سنة ، ولما احتضر قيل له : ألا تستخلف ؟ قال : ما أصبت من حلاوتها فلما أتحمل مرارتها .

خـلافة مـروان بن الحكم " ٦٤ – ٦٥ هـ " :

هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ، وأمه آمنـة بنـت علقمة بن صفوان الكنانى ، ولد فى السنة الثانية من الهجرة وأسلم أبـوه الحكم يوم الفتح . تولى تدبير أمور الخليفة عثمان بن عفان ، وقد بـايع عليا بعد مقتل عثمان ، وبعد موقعة الجمل إعتزل السياسة وأقام بالمدينـة وظل على ذلك حتى آلت الخلافة إلى معاوية فولاه المدينة ، ولمـا مـات معاوية الثانى إتفق أنصار الأمويين وعلى رأسهم مروان بن الحكم ، وهـو من فرع العاص بن أمية بن عبد شمس ، على عقد إجتمـاع فى الجابيـة حضره الأميون من السفيانيين من فرع حرب بن أمية بن عبـد شمـس والمروانيون وزعماء بنى كلب وهم أنصار الأمويين وإتفقوا على ما يلى :

١ – أن تكون الخلافة بعد معاوية الثانى لمروان بن الحكم .

٢ – أن يخلفه بعد وفاته خالد بن يزيد بن معاوية .

٣ – أن يخلف خالد عمرو بن سعد بن العاص .

٤ – أن تكون إمارة دمشق لعمرو بن سعيد بن العاص .

٥ – أن تكون إمارة حمص لخالد بن يزيد .

معـــركـــة مـــرج راهـــط : تطورت الأمور بعد ذلك ، فقد تزعـم الضحاك بن قيس الفهرى عرب الشمال من القيسيين الذين بايعوا عبد الله ابن الزبير سراً نتيجة لأن معاوية بن أبى سفيان كان قد قدم بـــنى كلـــب وهم من عرب الجنوب عليهم ، فإتجهت أنظار القيسيين إلى بيعة عبـــد الله ابن الزبير ، ومن ثم فقد سار مروان بن الحكم إلى الضحاك بـــن قيـــس الفهرى وهزمه فى موقعة مرج راهط فى المحرم سنة ٦٥ هــــ ، وقُتـــل الضحاك وقُتل معه كثير من القيسيين ، وقد دامت هذه الموقعة عشــــرين يوما.

ومن أبرز نتائج هذه المعركة أنها أذكت نار العصبية القبلية بـــين القيسية واليمنية ليس فى الشام فحسب ، ولكـــن فى ســائر الأمصـــار الإسلامية خاصة فى أفريقيا والأندلس وخراسان ، حيث كان النـــداء فى كل صراع بين الجانبين يحمل شعار (يا لثارات مرج راهـــط) ، كمـــا أسفرت معركة مرج راهط عن إنتقال الملك من الفرع السفيانى إلى الفرع المروانى وفتحت باب الصراع بين القبائل فى ظل الخلافة الأموية .

وتعتبر فترة حكم مروان بن الحكم رغم قصرها من أخطر الفترات التى مرت بها الدولة الأموية ، فإن هذه الفترة تعتبر بداية للصراع داخـــل البيت الأموى وخلاف بين الكلبيين والقيسيين ، وقد وجه مروان إهتمامه بالأمصار الإسلامية ، ففى مصر كان عبد الله بن الزبير قد عين عليها أميرا يدعى عبد الرحمن بن جحدم وقد إستطاع مروان أن يهزم ابن جحـــدم

وأولاده فى موقعة الخندق قرب الفسطاط فى أول جمـــادى الأول ســـنة ٦٥هـــ ، وولى مروان إبنه عبد العزيز على مصر وعاد هو إلى الشام .

ولقد أرسل مروان بن الحكم بعد أن إستتب له أمر الخلافة حملـــة للإستيلاء على المدينة بقيادة حبيش بن ولجة ، وكان عبد الله بن الزبير قـد ولى عليها أخاه عبيدة بن الزبير ، كما أرسل جيشاً آخر إلى العراق يقـوده عبيد الله بن زياد ولكن هذين القائدين لم يتمكنا من إنجاز ما عُـــهد بـــه إليهما لأن مروان بن الحكم توفى سنة ٦٥ هـــ .

خـلافة عبـــد المـلـــك بـــن مــــروان" ٦٥ - ٨٦هــ" :

عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ولد سنة ٢٦ هـــ ، بويع بعـــهد من أبيه وكانت الحال فى البلاد الإسلامية على غاية الإضطراب فـــافتتح عهده بمواجهة العديد من المشاكل ، ففى سنة ٦٦ هـــ ظهر نجم المختـــار ابن أبى عبيد الثقفى وهو أحد قواد الجيوش الإسلامية فى العراق وإستطاع إستمالة الشيعة وبعض الموالى فى الكوفة وإستولى عليها وكـــون جيشـــاً لمحاربة عبيد الله للإنتقام منه لأنه هو الذى سجنه حين كان يدعو للحسين فى الكوفة وضربه ضربة أفقدته إحدى عينيه ، وإستطاع جيش المختـــــار الذى كان يقوده إبراهيم بن الأشتر هزيمة عبيد الله بن زياد فى معركة عند نهر الخازر أحد فروع نهر دجلة ، وقُتل ابن زياد وعدد كبير من أشـــراف أهل الشام ، ويقال أن جيش حبيش بن دلجة الذى كان قد وجهه عبـــد الملك إلى المدينة لمحاربة ابن الزبير قد هُزم أيضاً وأن خيل الأعراب أغـارت

على حمص وبعلبك والبقاع ، ثم جاءه في يوم هزيمة ابن زياد أيضا مسير مصعب بن الزبير إلى فلسطين ونزول ملك الروم لاونديوس " ٦٩٥ - ٦٩٨ م " المصيصة يريد الشام ، ثم جاءه خبر دمشق وأن عبيدها وأوباشها قد خرجوا على أهلها ، كما جاءه خبر دخول ناتل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير فسار إليه عبد الملك فإنهزم جيش ابن الزبير وقتل ناتل ، أما مصعب فقد ولى راجعا إلى المدينة .

عاد عبد الملك إلى دمشق . وفي هذه الأثناء ولى عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً على البصرة وإنضم إليه بعض أشراف الكوفة فراراً من المختار ، وأمر عبد الله أخاه بمحاربة المختار فوقعت بينهما معركة المذار بالقرب من الكوفة سنة ٦٦هـ انتهت بهزيمة جيش المختار وقتل عدد كبير من جنده ، ثم فر المختار إلى الكوفة فحاصره مصعب أربعين يوماً ، فخرج المختار مع عدد من أصحابه وقاتل قتالاً عنيفاً حتى قتل هو وسبعة آلاف من أتباعه ، وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم **المختارية** وأرسل مصعب رأس المختار إلى عبد الله بن الزبير .

ويبدو أن عبد الملك بن مروان كان يترقب نتيجة الصراع بين عبد الله بن الزبير والمختار ، وكان في تلك المدة قد هادن البيزنطيين فاضطر إلى دفع اتاوة سنوية قدرت بنحو خمسين ألف دينار إلى امبراطورهم جستنيان الثاني حتى يأمن جانبه ، ثم قتل عمرو بن سعيد وهو الذى وعد في مؤتمر الجابية بأن يتولى الخلافة بعد مروان وخالد بن سعيد .

وفى سنة ٧٠ هـــ رأى عبد الملك أن يبدأ مراحل القضـــاء علـــى ثورة ابن الزبير بإنهاء الحكم الزبيرى فى العراق لأن العراق كانت تمثل مـــن وجهة نظر الخلفاء الأمويين الخطر المباشر على الدولة الأموية بسبب تكتل العناصر المعادية للدولة الأموية ، بالإضافة إلى ما عرف عن أهل العـــراق من عدم الإخلاص فى الولاء لأى من هذه الحركات المعادية لدرجـــة أن ابن قتيبة يذكر أن الخليفة عبد الملك راسل قوات مصعب بن الزبير وأعيان الكوفة ، ومناهم بمختلف الأمانى حتى أفسدهم عليـــه إلا إبراهيـــم بـــن الأشطر ، فكلهم أخفى الأمر عن مصعب ما عداه ، فانه لما جاء خطـــاب الخليفة سلمه لمصعب وطلب منه أن يقتل المنافقين من حولـــه حـــتى لا يفسدوا عليه الجيش ، ولكن مصعب تردد حتى فى أمر حبسهم .

كان لهذا الوضع آثاره السلبية على حركة عبد الله بن الزبير ســـواء فى العراق أو فى مكة . فعندما خرج عبد الملك على رأس جيوشه لمحاربـــة مصعب بن الزبير ونشب القتال بين الفريقين بالقرب من دير الجـــاثليق فى ١٥جمادى الأولى سنة ٧٢ هـــ وانتهت المعركة بهزيمة مصعب ومن كانوا معه ، ودخل عبد الملك الكوفة فبايعه أهلها .وبذلك لم يبق بيد عبـــد الله بن الزبير إلا بلاد الحجاز التى بدأت أنظار الخليفة الأموى تتجـــه إليـــها ووكل ذلك إلى قائده الحجاج بن يوسف الثقفى للقضاء نهائيا على عبدالله ابن الزبير .

كان عبد الله بن الزبير لا يزال فى الحجاز خارجا عن سلطان عبد الحكم بن مروان فوجه الأخير وهو بالكوفة جندا إلى مكة بقيادة الحجاج ابن يوسف الثقفى للقضاء على عبد الله بن الزبير فسار الحجاج حتى نزل بالطائف ثم زحف إلى مكة فى موسم الحج فحاصرها ، ونصب المجانيق على جبل أبى قبيس ، فتحصن عبد الله بالكعبة وأخذت أحجار المجانيق تتساقط على الكعبة ، ولما جاء موسم الحج توقف الحجاج عن القصف إلى حين انقضاء الموسم ، وفى نفس الوقت أصاب مكة قحط شديد وقلت المؤنة عند ابن الزبير ، ولم يزل الأمر على ذلك حتى إشتد الحال على أهل مكة فتفرقوا عن ابن الزبير وخرجوا بالأمان إلى الحجاج بن يوسف ، فاضطر عبد الله إلى الخروج للقتال مع بعض أصحابه فقاتل قتالا شديدا حتى قتل فى ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ٧٣ هـ وبعد قتله صلبت جثته بمكة ثم أنزلت بأمر من عبد الملك بن مروان .

وهكذا كان التخلص من معارضة الزبيريين نهاية لمشكلة كبيرة واجهت الدولة الأموية . ويعلل المؤرخون سر إنهيار الزبيريين ضد الأمويين بعدة عوامل نذكر منها ما يلى :

١- سوء تدبير عبد الله بن الزبير وعدم خبرته السياسية الذى جعله يتخذ مواقف من القوى المتصارعة فى العراق وخاصة الكيسانية الذين كانوا يشكلون خطرا كبيرا على الدولة الأموية . فقد نجح مصعب بن الزبير فى تخليص الأمويين من أخطر أعدائهم فى العراق بعد قتل مصعب للمختار ابن أبى عبيد عند حروراء والقضاء على الحركة الكيسانية التى كان يمكن أن تتضافر مع الزبيريين للقضاء

على الأمويين ، وقد فعل نفس الشىء مع الخوارج الذين من أهم القوى المعارضة للأمويين .

٢- لم تكن كلاً من الحجاز والعراق التى إتخذ منها ابن الزبير قاعدة لمعارضته جديرة بهذا المقف السياسى ، فالحجازيين قد بدأوا يستكينون للحياة السهلة البعيدة عن المشاكل وخاصة أن عمال الأمويين كانوا يتعقبون الزبيريين بالقتل والتشريد ، أما العراق فقد كانت مشتتة الآراء والإتجاهات التى كانت متغيرة على حسب مصالحها .

٣- كان ابن الزبير مفتقداً لسياسة الحركة والديناميكية مثل عبد الملك بن مروان حين كان يقود الجيوش بنفسه إلى العراق بعكس ابن الزبير الذى بقى فى الحجاز ، ولو كان تحرك إلى العراق أو إلى الشام كما طلب منه الحصين بن نمير غداة وفاة يزيد بن معاوية لإجتمع حوله القيسيون فى الشام ولنادوا به الخليفة على المسلمين.

٤- إشتهار معاوية بن أبى سفيان ومن بعده عبد الملك بن مروان بالقدرة على تسخير مال الدولة لتحقيق مصالحهم السياسية حتى أنهم كانوا يشترون أعدائهم ومعارضيهم بالمال ويجتذبون خصومهم بكل الطرق كما فعل عبد الملك بن مروان فى العراق قبيل إصطدامه بمصعب بن الزبير وما فعل الحجاج فى مكة قبيل إصطدامه بعبد الله بن الزبير على عكس ابن الزبير الذى اشتهر بالبخل الشديد .

وبقتل عبد الله بن الزبير إنتهت المعارضة الشديدة لبنى أميـــة فى الحجاز وإجتمعت لعبد الملك الكلمة فى جميع الأمصار الإســلامية وقــد كافأ عبد الملك الحجاج بتوليته على مكة والمدينة واليمن واليمامة حــتى سنة ٧٥ هـــ ، وفى خلال هذه السنوات إتبع الحجاج الشدة فى معاملتــه إذاء أهل الحجاز وأهان كبار الصحابة ، ثم ولاه عبد الملك العراق .

خرج الحجاج من الحجاز سنة ٧٥ هــ متوجـــهاً إلى العــراق للقضاء على الفتن والإضطرابات ، وقصد الكوفة فى إثنى عشــر راكبــاً وصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خذ حمراء وحين إرتقى المنبر إزدرته العيون وهمّ بعضهم أن يرميه بالحصى، فما لبث أن كشف اللثام عـــن وجهــه وخطبهم خطبته المشهورة وكلها إستهتار بأهل العراق وقد بدأها بقوله :

أنا ابن جــلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

يا أهل الكوفة إنى أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها

وإنى لصاحبها وكأنى أنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم واللحى ..

ولما إنتهى الحجاج من خطبته لم يعترض عليه أحــد ممــن كــان بالمسجد وفيهم أهل الشرف والرياسة بكلمة يعترض فيها على قـــوارص كلمه وشديد زهوه بنفسه أو يظهر إستياءه لما لحق أهل بلده من مذلة وما حاق بهم من مهانة ، فقد إرتاعوا وأسلموا له فى الظاهر ، ويتضح لنا مــن خطبة الحجاج إعتزامه على نهج سياسة تتسم بالظلم ، فقد أسرف فى قتل أهل العراق فكان يأخذ بالريبة والظنة ويقتل قوما ليرهب آخرين . كمــا يتضح حال أهل العراق وسكونهم إلى هذه الذلة ، يجيئــهم الحجـــاج فى

بضعة عشر راكبا وفيهم الأشراف والرؤساء فيخطبهم ويتوعدهم بالمصائب وهم ساكتون لا يرد أحد منهم عليه قولا ، ويوبخهم على ترك السلام على أمير المؤمنين فيستكينون ويخضعون . ولما فرغ الحجاج من أهل الكوفة إنتقل إلى البصرة وخطب الناس خطبة مشابهة لخطبة الكوفة وسلك نفس سياسة الحزم الممتزجة بالظلم وسفك الدماء .

حركة الخوارج وموقف عبد الملك بن مروان منها :

كان ظهور فكر الخوارج وضعا طبيعيا لما كانت عليه الدولة الإسلامية منذ الفتنة الأولى فى عهد عثمان وما أصاب المسلمين بعد ذلك من صراعات إنعكست آثارها على التطورات السياسية والفكرية والإقتصادية فى الدولة . وقد بدأ الخوارج فكرهم أبان الصراع بين على ومعاوية حيث أعلنوا صحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان فى سنيه الأولى وعلى إلى أن حكم الحكمين .

أما من ناحية الخلافة فقد بدأوا يقولون أنها حق لكل عربى حر ، على عكس ما نادت به السنة من قصرها على المهاجرين من قريش ، غير أن كثرة إصطدامهم مع الحركة الزبيرية والدولة الأموية والفرق الشيعية جعلهم يميلون إلى التطرف فى أفكارهم السياسية حتى جعلوا الخلافة حق لكل مسلم حر أو رقيق عادل بغض النظر عن جنسيته العربية أو فصيلته القريشية . ولعل هذا هو السبب الذى جعل مستشرقا مثل "فان فلوتن" يصفهم بأنهم الجمهوريون المتطرفون فى الفكر الإسلامى ولذلك فقد أجازوا عزل الخليفة وقتله إذا جار .

وزادت يوماً بعد يوم أعـــداد الخـــوارج وزاد تطرفـــهم الديـــنى والسياسى وتعددت فرقهم حتى وصلت إلى عشرين فرقة تتفق وتختلف مع غيرها فى تعاليمها . وفى مقدمة هذه الفرق الأزارقة أصحاب نـــافع بـــن الأزرق ، والنجديين أتباع نجده بن عامر الحنفى ، والبيهسية أصحـاب أبى بيهس بن جابر ، والأباضية أتباع عبد الله بن أباض التميمى ، والصُّفريـــة أصحاب زياد بن الأصفر ، وغيرهم كثيرون .

وقد ساعد على إزدياد شوكة الخوارج فى عصر الدولة الأموية مـا صاحب الدولة من تمزق وإختلاف فى عصرى الفتنة الأولة والثانية والـذى أوقف فتوحاهًا فى المشرق والمغرب وشمالى أفريقيا . وقد بذل الخـــوارج جهدا كبيرا للإستفادة من الحركة الزبيرية للقضاء على خصومـــهم مـــن الأمويين وسار زعمائهم إلى مكة وإلتقوا بعبد الله بن الزبـــير ولكنـــهم وجدوا أرائه لا تتفق مع آرائهم ، فتركوه وإتجهوا إلى البصـــرة وعلـــى رأسهم نافع بن الأزرق الحنظلى وهناك تذاكروا الجهاد وكســروا بـــاب السجن وأخرجوا من فيه من الخوارج الذين كان عبيد الله بن زياد قـــد حبسهم فيه .

ومنذ ذلك الحين بدأ الصراع بين الأمويين والخـــوارج ، تلـــك الحروب التى إستمرت حتى سقطت الدولة الأموية واستؤنفت فى عـــهد الدولة العباسية . ولقد وجد عبد الملك بن مروان فى الحجاج بن يوســف

الثقفى خير معين على القضاء على ثورات الخوارج الأزارقة والخـــوارج الصفرية .

أما الخوارج الأزارقة فقد ولى عبد الملك لقتالهم المـــهلب بـــن أبى صفرة ، وكان أكبر نصر حصل عليه المهلب هزيمة الخوارج فى طبرســـتان وقتل زعيمهم قطرة بن الفجاءة مما أدى إلى إضعاف الخوارج الأزارقة .

وبعد أن تم القضاء على الأزارقة حارب الحجاج الخوارج الصفرية وكان يتزعمهم صالح بن مسرح التميمى فى بـــلاد الموصـــل والجزيـــرة ويساعده شبيب بن يزيد الشيبانى وإستطاع الخوارج الصفرية هزيمة الجيش الأموى فى حران ، أما الحجاج فعندما رأى ضعف أهل الكوفة فى محاربـــة الخوارج فقد طلب من الخليفة عبد الملك أن يمده بجيش من الشام وتمكـــن هذا الجيش بعد عدة معارك من هزيمة الصفرية وقتل شبيب سنة ٧٧ هـــ، ولقد أدى ذلك إلى ضعف قوة الخوارج .

ثورة عبد الرحمن بن الأشعث :

وقد واجه عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف فتنـــة عبـــد الرحمن بن الأشعث الذى خرج على طاعة الخليفة الأموى ، وكان عبـــد الرحمن الأشعث من قواد الحجاج بن يوسف فأرسله الأخير للقضاء علـــى ملك كابل فى أرض سجستان الذى ماطل فى دفع الإتاوة الـــتى إعتـــاد آداءها للدولة العربية ، فخرج بن الأشعث إلى الحدود الشرقية لقتال ملك كابل ، وقد حدث أن خطته الحربية التى رسمها لقتال ملك كابل لم تـرض

الحجاج فأرسل الأخير يؤنبه ويتهمه بالجبن ، وغضب ابن الأشعث من لهجة الحجاج وأعلن العصيان عليه وإنضم إليه عناصر من ربيعة ومضر ، ثم تطور الأمر من ثورة على الحجاج إلى ثورة على عبد الملك ، وإتجه ابن الأشعث بقواته إلى الكوفة والبصرة ، وتوالت هزائم الحجاج فأرسل الخليفة عبد الملك إبنه عبد الله وأخاه محمد بن رضوان لمفاوضة ابن الأشعث يعرض عليه عزل الحجاج عن العراق ، وأن يعطى جند ابن الأشعث بقدر ما يعطى أهل الشام وأن يوليه أى إقليم يشاء من العراق ، فلم يقبل ابن الأشعث هذا الصلح ، ثم هزم فى معركة دير الجماجم سنة ٨٢ هـ وفر ابن الأشعث إلى المشرق ، وانتهى أمره بإلقاء نفسه من فوق أحد قصور كابل ومات سنة ٨٥هـ وبذلك إنتهت ثورة ابن الأشعث .

أما أفريقيا فقد أرسل عبد الملك جيشا سنة ٦٩ هـ بعد إستيلاء البربر على القيروان ، ولكن البربر والرومان هزموا هذا الجيش وقتلوا زهير ابن قيس ، وعندما سمع عبد الملك بمقتل زهير أعد جيشا كثيفا بقيادة حسان بن النعمان الغسانى فسار إلى المغرب وإستطاع إسترداد القيروان وهزيمة الكاهنة سنة ٨٢هـ وقتلها فى موضع يعرف ببئر الكاهنة فى جبال الأوراس ، وبذلك قضى حسان على كل أثر للمقاومة فى المغرب الأدنى ، ولما عزل حسان ولى عبد الملك موسى ابن نصير الذى واصل الفتوحات الإسلامية فى بلاد المغرب .

خلافة الوليد بن عبد الملك " ٨٦ - ٩٦ هـ":

بويع الوليد بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى توفى فيه عبد الملك ، وكان يكنى بأبى العباس . وإذا إعتبرنا أن معاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية فإن عبد الملك بن مروان موطد أركان هذه الدولة ويعتبر الوليد موسع أطرافها . وتنقسم الإنجازات فى عهد الوليد إلى ثلاث إنجازات هامة وهى :

- التوسع الإسلامى فى المشرق .
- التوسع الإسلامى فى المغرب (الأندلس) .
- المنجزات العمرانية فى عهد الوليد .

التوسع الإسلامى فى المشرق :

كان من الطبيعى أن يتسم عهد الوليد بعمليات التوسع الإسلامى والفتوحات العظيمة شرقا وغربا بعد إستتباب الأمور فى الدولة الأموية وتوطد أركانها على يد معاوية وعبد الملك . وقد إشتهر فى عهد الوليد أربعة من كبار القواد العرب قاد إثنان منهم الفتوحات الإسلامية فى المشرق وهما : قتيبة بن مسلم ، ومحمد بن القاسم السقفى . وقاد الإثنان الآخران الفتوحات الإسلامية فى المغرب والأندلس وهما : موسى بن نصير، وطارق بن زياد .

أما بالنسبة للفتوحات الإسلامية فى بلاد ما وراء النهر فقد فتح هذا الإقليم على يد قتيبة بن مسلم الباهلى ، فقد إحتل قتيبة بلخ سنة ٨٦هـ ثم توالت الفتوحات الإسلامية فى بيكند وكرمينية سنة ٨٨ هـ ،

وبخارى سنة ٨٩ هـ ، وفى سنة ٩٣ هـ إستولى على خوارزم وسمرقند والصغد وعبر نهر جيحون ، وفى العام التالى فتحت كابل و فرغانة والشاش ، وهو الإقليم المتاخم لبلاد تركستان،ثم تابع زحفه حتى وصل خجندة على نهر سيحون ، وفى سنة ٩٥ هـ فتحت خوقند وقشغر .

وفى سنة ٩٦ هـ وصل قتيبة بن مسلم إلى حدود الصين ، ولما رأى ملكها توغل العرب فى بلاده اضطر إلى دفع الجزية لقتيبة عن أراضيه التى إستولى عليها المسلمون .

أما محمد بن القاسم فقد سار بجيش كبير سنة ٨٩ هـ إلى بلاد الهند ففتح الديبل (كراتشى اليوم) وهو المرفأ الذى تنتهى عنده دلتا نهر السند ، ثم إتجه محمد بن القاسم بإتجاه شمال السند حتى وصل كشمير ، ثم أمره الحجاج بن يوسف بالتوقف .

ومن أهم أسباب نجاح المسلمين فى الوصول إلى الصين والهند فى الجبهة الشرقية هو نجاحها فى القضاء على الدولة الساسانية وبذلك إنهار هذا السد المنيع الذى كان يحول بين المسلمين وبين الإنحدار على طول هذه الجبهة ، كما زرع هذا الرعب فى قلوب حكام الدول المجاورة وجعلهم يستسلمون لعمليات الفتح الإسلامى . كما أن إنتهاء عهد الفتن الداخلية فى الدولة الإسلامية التى كانت تشغل المسلمون وتوقف عمليات المد الإسلامى .

التوسع الإسلامي فى المغرب (الأندلس) :

كانت خطة الدولة الأموية فى بلاد المغرب قائمة على إسترداد ممتلكات أفريقية القديمة فى البحر المتوسط ، ونشر الإسلام فى أوربا ، وتأمين الوجود الإسلامي فى بلاد المغرب من غارات البيزنطيين . وقد ولى الخليفة الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير ولاية أفريقية سنة ٨٦هـ/٧٠٥م ، وقد نجح موسى فى إفتتاح المغرب كله عدا مدينة سبتة. ومما لا شك فيه أن موسى بن بصير بعد أن دانت له المغرب أرسل ابنه عبد الله على رأس حملة بحرية إلى سردانية وصقلية حيث غنم المسلمون من البيزنطيين مغانم كثيرة .

وكان من الطبيعى أن يوسع موسى بن نصير نشاطه فى الغزو والفتح خاصة فى بلاد الأندلس بعد إستشارة الخليفة الوليد بن عبد الملك الذى أمره بأن يخوضها بالسرايا حتى يختبرها ، وألا يغرر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال . ولا شك أن فتح الأندلس يعتبر تتويجا لجهاد موسى بن نصير والدولة الأموية بعد فتح المغرب .

كانت أسبانيا زمن الفتح العربى لبلاد المغرب خاضعة لحكم القوط الغربيون الذين إتخذوا طليطلة عاصمة لهم . وقبيل الفتح الإسلامى لأسبانيا بنحو عشرون سنة كان يحكمها ملك يسمى ومبا ، و ثار عليه رودريك أو لذريق حاكم قرطبة وإنتزع الملك منه . وفى عهده إضطهد اليهود ، ولكن على الرغم من ذلك فقد بقى اليهود فى أسبانيا ، فلما وافت سنة ٧٥هـ/٦٩٤م أى قبل الفتح الإسلامى لأسبانيا بسبع عشرة سنة حتى

أضرموا ثورة شاملة مع إخوانهم اليهود الذين يسكنون فى العدوة المغربية حيث كانت تلك المنطقة ملجأ لليهود المنفيين من أسبانيا ، غير أن ملك أسبانيا علم بالمؤامرة قبل موعد تنفيذها ، وكانت تتلخص فى إنتقال يهود العدوة إلى أسبانيا وتهويدها ، ومن ثم زاد السخط على اليهود وحرموا من حريتهم وجعلهم الملك عبيدا للنصارى ، وفرض على السادة ألا يسمحوا لعبيدهم بممارسة شعائر الدين القديم ثم ينشئوهم على النصرانية ، فلا يستطيع العبد اليهودى أن يتزوج إلا من أمة نصرانية ، ولا تتزوج الجارية اليهودية إلا عبدا مسيحيا . ومن ثم كان اليهود يتطلعون فى لهفة إلى من يخلصهم من هذا التعسف ، وإلى لحظة خلاصهم .

وتفنن رجال الدين المسيحى فى جمع الأموال ، وأصبح الأساقفة ملاك لضياع واسعة ، وقصور حافلة بالعبيد ، وعلى وجه العموم فإن وضع العبيد لم يكن محتملا أيضا قبيل الفتح الإسلامى . أما الطبقة الوسطى فقد كانوا مرتبطين بالأرض ، و لم يكن من حقهم بيع أملاكهم كما ساد الإضطهاد جميع عناصر الشعب من رجال القصر والنبلاء ، وعاملوا المزارعين معاملة العبيد ، وفرضوا الضرائب الباهظة على التجار والصناع ، فتغيرت قلوب الناس على ملك أسبانيا ، وأصبحوا أعداء ألداء لهذا المجتمع المتصدع الذى كانت عوامل الضعف تنخر فيه من كل النواحى ، مع ضعف أصحاب السلطة وعدم قدرتهم على دفع الخطر الخارجى ، ومن ثم فكروا فى القيام ضد حكم لذريق ووجدوا بأن خير مايعينهم على ذلك هو الإستعانة بالمسلمين .

ويبدو أن أحد أبناء ومبا ويسمى "وقلة " قد فر إلى المغرب وأقام عند يوليان وكان لايزال على ولائه للملك ومبا وأبنائه ، وقد تولى يوليان الوساطة بين الساخطين على لذريق وطارق ابن زياد حاكم طنجة ، وقام بدعوة المسلمين إلى فتح أسبانيا أملا فى إسترداد الملك لأميرهم وقلة ، يؤيد ذلك ماذكره ابن عذارى إذ يقول : "أن طارقا كان واليا لموسى على طنجة ، وكان يوما جالسا ، إذ نظر إلى مركب قد طلعت فى البحر، فلما أرست ، خرجوا إليها . فنزعوا أرحلها ، وأنزلوا أهلها ، فقالوا : "إليكم جئنا عامدين !" وعظيمهم معهم يقال له يليان . فقال طارق :"ما جاء بك ؟" فقال له : "إن أبى مات . فوثب على مملكتنا بطريق يقال له لذريق ، فأهاننى ، وأذلنى ، وبلغنى أمركم ، فجئت إليكم أدعوكم إلى الأندلس ، وأكون دليلا لكم !" فأجابه طارق إلى ذلك ."

وقد أقبلت الوفود على طارق بن زياد تدعوه إلى فتح اسبانيا ، وبعد مراسلات ومشورات وإستئذان من الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك فى غزو الأندلس فأذن له ، آمرا إياه أن يغزو أسبانيا بالسرايا ، وحذره من أن يعرض جيشا كبيرا للخطر فيما وراء البحر . فقام موسى ابن نصير بإستدعاء يوليان حاكم سبتة وكلفه بالقيام بغارة على أسبانيا حتى يضمن أنه أصبح عدوا للذريق ، فإنصرف يوليان وحشد جيوشه ، وجاز فى مركبين إلى أسبانيا ، وهاجم الساحل الجنوبى ، فنهب وقتل وسبا ، ثم عاد ، وتعهد بنقل جند المسلمين إلى الأندلس فى سفنه .

وحينذاك ندب موسى قائدا من قواده وإسمه طريف بـــن مـــالك ويكنى بأبي زرعة إلى أسبانيا فى سنة ٩١هـــ/٧١٠م على رأس قوة مؤلفـة من خمسمائة مقاتل منهم أربعمائة من المشاة ومائة فارس ، وعبرت هـــذه الحملة مضيق جبل طارق فى أربع سفن أمده بها يوليان ، ونزل طريـــف بجنده فى جزيرة تعرف بإسم لاس بالوماس تقع على مقربة مـــن مدينـة طريف الحالية التى سميت بإسمه وذلك فى رمضان سنة ٩١هــــ/ يوليــو ٧١٠م ، واتخذها قاعدة لأعماله العسكرية على الساحل الجنوبى للأندلس ثم عاد بغنائم وافرة إلى أفريقية دون أن يلقى مقاومة فـــأنس موســـى إلى يرئيان الذى ساهم بدور كبير فى نجاح هذه الحملة وذلك بتقديمه الســـفن والمعلومات اللازمة لعبور المسلمين إلى الأندلس .

شجعت هذه الحملة موسى بن نصير على إعداد جيش كبير لفتح الأندلس فجهز جيشا من العرب والبربر يتألف من سبعة آلاف مقاتل مـــن البربر بإستثناء ثلاثمائة من العرب ، وأسند الراية لطارق بن زياد حـــاكم طنجة .

إجتاز طارق بحر الزقاق -مضيق جبل طارق - علـــى الســـفن لأربعة المملوكة ليوليان وبعض قطع الأسطول الإسلامى ، وكان ذلـــك يوم ٥ رجب سنة ٩٢هـــ/ ابريل ٧١١م من ميناء طنجة فى الشـــاطئ لأفريقى إلى جبل على الشاطئ الأسبانى كان الأقدمون يدعونه " أعمـدة هرقل " وباسمه سمى المضيق . ومن يومها أطلق على الجبل جبـــل طـــارق على المضيق "مضيق جبل طارق" ولزمه ذلك حتى اليوم فهو يدعـــى فى

جميع اللغات "GIBRALTAR" . وهناك أنشأ قاعدة وحصنا ومرسى يصل بينه وبين سبتة ثم بعث فرقة من جيشه سارت حذاء الساحل الشمالى ، فإستولت على قرية تعرف بقرطاجنة الجزيرة جنوب خليج جبل طارق ثم زحف طارق غربا وعسكر فى المنطقة المحيطة بقرطاجنة فى موضع يقابل الجزيرة الخضراء . أنشأت عليها بعد ذلك مدينة إسلامية لازالت ظاهرة إلى اليوم تحمل إسم الجزيرة الخضراء ، ثم سار إلى الجنوب وعبر نهيرا صغيرا يصب فى المحيط الأطلسى يسمى وادى لكة ، يصب فى بحيرة سماها العرب الخندق . ثم عسكر فى منطقة سهلية تكثر فيها المدن مثل مدينة قادش على البحر ومدينة شريش إلى جوارها فى الداخل وفى الشمال مدينة شذونة .

وفى ذلك الوقت كان لزريق ملك القوط يحارب قبائل البشكنس فى بنبلونه فلما علم بنبأ الغزو الإسلامى ، عاد مسرعا إلى طليطلة ومنها زحف فى جموع كثيفة لملاقاة المسلمين ووصل إلى شذونة ، فلما علم طارق بذلك كتب إلى موسى بن نصير يطلب المساعدة فأرسل إليه موسى خمسة آلاف جندى فصار مجموع المسلمين إثنى عشر ألفا .

ولقد أجمع معظم المؤرخين على أن المعركة الفاصلة بين طارق ولذريق حدثت فى كورة شذونة فى جنوب غرب الأندلس فى مكان يدعى وادى لكة يوم ٢٨رمضان ٩٢هـ/١٩يوليو ٧١١م بين قوتين غير متعادلتين ، فقد حشد لذريق مايستطيع حشده من مال وُرجال وسلاح مما أزعج طارق بن زياد ومن ثم سارع فى طلب المزيد من القوات

الإسلامية ، وحسمت المعركة بنصر ساحق للمسلمين بعد قتال إستمر من يوم الأحد ٢٨رمضان إلى الأحد ٥شوال ٩٢هـ ، وإستشهد فى هذه المعركة من المسلمين ثلاثة آلاف قتيل .وطويت صفحة القوط بعد هذه المعركة حيث لم تقم لهم قائمة بعدها .

واستمرطارق فى زحفه نحو الشمال حتى طليطلة عاصمة لذريق والقوط ، فوجدها خالية ليس فيها إلا اليهود فى قوم قلة ، فضم اليهود وأبقى معهم بعض رجاله بطليطلة ، وسلك طريق وادى الحجارة ، وعند بلدة تسمى " الكالا دى هنارس " ويسميها العرب "قاعة عبد السلام " وتسمى بمدينة المائدة ، أدرك طارق الفارين من طليطلة ، ففتح المدينة ، واستولى منهم على المذبح وذخائر كثيرة ، وقيل لهم انها مائدة سليمان ، وأخذت تشيع -منذ فتح طليطلة- أسطورة شعبية ، مؤداها أنه كان بها بيت مطلسم عليه أقفال كثيرة أمر بفتحه لذريق ، فوجده فارغا إلا من تابوت مغلق وجد فيه لفائف مدرجة رسمت فيها صور فرسان محكمة التصوير على أشكال العرب ، وهم معممون ، ومن تحتهم الخيل العربية ، وهم متقلدون السيوف المحلاة ، والرماح ، وفى أسفلها كتابات بالعجمية "إذا فتح هذا البيت وأخرجت هذه الصور دخل الأندلس قوم فى صورهم فغلبوا عليها " . ولاشك أنها أسطورة ولاأساس لها من الصحة . على أى حال كان فصل الشتاء قد أقترب ، و تعب المسلمون من الجهد الذى بذلوه خلال جهادهم فى بلاد الأندلس ، فخشى طارق أن يقطع عليه القوط الطريق فى هذه البلاد الجبلية خاصة وقد ثقل جنده بالغنائم فعاد

إلى طليطلة ومنها أرسل إلى موسى بن نصير يبلغه بما أدى فى سبيل الله من جهاد وفتوح عظيمة .

وعندما وصل موسى بن نصير أنباء إنتصارات طارق بن زياد فى الأندلس قرر أن يسير إليه فى قوة كبيرة ليشد بها أزره ويثبت فتحه . وبدأ موسى بالإستيلاء على شذونة ثم قرمونة وتقع شرقى إشبيلية ، وهى من أحصن مدن الأندلس ، ثم توجه بعد ذلك إلى إشبيلية وهى من أعظم الأندلس شأنا وأعجبها بنيانا وآثارا وكانت دار الملك قبل سيطرة القوط على أسبانيا ، فلما استولوا عليها إتخذوا طليطلة عاصمة لدولتهم ، فحاصر موسى إشبيلية عدة أشهر حتى فتحها وهرب حاكمها إلى مدينة باجة ثم فتح مدينة ماردة بعد قتال عنيف إستمر عدة أشهر ، وتم الفتح صلحا فى أول شوال سنة ٩٤هـ/ ٣٠يونية ٧١٣م ويقال أن أهلها صالحوه على أن جميع أموال قتلاهم وأموال الهاربين إلى جليقية للمسلمين، وأموال الكنائس وحليها له .

ثم زحف موسى بعد ذلك إلى طليطلة ومضى طارق لمقابلته مظهرا له آيات الود والولاء ، ويقال أن موسى وبخه وعنفه ، وطالبه بأداء ماعنده من مال وذخائر الملول وإستعجله بالمائدة فأتاه بها وقد خلع من أرجلها رجلا وخبأه ،فسأله موسى عنها فقال له : "إننى لا علم لى كذلك أصبتها فأمر بالرجل فعمل لها من ذهب " . ولكن هذا غير صحيح ، وقد يكون القائدان قد تعاتبا ولكنهما إشتركا سويا فى مواصلة الفتوح ، وفى أثناء أقامة موسى فى طليطلة جاءه نبأ بإنتفاضة إشبيلية ،

فأرسل إليها إبنه عبد العزيز فأخمد الإنتفاضة ، وإستولى على لبلة وباجة وأكشونبة وتقع فى جنوب غرب الأندلس .

ثم تابع القائدان موسى وطارق فتوحاتهما فإتجها إلى الشمال فى المنطقة التى عرفت بالثغر الأعلى ، وإفتتح مدينة سرقسطة مفتاح منطقة وادى أبرو ، ثم وشقة ولاردة ، حتى بلغا شاطىء البحر الشمالى عند حدود فرنسا الجنوبية .

وهكذا إنتهى كل من موسى وطارق من فتوحاتهما ، وكانت أوامر الخليفة الوليد بن عبد الملك قد قضت برجوعهما إلى دمشق . فرأى موسى أن يلبى مع طارق دعوة الخليفة بوفودهما عليه ، وأناب عنه فى حكم الأندلس إبنه عبد العزيز بن موسى فى أواخر سنة ٩٥هـ/ ٧١٤م.

مما لاشك فيه أن من أبرز نتائج فتح الأندلس سقوط دولة القوط الغربيين ، وأصبحت الأندلس إحدى ولايات الدولة الإسلامية ، وإنتشر الإسلام واللغة العربية فى الأندلس وإنتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا فى العصور الوسطى . وكذلك تمتع اليهود والنصارى بالتسامح الدينى المعهود عند المسلمين .

المنجزات العمرانية فى عهد الوليد :

حفل عصر الوليد بن عبد الملك بمنجزات عمرانية تتفق مع عملية التوسع فى الميدانين الشرقى والغربى وتدفق الأموال على دمشق عاصمة الحكم الأموى ، ومن أهم هذه الإنجازات الجامع الأموى بدمشق والتوسعات فى المسجد النبوى وتذهيب الكعبة .

عندما فتح المسلمون سوريا أقاموا مقرا لقيادتهم فى موقع كنيسة القديس يوحنا ، فشاركوا المسيحيين فيه حيث إختص المسلمون بالجانب الشرقى من الكنيسة الذى إحتله خالد بن الوليد عنوة ، بينما إختص النصارى بالجانب الغربى من الكنيسة . وفى عهد الوليد بن عبد الملك تمكن من إقناع المسيحيين بالتنازل للمسلمين عن القسم الغربى من الكنيسة مقابل أربع كنائس منحهم حق العبادة فيها ، ومن ثم شرع فى بناء الجامع الأموى بدمشق .

وهناك بعض الروايات تشير إلى أن الوليد حين أراد بناء المسجد هدم الكنيسة كلها ، وقد أكد بعض المستشرقين هذه الحقيقة إذ يذكر كرزول إعتمادا على نص للواقدى ذكره البلاذرى وإعتمد فى ذلك على وجود المذبح الكنسى فى القسم الشرقى من الكنيسة الذى تحول إلى مسجد . وقد رجح الدكتور نبيه عاقل وجهة نظر كرزول إعتمادا على شاهد عيان زار دمشق حوالى سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، إذ يذكر أنه رأى كنيسة يوحنا دون أن تمس وأنه كان للمسلمين مسجدا آخر يؤدون فيه شعائرهم الدينية .

وتشير الروايات إلى أن الوليد بدأ ببناء المسجد الأموى سنة ٧٨هـ ، وقد إستمر العمل فى المسجد حتى سنة ٩٦ هـ ، وساهم فيه ألوف العمال ، وأن الوليد أنفق على بناء المسجد الأموى خراج الدولة الإسلامية سبع سنين . ويلاحظ أن أسلوب بناء المسجد تم على نسق المساجد الإسلامية الأولى فى المدينة والكوفة والبصرة وغيرها من الأمصار الإسلامية ، وزاد على ذلك بعض مظاهر الفن المعمارى الإسلامى البيزنطى الذى أصبح مثلا يحتذى به فى كثير من العمارة الإسلامية .

وإلى جانب بناء المسجد الأموى بدمشق أعاد الوليد عمارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة ، يؤيد ذلك ما يرويه الطبرى إذ يذكر فى أحداث سنة ٨٨ هـ أن الوليد بن عبد الملك أمر عمر بن عبد العزيز أمير المدينة أن يدخل حجرات أزواج الرسول ومساحة كبيرة أخرى فى مؤخرة المسجد حتى تغدو مساحته مائتى ذراع ، وأرسل إلى عمر بن عبد العزيز الأموال والبنائين من أهل مصر والشام والروم لإتمام تلك التوسعة للمسجد النبوى .

وقد أمر الوليد بن عبد الملك أميره على مكة خالد بن عبد الله القسرى بتذهيب الكعبة لأول مرة فى تاريخ الإسلام ، ورصد لذلك ثلاثين ألف دينار . وفى سنة ٩١ هـ توجه الخليفة الأموى إلى مكة والمدينة ليرى ما تم إنجازه من أعمال معمارية .

كما إهتم الوليد بتأمين وإصلاح الطرق خاصة طرق الحج ، كما أمر أمير المدينة عمر بن عبد العزيز بالإهتمام بتأمين مياه الشرب والمرافق العامة ، وأولى الوليد إهتماما كبيرا بإنشاء دور الضيافة وخص أعطيات للمكفوفين والمساكين والمجذوبين ، وأجرى إطعام الفقراء فى شهر رمضان فى المساجد ، كما إهتم بإنشاء البيمارستانات لعلاج المرضى .

وتوفى الوليد بدمشق الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ بعد أن إمتدت دولته شرقا وغربا ، فكانت ولايته التى إمتدت نحو تسع سنين وثمانية أشهر قضى معظمها فى تجييش الجيوش ومواصلة الفتوحات الإسلامية .

خلافة سليمان بن عبد الملك " ٩٦ -٩٩ هـ":

بويع سليمان بن عبد الملك بدمشق بعهد من أبيه بعد وفاة أخيه الوليد وذلك يوم السبت الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ ، وكان سليمان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشى وفى أيامه لبس الناس الوشى جبابا وأردية وسراويل وكان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته إلا فى الوشى ، ويقال أن سليمان حينما تولى منصب الخلافة صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ثم قال : " الحمد لله الذى ما شاء صنع ، وما شاء أعطى ، وما شاء منع ، وما شاء رفع ، وما شاء وضع ، أيها الناس ، إن الدنيا دار غرور وباطل وزينة وتقلب بأهلها ، تضحك باكيها وتبكى ضاحكها ، وتخيف آمنها وتؤمن خائفها ، وتثرى فقيرها ، وتفقر مثريها ، ميالة بأهلها ، عباد الله ، إتخذوا كتاب الله إماما

وارضوا به حكما ، واجعلوه لكم هاديا ودليلا ، فإنه ناسخ ما قبلـه ، ولا ينسخ ما بعده ، واعلموا عباد الله انه ينفى عنكم كيد الشيطان ومطامعـه كما يبلو ضوء الشمس الصبح إذا أسفر ، وإدبار الليل إذا عسـعس ، ثم نزل وأذن للناس بالدخول عليه " .

وتشير الروايات التاريخية إلى أن سليمان بن عبد الملك كان حاقدا على الحجاج بن يوسف الثقفى واقمه بانه كان يريد دفع أخيه الوليد إلى نقد وصية أبيه عبد الملك فى أخذ البيعة له من بعده لعبد العزيز بن الوليد ، كما إقمه بأنه أساء إلى سمعة الأمويين فى العراق بسبب سياسته التعسـفية ضد أهلها ، ولكن الحجاج توفى قبل الوليد فانتقم سليمان مـن رجـال الحجاج شر إنتقام .

ويذكر المسعودى أن سليمان أدخل عليه يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج والمستولى عليه ، وهو مكبل بالحديد ، فلما رآه إزدراه ، فقـال : ما رأيت كاليوم قط ، لعن الله رجلا أجرك وحكمك فى أمره ، فقال لـه يزيد : لا تفعل يا أمير المؤمنين فإنك رأيتنى والأمر عنى مدبر ، وعليـك مقبل ، ولو رأيتنى والأمر مقبل على لاستعظمت منى مـا إسـتصغرت ، ولاستجللت منى ما استحقرت ، قال : صدقت فاجلس لا أم لك ، فلمـا إستقر به المجلس قال له سليمان : عزمت عليك لتخبرنى عن الحجاج مـا ظنك به ، أتراه يهوى بعد فى جهنم أم قد إستقر فيها ؟ قال : يـا أمـير المؤمنين ، لا تقل هذا فى الحجاج ، فقد بذل لكم نصحه ، وأحقن دونكم دمه ، وآمن وليكم ، وأخاف عدوكم ، وانه يوم القيامة لعن يمين أبيـك

عبد الملك ، ويسار أخيك الوليد ، فاجعله حيث شئت ، فصاح سليمان: أخرج عنى إلى لعنة الله .

وليس من شك فى أن سليمان قد تتبع رجال الحجاج بالإضطهاد إنتقاما منه ، فولى يزيد ابن أبى كبشة على بلاد السند وأمره بحبس محمد ابن القاسم فاتح السند وابن أخت الحجاج ، وإنتهى أمره بالقتل بأمر من سليمان .

أما قتيبة بن مسلم الباهلى صديق الحجاج فقد حرض سليمان عليه بعض قواته فقتلوه سنة ٩٦ هـ وأرسلوا رأسه إلى الخليفة بدمشق . أما موسى بن نصير فاتح المغرب الأقصى وبلاد الأندلس فقد إستدعاه الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى دمشق وعندما وصل إليها موسى وجد أن الخليفة سليمان بن عبد الملك ، فإستقبله شر إستقبال وأخذ كل الهدايا والغنائم الكثيرة التى كان موسى يحملها معه وأغرمه مالا كثيرا ، ويقال أن موسى كان يسأل القبائل لكى يحصل على الفدية المطلوبة منه . أما طارق بن زياد الذى عاد مع موسى إلى دمشق فقد إختفى فى ظلال النسيان بعد أن قام بجهود عظيمة فى فتح بلاد الأندلس .

وبذلك يمكن القول أن سليمان قام بالقضاء على القادة الأربعة العظام الذين قاموا بتوسيع حدود الدولة الإسلامية فى عهد الوليد .

وفى عهد سليمان إرتفع شأن أبناء المهلب بن أبى صفـــرة أعـــداء الحجاج ، ففى أواخر أيامه هرب يزيد بن المهلب من سجن الحجاج ســنة ٩٠ هــ وتوجه إلى فلسطين قاصدا سليمان الذى كان يقيم بالرملة أثنــاء خلافة أخيه الوليد فأكرمه وتوسط عند الوليد فعفا عنـــه . وفى خلافـــة سليمان حل يزيد ابن المهلب محل الحجاج فى إدارة شئون العراق وطلـــب يزيد من سليمان إعفائه من جباية الأموال وأن يعهد إلى غيره بهذه المهمـــة فعهد سليمان بخراج العراق إلى صالح بن عبد الرحمن ، الذى عرب ديوان الخراج فى العراق . أما يزيد فقد غزا بلاد جرجان وطبرستان وكتـــب إلى سليمان يذكر الغنائم الكثيرة التى حصل عليها .

أما بالنسبة لعلاقة الدولة الإسلامية مع الدولة البيزنطيـــة فى ظـــل حكم سليمان فقد أرسل سليمان سنة ٩٨ هــ جيشا عظيما قدر عـــدده بثمانين ألفا بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية ، كمـــا أمر عمر بن هبيرة قائد الأسطول العربى المكون من ١٨٠٠ سفينة بالإبحار إلى القسطنطينية ، فحاصرت قوات مسلمة القسطنطينية برا بينما حـــاصر الأسطول الإسلامى العاصمة بحرا ، مما جعل الإمبراطور ليو الثالث يستعين بقبائل البلغار لمواجهة الحصار الإسلامى ، وبينما المســـلمون يحـــاصرون القسطنطينية توفى سليمان فى صفر سنة ٩٩ هــ وولى الخلافة بعده عمـــر بن عبد العزيز الذى أشفق على القوات الإسلامية مـــن طـــول حصـــار القسطنطينية فطلب من مسلمة أن يعود بقواته إلى الشام .

خـلافة عمـر بن عـبد العزيز "٩٩ - ١٠١ هـ" :

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية، وأمه أم عاصم بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب ، وتزوج من فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، وقد بويع بالخلافة بعهد من سليمان فى صفر سنة ٩٩ هـ ، فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر نحو خلافة أبى بكر الصديق ، ولما قرىء كتاب العهد بإسمه وقف مكانه لا يتقدم ولا يتأخر فزعاً وقال : والله إن هذا الأمر ما سألته الله قط ؟

وتشير النصوص التاريخية إلى أن سليمان بن عبد الملك لم يجد من بين الأمويين وقتئذ من يصلح لخلافة المسلمين غير عمر بن عبد العزيز .

ويجب أن ننوه أن عمر بن عبد العزيز عُين والياً على الحجاز فى خلافة الوليد ابن عبد الملك ، فتحولت الحجاز فى عهده إلى مهجر لأعداء الحجاج بن يوسف الثقفى من العراقيين فطلب الأخير من الوليد عزل عمر فعزله عن المدينة ، وحين آلت الخلافة إليه لم يسر على نهج سياسة من سبقه من الخلفاء الأمويين وإنما إتخذ من سيرة جده عمر بن الخطاب مثلاً يحتذى ، فقد إشتهر كجده بالتقوى والورع والعدل ، ويذكر ابن الأثير أن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة قال لإمرأته فاطمة : " إن أردتى صحبتى فردى ما معك من مال وحلى وجوهر إلى بيت مال المسلمين فإنه لهم ، وإنى لا أجتمع أنا وأنت وهو فى بيت واحد فردته جميعاً ".

كان عمر بن عبد العزيز بعيدا عن كبرياء الملوك فأعاد إلى النـــاس سيرة الخلفاء الراشدين فى العدل والتســـامح والأخـــذ بيـــد الضعفـــاء والمساكين. وفى أول خلافته أرسل كتابا عاما إلى جميـــع عمالـــه علـــى الأمصار هذه نسخته " أما بعد فإن سليمان بن عبد الملك كان عبدا مـــن عبيد الله انعم الله عليه ثم قبضه واستخلفنى ويزيد بن عبد اللملـــك مـــن بعدى إن كان ، وإن الذى ولانى الله من ذلك وقدر لى ليس على بهـــين ولو كانت رغبتى فى اتخاذ أزواج وإعتقال أموال كان فى الذى أعطانى من ذلك ما قد بلغ بى أفضل ما بلغ بأحد من خلقه وأنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا ومسألة غليظة إلا ما عافى الله ورحم وقد بايع مـــن قبلنـــا فبايع من قبلك " .

ومما لا شك فيه أن هذا الخطاب يشير إلى أن عمر بن عبد العزيـــز كان من الخلفاء المتواضعين ، وهناك كثير من الروايات تشـــير إلى حبـــه للعدل مثال ذلك أن أهل سمرقند قالوا لعاملهم سليمان بن أبى الســـرح أن قتيبة غدر بنا وأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل وافنصاف فأذن لنا فليفـــد منا وفد إلى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا فإن كان لنا حق أعطيناه فإن بنا إلى ذلك حاجة ، فأذن لهم سليمان فوجهوا منهم وفدا إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز فلما علم ظلامتهم كتب إلى سليمان يقول له إن أهل سمرقنـــد قد شكوا ظلما من قتيبة حتى أخرجهم من أرضهم فـــإذا أتـــاك كتـــابى فأجلس لهم القاضى فلينظر فى أمرهم فإن قضـــى لهـــم فأخرجـــهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم من قبل أن ظهر عليهم قتيبة ، فأجلس لهـــم سليمان جميع بن حاضر فقضى أن يخرج عرب سمرقنـــد إلى معســـكرهم

وينابذوهم على السواء فيكون صلحا جديدا أو ظفرا عنوة . فقال أهـــل الصغد بل نرضى بما كان ولا نجدد حربا لأن دوى رأيهم قالوا قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم وأمنونا وأمناهم فإن عدنا إلى الحرب لا نـــدرى لمن يكون الظفر وإن لم يكن كنا قد اجتلبنا عداوة فى المنازعـــة فـــتركوا الأمر على ما كان ورضوا و لم ينازعوا ، وهذ عمـــل يشـــير إلى منتـــهى العدل.

كان عمر بن عبد العزيز من الخلفاء الذين عملوا على تحسين حال الرعية ، فقد أبطل مغارم كثيرة كان قد إستحدثها الحجاج بن يوســف ، فكتب عمر إلى أمير العراق " أما بعد .. فإن أهل الكوفة قد اصابهم بــلاء وشدة وجور فى أحكام الله وسنة خبيثة سنها عليهم عمال الســوء ، وأن قوام الدين العدل والإحسان فلا يكون شيء أهم إليك من نفسك فـــلا تحملها قليلا من الإثم ولا تحمل خرابا على عامر وخذ منـــه مـــا طـــاق وأصلحه حتى يعمر ولا يؤخذن من العامر إلا وظيفة الخـــراج فى رفـــق وتسكين لأهل الأرض ولا تأخذ أجور الضرابـــين ولا هديـــة النـــوروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفتوح ولا أجـــور البيـــوت ولا درهم النكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الذمة فاتبع فى ذلك أمرى فإنى قد وليتك من ذلك ما ولانى الله " ومما فعله أنه نهى عن تنفيذ حكـــم أو قطع إلا بعد أن يراجع فهى بعد أن كانت الدماء قبله تراق من غـــير حساب بل على حسب هوى الأمير وما ذكر الحجاج عنكم ببعيد . ومن الحكمة أن لا يتساهل فى مثل هذه الحدود وضم رأى الخليفـــة إلى رأى القاضى الذى حكم ضمان كبير لأن يكون الحكم قد وقع موقعه .

وقد أمر عمر عمال الولايات الإسلامية بعدم سب على بن أبى طالب ، وهى العادة التى كانت متبعة منذ ولى معاوية الخلافة ، فإكتسب رضاء العلويين ، وكان بلاطه مملوءاً بأهل الورع والتقوى ، فقد كان عمر نفسه عالماً بالفقه والحديث .

وقد قام عمر بن عبد العزيز بعزل ولاة الأقاليم فى عهد سلفه ممن عرف عنهم إستغلال السلطة والإنحراف ، ومن هؤلاء يزيد بن المهلب الذى لم يورد لبيت المال حقه من الخراج ، فأُلقى القبض على يزيد وبُعث به إلى عمر بن عبد العزيز فسأله عن الأموال التى كتب بها إلى سليمان ، فقال : كنت من سليمان بالمكان الذى قد رأيت وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذنى به ، فلما رفض يزيد رد الأموال إلى بيت المال ، حبسه بحصن حلب وعين بدلاً منه على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمى ، ثم عزل الجراح وعين بدلاً منه عبد الرحمن بن نعيم القشيرى . وعلى الكوفة عبد الحميد ابن عبد الرحمن القرشى ، وعلى البصرة عدى بن أرطاه ، وعلى الجزيرة عمر بن هبيرة ، وعلى الهند عمر بن مسلم الباهلى ، وعلى الأندلس السمح بن مالك الخولانى ، وعلى أفريقيا إسماعيل بن عبد الله مولى بنى مخزوم ، وإستعمل على ملطية جعونة بن الحرث أحد رجال ابن عامر بن صعصعة .

وقد نهج عمر بن عبد العزيز سياسة إصلاحية متمثلة فى تعيين ولاة صالحين ، فضلاً عن تحقيق العدالة بين الناس والقضاء على المظالم ، لنشر الدعوة الإسلامية فى كثير من البلاد وهذا ما عجز عنه أسلافه عن طريق

القوة ، فقدم لأهالى البلاد التابعة للدولة الإسلامية هبات من المال ليدخلوا فى الإسلام ، وأرسل إلى بلاد المغرب الفقهاء ليعلموا أهل المغرب أصول الدين الإسلامى ، وأرسل إلى ليو الثالث ملك الروم كتابا يدعوه فيه إلى الدخول فى الإسلام ، كما أرسل إلى ملوك الهند والسند وما وراء النهر كتب يدعوهم فيها إلى الإسلام على ألا يدفعوا جزية ولا يمس إستقلالهم، فإستجاب له أكثر هؤلاء الملوك ، ويقال أن عامله على خراسان أدخل فى الإسلام نحوا من أربعة آلاف شخص ، كذلك أمر عمر ابن عبد العزيز بعدم فرض الجزية عمن أسلم .

كذلك أمر عمر بن عبد العزيز أن تتحول الأراضى الخراجية لمن يعتنق الإسلام إلى أراضى عشرية ، والفرق بين الأرضيين أن الأولى كان يدفع عنها أهل الذمة خراج يعادل الخمس من ناتج الأرض ، أما الأراضى العشرية - أى التى يزرعها المسلم - كان مفروض عليها العشر ، أى نصف ما يدفعه الذمى ، وكان خلفاء بنى أمية قد أوقفوا عملية تحويل الأراضى الخمسية إلى عشرية بإعتناق الذمى الإسلام .

وكانت سياسة عمر بن عبد العزيز تقوم على حقن دماء المسلمين فحاول إرضاء الشيعة والخوارج ، ففى عهده ظهر رجل من الخوارج من بنى يشكر كان يعرف بإسم (شوذب) وأعلن العصيان على الخليفة ، فأرسل عمر كتابا إلى شوذب يقول فيه : " بلغنى أنك خرجت غضبا لله ولنبيه ولست أولى بذلك منى ، فهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وإن كان فى يدك نظرنا فى أمرنا .. " .

فأرسل شوذب كتاب إلى عمر وقال : " قد أنصفت ، وقد أرسلت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك " . ويقال أن عمر بن عبد العزيز لم يستطع أن يرد على إعتراضهما فى شأن ولاية العهد ليزيد بن عبد الملك من بعده ، فطلب إليهما أن يستمهلاه ثلاثة أيام ولكنه توفى فى ٢٥ رجب سنة ١٠١ هـ وآلت الخلافة من بعده إلى يزيد بن عبد الملك.

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان " ١٠١ - ١٠٥هـ " :

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ولد سنة ٦٥ هـ ، وقد اعتلى عرش الخلافة فى اليوم الذى توفى فيه عمر بن عبد العزيز وهو يوم الجمعة ٢٥ من رجب سنة إحدى ومائة ، ويكنى أبا خالد ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان .

ولعل أهم ما يذكر فى عهد يزيد فتنة يزيد بن المهلب الذى هرب من سجن عمر بن عبد العزيز ، وعندما بلغه موته وخلافة يزيد بن عبد الملك توجه إلى البصرة وذلك فى سنة إحدى ومائة ، وعليها عدى بن أرطاة الفزارى ، فأخذه يزيد بن المهلب فأوثقه وإستولى على البصرة ثم خرج يريد الكوفة ، وأخذ يفرق العطايا على الناس حتى يساعدوه على خلع يزيد بن عبد الملك فمال الناس إليه ، وحشدت له الأزد وأحلافها ، وإنحاز إليه أهله وخاصته ، وعظم أمره ، واشتدت شوكته ، فبعث إليه يزيد أخاه مَسْلمة بن عبد الملك ، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك فى جيش كبير بلغ عدده نحو سبعين ألف مقاتل من أهل الشام

والجزيرة، وقيل كانوا ثمانين ألفاً ، فساروا إلى العراق ، فلما شـارفاه رأى يزيد بن المهلب فى عسكره اضراباً فقال كما يذكر المسعودى : " ما هـذا الاضطراب ؟ قيل : جاء مسلمة والعباس قال : فو الله مـا مسـلمة إلا جرادة صفراء ، وما العباس إلا نسطوس بن نسطوس ، وما أهل الشـام إلا طَغَام قد حشدوا مابين فلاح وزراع ودباغ وسفلة ، فأعيرونى أكفكـم ساعة واحدة تصفعون بها خراطيمهم ، فما هى إلا غدوة ورَوْحة حـتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين على بفرسى ، فـأتى بفـرس أبلـق ، فركب غير متسلح " ، وإلتقى الجيشان ووقعت بينهما معركة كبيرة قتـل فيها يزيد بن المهلب وتفرقت جموعه وفر إخوته إلى كرمـان والسـند ، ولكن يزيد بن عبد الملك تعقبهم فقتل منهم عدد كبير ، وبهذا إنتهت فتنة يزيد بن المهلب .

أما مسلمة بن عبد الملك فقد ولى على الكوفة والبصرة وخراسان، ثم لم يلبث يزيد أن عزله فى نفس العام لأنه لم يرفع من خراج العـراق أو خراسان شيئا إلى بيت المال وولى يزيد بدلا منه عمر بن هبيرة الفـزارى القيسى المتعصب .

وفى أيام يزيد ، وبسبب مصاهرته للقيسية ، تجـدد الخـلاف بـين القيسيين واليمنيين وأصبحت اليمنية تعد من أعداء الدولة الأمويـة . وفى أيامه أيضا ظهر الخلاف بينه وبين أخيه هشام لما كان من سوء سيرة يزيـد فقد إشتهر باللهو والخلاعة ، ولما بلغه أن أخاه هشام ينتقص من قـدره ،

ثم سكنت الفتنة بينهما وكان يزيد يريد تولية إبنه الوليد من بعده فقيل لـه إنه صغير فولى أخاه هشاماً ومن بعده الوليد .

وقد توفى يزيد بن عبد الملك يوم الجمعة ٢٥ من شعبان سنة خمس ومائة ، فكانت ولايته نحو أربع سنين وشهراً .

خـلافة هشام بن عبد الملك " ١٠٥ - ١٢٥ هـ " :

هو هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكانت ولادته سنة ٧٢هـ ، وكان أبوه وقتئذ يحارب مصعب بن الزبير وإستطاع هزيمته وقتله فى نفس السنة التى ولد فيها هشام ، فسماه عبد الملك منصوراً ، وسمته أمه باسم أبيها هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى .

وبويع هشام بالخلافة فى اليوم الذى توفى فيه أخوه يزيد بن عبد الملك ، وأتته الخلافة وهو مقيما بحمص فأقبل حتى أتى دمشق وتمت لـه البيعة .

وفى أيام هشام استشهد زيد بن على بن الحسين بن على ، وذلك سنة إثنتين وعشرين ومائة ، وسبب ذلك أن هشام قد ولى على العراق سنة ١٢٠ هـ يوسف بن عمر الثقفى ، وكان قرين الحجاج فى قسوته ، وكان زيد قد بايعه كثير من أهل الكوفة سرا ، قبل ١٥ ألفا وقيل ٤٠ ألفا للخروج إليهم ، وقد كان زيد بن على شاور بنى عمه ، فأشاروا عليه بأن لا يركن إلى أهل الكوفة ، إذ كانوا أهل غدر ومكر وقالوا لـه :

" بها قتل جدك على ، وبها طعن عمك الحسن ، وبها قتل أبوك الحسين ، وفيها وفى أعمالها شتمنا أهل البيت " .

كما نصحوه بعدم الخروج فلم يصغ إليهم ، وبلغت الأخبار يوسف بن عمر والى العراق وهو بالحيرة فتهيأ له ، ولما علم بذلك أهله جاؤا زيدا وقالوا له : ما قولك فى أبى بكر وعمر ؟ قال : رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعت أحدا من أهل بيتى يقول فيهما إلا خيرا ، وإن أشد ما أقول فيما ذكرتم أنا كنا أحق بتولى هذا الأمر منهم بقرابتنا من رسول الله فدفعونا عنه وقد ولوا فعدلوا فى الناس وعملوا بالكتاب والسنة ، قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو إلى قتالهم، فقال : إن هؤلاء ليسوا كأولئك ، هؤلاء ظالمون لكم ولأنفسكم وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ، فإن أجبتموها سعدتم وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل . ففارقوه ونكسوا بيعته ، فسماهم زيد **الرافضة** ، وفى الليلة التى كان قد إتفق معهم على الخروج فيها لم يأته أكثر من مائتى رجل فخرج زيد من الكوفة ، ومعه القراء والأشراف ، فحاربه يوسف بن عمر الثقفى ، فلما قامت الحرب بينهما انهزم أصحاب زيد ، وبقى فى جماعة يسيرة ، فقاتلهم أشد قتال ، وحال المساء بين الفريقين ، وقد أصاب زيد بن على سهم فى جبهته فأُتى بحجام من بعض القرى فإستخرج النصل ، فمات من ساعته ودفنه أصحابه فى ساقية ، وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجروا الماء على ذلك حتى لا يمثل به الأمويون ، لكن الحجام دل يوسف بن عمر على

موضع قبر زيد فإستخرجه يوسف وبعث برأسه إلى هشام فأمر بصلبه ثم كتب هشام إلى يوسف يأمره بإحراقه وذَرْوِه فى الرياح .

وكان مصرع زيد سبباً فى ظهور الشيعة الزيدية التى تفرعت إلى عدة فرق كانت تنسب كل منها إلى زعيم من زعمائها كالجارودية واليعقوبية .

وثار فى عهد هشام الحارث بن سريج التميمى ، ويرجع ذلك إلى أن هشام قد فرض على الموالى ضريبة خراجية كبيرة وكان الحارث يزعم أنه المهدى الذى بعثه الله ليملأ الدنيا عدلاً ، فإستغل الحارث كراهية الموالى للدولة الأموية فالتف حوله عدداً كبيراً منهم كما جمع عدد من العرب الناقمين وتمكن من الإستيلاء على المدن الواقعة على شاطىء نهر سيحون ، ولكن أسد بن عبد الله القسرى والى خراسان إستردها منه فإنسحب الحارث إلى بلاد ما وراء النهر سنة ١١٨هـ وإنضم إلى الأتراك أعداء العرب ، لكنه لم يفز بطائل لأن نصر بن السيار الذى ولى خراسان سنة ١٢٠ هـ إستطاع أن يؤمن حكم الأمويين فى بلاد ما وراء النهر .

وإمتاز عصر هشام بالقيام بالعديد من الغارات الإسلامية على الدولة البيزنطية ، كان فيها هشام يقود البعض منها وقد ساعد فى ذلك طول فترة حكمه ، وكانت الحروب المتبادلة فى آسيا الصغرى تارة تنتهى بانتصار المسلمين وتارة أخرى بانتصار الروم . وكانت الشواتى والصوائف دائمة الحركة ، وممن إشتهر بقيادة الجيوش فى تلك البلاد

مروان بن محمد قبل أن يولى أرمينية ، ومسلمة بن عبد الملك ، ومعاوية ابن هشام ، وسعيد بن هشام ، وقد إفتتحوا فى غزواتهم بلداناً كثيرة منها قونية وقيسارية وكثيراً من الحصون والقلاع .

وكان أمير البحر فى عهد الخليفة هشام القائد عبد الرحمن بن معاوية بن حديج ، ومن أكبر القواد عبد الله بن عقبة .

وكان عبد الوهاب بن بخت من كبار قادة هشام ، وقد قتل خلال حروبه ضد الروم سنة ١١٣ هـ ، وكان يقاتل تحت راية البطل المسلم عبد الله البطال ، فإنهزم الناس عن البطال فحمل عبد الوهاب وصاح أنا عبد الوهاب بن بخت ، أمن الجنة تفرون . ثم تقدم بين صفوف الروم فخالط جندهم فنال الشهادة .

أما معركة اكروينون سنة ١٢٢ هـ فقد إنتصر فيها الروم وقُتل القائد المسلم أبو محمد البطال ، وفى العام التالى قاد هشام بن عبد الملك الجيش الإسلامى لغزو الروم وإستطاع أن ينتصر عليهم .

ولاية العهد :

كان يزيد بن عبد الملك قد أوصى بولاية العهد بعد هشام للوليد ابن يزيد ، فبدا لهشام أن يعزله ويولى ابنه مسلمة ، وإحتال لذلك فلم تتم المبايعة وإن كان قد أجابه بعض القواد . وقد إنتهى زمن هشام والوليد مباعداً له .

وقد توفى هشام بالرصافة يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥ هـ .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك " ١٢٥ - ١٢٦هـ " :

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفى ، كان واليا للعهد بعد هشام ، ونشأ الوليد فى بلاط عمه هشام الذى حاول أن يؤهله للخلافة تنفيذا لوصية يزيد بن عبد الملك ، لكنه خرج مغاضبا إلى مكان منعزل فى فلسطين يسمى الأزرق وإنغمس فى حياة اللهو والمجون متحديا عمه هشام .

ولما توفى هشام جاءه الكتاب بموته وبيعة الناس له ، وفى نفس اليوم أمر بإحصاء أموال هشام ومصادرتها وأساء إلى أبناء عمه وحاشيته وعماله ، ثم توجه إلى دمشق لأخذ البيعة . وكان الوليد من أسوأ بنى أمية فأسرف فى الإنتقام من كل من أعان هشام عليه وهم كثير من سادة الأمة وأفراد البيت الأموى ، ولذلك إنقسمت الأسرة الحاكمة على نفسها وزاد هذا الإنقسام أن يجعل الخلافة لإبنيه الصغيرين الحكم وعثمان لولاية العهد، وكان خالد بن عبد الله القسرى سيدا من سادات اليمن فأمره أن يبايع لابنيه ، فأبى ذلك فغضب عليه الوليد وأرسله إلى يوسف بن عمر الثقفى فعذبه عذابا شديدا حتى مات ، فأفسد ذلك على الوليد قلوب اليمنية ، وصار بنو أمية يشيعون عن الوليد بين الناس القبائح ورموه بالقبح وكان أكثرهم بغضا له يزيد بن عبد الملك .

وفى أيام الوليد قُتل يحيى بن زيد بن على بخراسان سنة ١٢٥ هـــ وقد أثار مقتل يحيى الحزن على شهداء العلويين ، خاصة وأن الوليد دعــا كل رجال دولته ليشهدوا رأس يحيى منصوباً كعبرة لمن تسول له نفســه التجرؤ على الخليفة ، كما أرسل الخليفة كتاباً إلى يوسف بن عمر عاملــه على العراق يقول له فيه : " خذ عجيل أهل العراق ، فأنزله من جزعــه – يعنى زيداً – وأحرقه بالنار ثم انسفه باليم نسفاً " ، فأمر يوسف به فأُحرق وحمله فى سفينة ثم ذراه فى الفرات ، وأما يحيى فانــه لمــا قتــل صلــب بالجوزجان ، فلم يزل منصوباً حتى ظهر أبو مسلم الخراســانى وإســتولى على خراسان ، فأنزله وصلى عليه ودفنه .

ومما لا شك فيه أن سياسة الوليد قد أدت فى النهاية إلى تضــافر كل القوى ضده ، وإلتف الناقمون على الوليد من أبناء الأسرة الأمويــة وشيعة زيد ويحيى واليمنيين حتى إنتهى الأمر بقتله يوم الخميــس لليلتــين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٦ هــ ، فكــانت ولايتــه ســنة وشهرين تقريباً ، ودفن فى قرية البخراء وهى من قرى دمشق .

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك " ١٢٦ - ١٢٦هـ " :

ولى يزيد بن الوليد بدمشق ليلة الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ ، وقد لقب بالناقص لكونه نقص الجند من أعطياتهم ، ووثب على الخلافة وقتل ابن عمه الوليد . وأمه شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد .

وقد إستهل يزيد خلافته بعزل الكثيرين من ولاة الأمصار وفى مقدمتهم يوسف بن عمر الثقفى والى العراق ، وولى بدلا منه منصور بن جهور الكلبى ، كما ولى سجستان رجل من بنى كلب ، أما نصر بن يسار والى خراسان ومروان ابن محمد والى أرمينية والجزيرة فقد رفضا الرضوخ ليزيد أو التنازل عن ولايتيهما لأمراء الخليفة ، ومما لا شك فيه أن يزيد قد تحزب لليمنية دون المضرية ، كما اتهمه العامة بميله إلى القدرية أو المعتزلة . وقد توفى يزيد فى شهر ذى الحجة سنة ٢٦هـ .

لما توفى يزيد آلت الخلافة إلى أخيه إبراهيم ، غير أنه لم يتم له الأمر فكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالإمارة ، وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما فمكث أربعة أشهر .

وسبب ذلك أن مروان بن محمد والى الجزيرة وأرمينية لم يرضى ولاية إبراهيم فسار إلى الشام فى جنود الجزيرة فاستولى على قنسرين وحمص ، ولما وصل عين الحر قابلته جنود إبراهيم بن الوليد فانتصر عليهم

مروان ثم أخذ منهم البيعة لنفسه ، ولما وصل مروان إلى أبواب دمشق إستولى عليها وبايعه أهلها وفر إبراهيم ومعه قائد جنده سليمان بن هشام، فأمنه مروان ثم قتله ، ولعدم تمام الأمر لإبراهيم لم يعده المؤرخون من الخلفاء الأمويين .

خلافة مروان بن محمد (مروان الثانى) " ١٢٧ - ١٣٢ هـ " :

بويع مروان بن محمد بن مروان بدمشق يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر صفر سنة ١٢٧ هـ ، وأمه أم ولد يقال لها ريَّا وقيل طرونة ، وكان أول المبايعين لمروان أبو محمد السفيانى ، وبعد أن أخذ البيعة لنفسه إقتص من قتلة الوليد بن يزيد ، وبعد أن تم له الأمر بالشام إنصرف إلى حران بالجزيرة وهناك بايعه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام .

وفى ظل خلافة مروان أصبحت حران العاصمة الجديدة للدولة الأموية مما أغضب أهل دمشق عليه بسبب ما خسروه من الأموال التى كانت تتدفق على دمشق بإعتبارها مركز التجارة والإدارة والملك ، فانتقدوا مروان لأنه كان ابن أمة .

وكانت مدة مروان مملوءة بالفتن والإضطرابات منذ بويع إلى أن قتل سنة ١٣٢ هـ ، وقد لقبه بعض المؤرخين بمروان الحمار لأنه كان لا يجف له لبد فى محاربة الخارجين عليه ، فكان يصل السير بالسير ، فقد

تعصب مروان بن محمد للمضرية على اليمنية وحينئذ إشتعلت نار العصبية، ففى عهده قامت اليمنية بثورات ضد حكمه فى كل أنحاء الشام والعراق ، ففى فلسطين ثار الكلبيون بقيادة ثابت بن نعيم الجذامى ، كما ثار أهل حمص الذين أظهروا فى بدية الأمر ميلاً إلى مروان ثم إنقلبوا عليه، كما ثار يزيد بن خالد القسرى وحاصر دمشق، وفى تدمر حيث تتجمع القبائل الكلبية ، ولكن مروان إستطاع أن يخمد هذه الفتن ويقتل ثابت بن نعيم ويزيد بن خالد القسرى .

أما فى العراق فقد إشتدت الفتن ووجدت بقايا الخوارج الفرصة لإعلان راية العصيان ، فخرج الضحاك بن قيس الشيبانى واستولى على الكوفة ، فهرب أميرها عبد الله بن عبد العزيز إلى واسط فتتبعوه ، ثم إنضم عبد الله بن عمر وسليمان بن هشام بن عبد الملك إلى الضحاك وتفرق أبناء البيت الأموى بهذا الإنشقاق الجديد ، لكن الخليفة مروان الثانى نجح فى هزيمة الضحاك عند نصيبين وتمكن بمساعدة ولده عبد الله من قتله عند ماردين سنة ١٢٨ هـ .

على أن قتل الضحاك لم يضع حداً لثورات الخوارج فقد ثار عليه المختار بن عوف الأزدى ، الشهير بأبى حمزة ، فكان يدعو إلى خلاف مروان بن محمد حتى وافى عبد الله بن يحيى فى آخر سنة ١٢٨ هـ فاجتمع فى حضرموت ودعوا إلى قتال مروان والأمويين ، مما اضطر عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك امير مكة الأموى إلى طلب الهدنة .

وفى سنة ١٣٠ هـ دخل أبو حمزة المدينة ، وفى نفس العام تمكن مروان الثانى من هزيمة أبو حمزة وقتله والقضاء على عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق ومعه الكثير من الخوارج .

جهود العباسيين فى الدعوة لأنفسهم والتمهيد للقضاء على بنى أمية :

مما لا شك فيه أن الأمويين قد تعرضوا لسخط معظم المسلمين خاصة الشيعة الذين كانوا يرون أن أبناء على بن أبى طالب أحق بالخلافة، يتبعهم فى ذلك جماهير غفيرة فى مختلف البلاد الإسلامية كانت ترى فى مصارع زيد والحسين ويحيى وغيرهم من البيت العلوى سبباً كافياً للتخلص من الدولة الأموية . وفى الحجاز كان أهل مكة والمدينة يرون فيما أصاب الكعبة على يد الأمويين جرم لا يمكن أن تمحوه الأعوام . كذلك كان الخوارج يرون أن بقاء الدولة الأموية خروجاً عن الإسلام . والشعارات الدينية والإسلامية التى نادى بها والموتورون من فظائع الولاة الأمويين وفى مقدمتهم الحجاج بن يوسف الثقفى وغيره من ولاة الحكام الأمويين ، لا ينسون ما فجعهم فيه من مواطنيهم وأقاربهم وأهلهم. والموالى من الفرس وغيرهم من شعوب البلاد التى دخلت فى الإسلام والتى صنفها الأمويين إلى مراتب تحرمهم من سماحة الإسلام يشكلون مراعى خصبة للثورة على حكم الأمويين . وما لبث هؤلاء الموالى أن أصبحوا أعداء العرب لتفضيل العرب أنفسهم عليهم ، وتمتعهم بحقوق لم يتمتع بها الموالى ، ومن بين الحقوق التى حرم منها الموالى أنهم لم يحصلوا على عطائهم الذى يستحقونه نظير إلتحاقهم بالجيش كالعرب ، ولم يكن

يسمح لهم بركوب الخيل أثناء القتال كما كان العربى لا يرضى أن يزوج إبنته من مولى .

لذلك كان الموالى ينتهزون أى فرصة للكيد من الدولة الأموية ، وظهروا مع كل خارج عن الأمويين . ولم تكن حركاتهم منظمة ولكنها إشتدت فى أواخر العهد الأموى ، وإستمرت الحروب بين الدولة الأموية والموالى مما كان له أكبر الأثر فى نجاح الدعوة العباسية حين أيد دعاة العباسيين الموالى ضد بنى أمية .

ومما لا شك فيه أن إنصراف بعض خلفاء بنى أمية كيزيد بن معاوية ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك إلى حياة الدعة والمجون حتى ضعفت هيبة الخلافة ، وكانت عاملاً من عوامل تقويض أركان الدولة الأموية .

ومما قوض أساس هذه الدولة وعجل بزوالها تولية العهد لأكثر من واحد مما أدى إلى إنقسام أفراد البيت الأموى ، وظهر ذلك بوضوح فى خلافة مروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك ابن مروان .

وكان لتحزب بعض الخلفاء لقبيلة على حساب أخرى وظهور روح العصبية بين القبائل والذى ظهر بشدة عقب وفاة عمر بن عبد العزيز كان له أثر مباشر فى زيادة الإضطرابات التى أعطت الدعوة

العباسية فرصة للظهور لتقويض دعائمها وتثبيت أركانها ، فهـ مروان بن محمد آخر خلفاء دولة بنى أمية متعصباً للمضرية فثارت ضـــد اليمنية . وعلى الرغم من أن الخليفة مروان تمكن من إخماد ثوراتهـم إلا أن هذه الفتن لم تهدأ حتى باغته العباسيون .

فقد ظهر الدعاة العباسيون فى خراسان وأخذ أبى مسلم الخراســانى البيعة لبنى العباس ، وفى شهر ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ بويع بالكوفـــة لأبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس بـــن عبـــد المطلب الملقب بالسفاح أول خلفاء الدولة العباسية ، وبعد أن تم له الأمـــر بالعراق أرسل عمه عبد الله بن على لمحاربة مروان ، فالتقى به على نهـــر الزاب فى جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ وانتهت المعركة بهزيمـــة مـــروان الذى فر من بلد إلى آخر ثم فر إلى مصر فأرسل عبد الله فى اثـــره أخـــاه صالح بن على ، فتتبع مروان وانتهى الأمر بقتله فى شهر ذى الحجة ســـنة ١٣٢ هـ ، وهكذا انتهت أيام الدولة الأموية وبدأ عصر الدولة العباسية.

الفهـــرس